مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

ظروف إقامة سيد الشهداء (عليه السلام) في مكة المكرمة

الجزء الثالث

السيد علي السيد جمال أشرف الحسيني

بسم الله الرحمن الرحیم

ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مولف

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ---- 5
ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه المجلد 3 ---- 17
اشارة ---- 17
اشارة ---- 17
بين يزيد وعبد الله بن عبّاس بعد شهادة الإمام (عليه السلام) ---- 21
كتاب يزيد إلي ابن عبّاس وجواب ابن عبّاس ---- 25
اشارة ---- 25
القسم الأوّل: كتاب يزيد ---- 43
اشارة ---- 43
الكشف الأوّل: متابعة العيون ---- 43
الكشف الثاني: بيعة ابن عبّاس! ---- 44
اشارة ---- 44
الشاهد الأوّل: مقدّمة المؤرّخ قبل نقل الكتاب ---- 45
الشاهد الثاني: النصّ التاريخيّ ---- 45
الشاهد الثالث: الاعتصام ببيعة يزيد ---- 53
الشاهد الرابع: تصريح ابن عبّاسٍ بالبيعة ليزيد! ---- 54
الكشف الثالث: اعتراف يزيد بتأثير ابن عبّاسٍ في الناس ---- 55
الكشف الرابع: يزيد مِن أهل البيت!!! ---- 57
القسم الثاني: ردّ ابن عبّاس ---- 61
اشارة ---- 61
المضمون الأوّل: تعليق بعض الأجوبة ---- 61
المضمون الثاني: سبب الامتناع عن بيعة ابن الزبير ---- 62
المضمون الثالث: وعد البرّ والصلة ---- 65

اشارة 65
الهدف الأوّل: التشجيع علي الامتناع عن بيعة ابن الزبير 65
الهدف الثاني: الحثّ علي دخول معركة يزيد وابن الزبير 65
الهدف الثالث: تطييب خاطر ابن عبّاس! 66
المضمون الرابع: رفض دعوات يزيد وأسبابها 67
المضمون الخامس: ذكر بعض المصائب 70
اشارة 70
نكتة مهمّة 72
المضمون السادس: حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) وفق ما شرحه ابن عبّاس! 73
اشارة 73
المشهد الأوّل: المطاردة من حرم الرسول إلي حرم الله 74
المشهد الثاني: مقاتلة الإمام في مكة ومحاولة اغتياله 79
المشهد الثالث: إشخاص الإمام (عليه السلام) من حرم الله إلي الكوفة 83
اشارة 83
الصورة الأُولي: الصورة المعروفة 83
الصورة الثانية: الصورة الجديدة 84
المشهد الرابع: تسليط ابن مرجانة وأمره بقتل الإمام 87
المشهد الخامس: استقبال الإمام الحسين (عليه السلام) بالرجال ومعاجلته 88
المشهد السادس: رفض الموادعة! 90
المشهد السابع: الشماتة بقتل الإمام (عليه السلام) 93
المشهد السابع: قتلهم كقتل الكفّار! 94
المشهد الثامن: الشماتة بسبي الحرم 97
اشارة 97
اللوعة الأُولي: عجبٌ ما قبله ولا بعده عجب! 99
اللوعة الثانية: نسب السبايا إلي عبد المطّلب 100

اللوعة الثالثة: حمل بنات عبد المطّلب وغلمةً صغاراً 101
اللوعة الرابعة: السبي إلي يزيد 102
اللوعة الخامسة: السبي المجلوب!!! 102
اللوعة السادسة: الاستعراض بالسبايا 105
اللوعة السابعة: الشماتة! 107
المشهد التاسع: المجاهرة بدوافع قتل الإمام (عليه السلام) 108
اشارة 108
الدافع الأوّل: العداوة لله ولرسوله ولأهل بيته 109
الدافع الثاني: أخذ الثأر لأهله الكفَرة الفجَرة 109
الدافع الثالث: الانتقام لدم عثمان! 110
المضمون السابع: ابن عبّاس صاحب الدم والثأر! 112
المضمون الثامن: نوع المواجهة بين ابن عبّاسٍ ويزيد 114
المضمون التاسع: ابن عبّاس يري نفسه أهلاً للمُلك وأحقّ به 116
المضمون العاشر: بي وبهم عززتَ وجلستَ مجلسك 120
تعليقاتٌ سريعة 123
التعليقة الأُولي: كتاب ابن عبّاسٍ ردٌّ وليس ابتداء! 123
التعليقة الثانية: لماذا لم يكتب ابن عبّاسٍ قبل شهادة الإمام (عليه السلام) ؟! 124
التعليقة الثالثة: التزام ما التزمه سيّد الشهداء (عليه السلام) وابن عبّاس! 125
التعليقة الرابعة: توظيف كتاب ابن عبّاس 126
التعليقة الخامسة: باقي بني العبّاس! 127
إبن الزبير والإمام (عليه السلام) 129
اشارة 129
العرض الأوّل: تعدّد اللقاء 145
العرض الثاني: وقت اللقاء 146
العرض الثالث: مكان اللقاء 148

اشارة 148

المكان الأوّل: عند الإمام الحسين (عليه السلام) 148

المكان الثاني: لحقه (عليه السلام) ابن الزبير 149

المكان الثالث: بين الحِجر والباب 149

المكان الرابع: عند جمرة العَقبة 150

العرض الرابع: هل كان اللقاء بين جماعة، أو كان في خلوة؟ 150

العرض الخامس: تحريض ابن الزبير علي بني أُميّة 151

العرض السادس: إصرار ابن الزبير علي خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة 153

العرض السابع: خبر الزبيريّ 155

اشارة 155

الغريبة الأُولي: الإسناد والتردّد 156

الغريبة الثانية: ابتداء الإمام (عليه السلام) 157

الغريبة الثالثة: القسَم بالطلاق والعتاق 157

الغريبة الرابعة: بيعة أربعين ألفاً! 158

الغريبة الخامسة: جواب ابن الزبير 159

العرض الثامن: عروض ابن الزبير 159

اشارة 159

الاقتراح الأوّل: البقاء في مكّة 160

اشارة 160

الإيماء الأوّل: الاقتراح غير جدّي 160

الإيماء الثالث: الصورة الأُولي للاقتراح: اقتراحٌ كسائر الاقتراحات 161

اشارة 161

المناقشة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يحمي حُرمة الحرم 162

المناقشة الثانية: دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة للاستئمان لا للتحشيد 163

المناقشة الثالثة: توظيف عنوان الإمام (عليه السلام) 164

المناقشة الرابعة: الفرق بين اقتراحه واقتراح غيره 164
المناقشة الخامسة: سذاجة الخطّة 165
الإيماء الرابع: الصورة الثانية للاقتراح: إنّك مطلوب 166
اشارة 166
الالتفاتة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يكشف ما يقوله ابن الزبير سرّاً 166
الالتفاتة الثانية: الإمام (عليه السلام) مطلوب! 167
الإيماء الخامس: الصورة الثالثة للاقتراح: عرض البيعة 169
اشارة 169
الإشارة الأُولي: مكر ابن الزبير 170
الإشارة الثانية: اشتراط البقاء في مكّة 171
الإشارة الثالثة: دوافع البيعة 171
الإشارة الرابعة: وعود ابن الزبير 172
الإشارة الخامسة: خوفه علي الإمام (عليه السلام) إن خرج 172
الإيماء السادس: دعوة الإمام (عليه السلام) للبيعة مع ابن الزبير 173
ردّ الإمام (عليه السلام) 175
اشارة 175
الجواب الأوّل: القتل خارج مكّة أحبّ إليه (عليه السلام) 175
اشارة 175
التلميح الأوّل: أهميّة الردّ 176
التلميح الثاني: البقاء في مكّة يعني القتل قطعاً 179
التلميح الثالث: حماية حرمة الحرم 180
التلميح الرابع: التعريض بابن الزبير 181
التلميح الخامس: ذكر البديل عن القتل في الحرم 182
التلميح السادس: لو كنتُ في جُحر هامّةٍ لَاستخرجوني! 183
اشارة 183

النظرة الأُولي: وضوح الكلمة 186
النظرة الثانية: القسَم 187
النظرة الثالثة: لو كنتُ في جُحر هامّة! 187
النظرة الرابعة: حتّي يقضوا فيّ حاجتهم! 189
التلميح السابع: تمثيل الاعتداء عليه باعتداء بني إسرائيل 191
اشارة 191
الجلوة الأُولي: حديث الإمام السجّاد (عليه السلام) 192
الجلوة الثانية: المطلوب من اليهود 196
الجلوة الثالثة: براءة الحيتان 197
الجلوة الرابعة: قلب الموازين وتحليل الحرام 198
الجلوة الخامسة: الاعتداء في الزمن الحرام 199
الجلوة السادسة: غضب الله لاصطياد السمك! 200
الجلوة السابعة: التوسّل بمحمّدٍ وآل محمّد 201
الجلوة الثامنة: سيبعث عليهم مَن ينتقم منهم 202
الجلوة التاسعة: الإمام (عليه السلام) مُعتديً عليه 202
الجلوة العاشرة: خلاصة الجلوات 203
التلميح الثامن: فحوي الردّ 204
الجواب الثاني: فضح ابن الزبير 205
اشارة 205
الدلالة الأُولي: تكذيب ابن الزبير في الدعوة للبقاء 206
الدلالة الثانية: تكذيبه في دعواه البيعة للإمام (عليه السلام) وإسناده 206
الدلالة الثالثة: الدافع الّذي يلهث له ابن الزبير 207
الدلالة الرابعة: موقع ابن الزبير عند الناس 207
الدلالة الخامسة: لا أهداف مقابل أهداف ابن الزبير 208
الدلالة السادسة: يطلب الأمر ولو بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) 209

الجواب الثالث: السكوت ---- 209

الاقتراح الثاني: التحذير من التوجّه إلي العراق ---- 211

اشارة ---- 211

السبب الأوّل: لقد حضر الحجّ وتَدَعْه! ---- 211

السبب الثاني: التحذير من الذهاب إلي قومٍ قتلوا أباه وطعنوا أخاه ---- 213

اشارة ---- 213

اللمحة الأُولي: وقت اللقاء ---- 214

اللمحة الثانية: التحذير من أهل العراق! ---- 214

اللمحة الثالثة: أنا أري أنّهم قاتلوك ---- 216

اللمحة الرابعة: تنويهٌ هامّ ---- 217

اللمحة الخامسة: «وأنا أري ذلك» ---- 218

اللمحة السادسة: التأكيد علي أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوب ---- 218

تعليقات: ---- 220

التعليقة الأُولي: رواية ابن حجر في (الصواعق) ---- 220

التعليقة الثانية: ابن الزبير يسأل مسائل شرعيّة! ---- 224

الاقتراح الثالث: الخروج إلي العراق ---- 225

اشارة ---- 225

الإنارة الأُولي: مكر ابن الزبير! ---- 227

الإنارة الثانية: قد يصدق ابن الزبير! ---- 228

الإنارة الثالثة: دواعي الحثّ ---- 229

الإنارة الرابعة: الأسباب الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) ---- 231

الإنارة الخامسة: سبب التوجّه نحو العراق، لا سبب الخروج من مكّة ---- 233

الإنارة السادسة: الاستخارة ---- 233

الإنارة السابعة: غباء ابن الزبير وجهله! ---- 233

العرض التاسع: ابن الزبير يلحق الإمام! ---- 235

بين عبد الله بن جعفر والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ---- 237
اشارة ---- 237
القسم الأوّل: كتاب عبد الله بن جعفر للإمام الحسين (عليه السلام) ---- 239
اشارة ---- 239
التذكير الأوّل: ميزة نصّ ابن الصبّاغ ---- 244
التذكير الثاني: انتشار خبر خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة في المدينة! ---- 247
التذكير الثالث: زمان ومكان كتابة الكتاب ---- 249
التذكير الرابع: حامل الكتاب ---- 251
التذكير الخامس: نصّ كتاب ابن جعفر ---- 252
اشارة ---- 252
اللفتة الأُولي: أدب عبد الله بن جعفر ---- 253
اللفتة الثانية: المناشدة ---- 254
اللفتة الثالثة: دوافع المناشدة ---- 256
اشارة ---- 256
التوضيح الأوّل: الشفقة ---- 257
التوضيح الثاني: المقصود من الأمر في كلام ابن أعثم والخوارزميّ! ---- 258
التوضيح الثالث: دواعي الشفقة وأسبابها ---- 260
اشارة ---- 260
المستوي الأوّل: الخوف من استئصال العترة الطاهرة ---- 260
المستوي الثاني: نتائج قتل الإمام (عليه السلام) ! ---- 262
اشارة ---- 262
الإشفاق الأوّل: الإشفاق علي نور الله ---- 264
الإشفاق الثاني: فقدان علم المهتدين ---- 265
الإشفاق الثالث: فقدان رجاء المؤمنين ---- 266
الإشفاق الرابع: روح الهدي وأمير المؤمنين! ---- 267

اللفتة الرابع: لا تعجلْ بالسير! 268
اللفتة الخامسة: أسباب الدعوة إلي التريّث 269
اشارة 269
الميزة الأُولي: تشخيص المُعتدي! 269
الميزة الثانية: بذل ما بوسعه للدفاع عن الإمام (عليه السلام) 271
الميزة الثالثة: التهديد شاملٌ من جميع الأُمويّين 272
الميزة الرابعة: التهديد الشامل لأهل البيت (عليهم السلام) 272
اللفتة السادسة: التحذير من أهل الكوفة 273
التذكير السادس: جواب الإمام (عليه السلام) 275
اشارة 275
الجواب الأوّل: لم يذكر جواباً 276
الجواب الثاني: «قرأتُ الكتاب وفهمت».. 276
الجواب الثالث: الرؤيا! 277
الجواب الثالث: «لو كنتُ في جُحر هامّة»! 279
الجواب الرابع: أبي ولم يمتنع 280
القسم الثاني: محاولة ابن جعفر (رضي الله عنه) مع عمرو بن سعيد 283
اشارة 283
الضوء الأوّل: قيام ابن جعفر (رضي الله عنه) إلي الوالي 287
الضوء الثاني: مطالب ابن جعفر (رضي الله عنه) من الوالي 290
الضوء الثالث: مَن كتب الكتاب؟! 294
الضوء الرابع: حامل الكتاب 295
الضوء الخامس: موقع اللقاء 296
الضوء السادس: لقاءٌ مختصر 297
اشارة 297
الإضاءة الأُولي: أسباب اختصار اللقاء 297

الإضاءة الثانية: مَن باشر الإقراء 298
الإضاءة الثالثة: مؤدّي اللقاء 299
الضوء السابع: أمر ابنيه بالجهاد دون الإمام (عليه السلام) 299
الضوء الثامن: هل رجعا إلي الوالي؟ 302
الضوء التاسع: جواب الإمام (عليه السلام) 303
الضوء العاشر: هل التقي ابن جعفر (رضي الله عنه) أهلَه؟! 303
القسم الثالث: كتاب عمرو بن سعيد للإمام (عليه السلام) 307
اشارة 307
المتابعة الأُولي: زيادات الطبريّ والخوارزميّ 310
المتابعة الثانية: غطرسة الأشدق 311
المتابعة الثالثة: التهديد الأوّل 311
المتابعة الرابعة: التهديد الثاني 312
المتابعة الخامسة: التهديد الثالث 314
المتابعة السادسة: التهديد الرابع 316
المتابعة السابعة: فإنْ كنتَ خائفاً 317
المتابعة الثامنة: وعود الآثم 319
اشارة 319
الوعد الأوّل: إن كنتَ خائفاً.. فأقبِلْ إليّ.. 320
الوعد الثاني: الأمان بإزاء الإقبال إليه 321
الوعد الثالث: الإقبال مع الرسول! 323
الوعد الرابع: البرّ والصلة والإحسان 325
الوعد الخامس: حُسن الجوار 326
المتابعة التاسعة: شهادة الكتاب علي الكاتب 329
المتابعة العاشرة: توظيف الأمان! 330
المتابعة الحادية عشرة: جواب الإمام (عليه السلام) 332

اشارة 332

الردّ الأوّل: «إن كنتَ أردت برّي وصلتي» 332

الردّ الثاني: «إن كنتَ.. فجُزيتَ خيراً» 332

الردّ الثالث: «لم يشاقِقْ مَن دعا إلي الله..» 334

اشارة 334

الإيضاح الأوّل: الهدوء والحِلم 334

الإيضاح الثاني: عموم الردّ وضمير الغائب 335

الإيضاح الثالث: أجواء الآية! 335

الإيضاح الرابع: مؤدّي الآية 337

اشارة 337

الدلالة الأُولي: دلالة أخبار القوم! 338

الدلالة الثانية: الفهم العام 338

الإيضاح الخامس: الآية مقابل التهمة 340

الردّ الرابع: ردّ الأمان 341

اشارة 341

الإفادة الأُولي: الإمام (عليه السلام) هو الأمان! 341

الإفادة الثانية: الأمان في الحرم! 343

الإفادة الثالثة: أمان الخؤون! 343

الإفادة الرابعة: الأمان والاغتيال! 344

الإفادة الخامسة: «خير الأمان أمان الله» 344

اشارة 344

الوجه الأوّل: لا إيمان ولا أيمان لهم، فأمان الله خير! 345

الوجه الثاني: لم يحترموا أمان الله، فلا حرمة لأمانهم 347

الوجه الثالث: مَن كان في أمان الله لا يحتاج أمان غيره 347

الإفادة السادسة: أمان الله لمن خافه في الدنيا 348

اشارة ---------- 348
التقرير الأوّل: مَن لم يؤمن بالله لن يؤمن الله ---------- 348
التقرير الثاني: التهديد ---------- 348
التقرير الثالث: خوف الله في الدنيا وأمانه في الآخرة ---------- 349
التقرير الرابع: الخوف لله في الدنيا ---------- 351
الإفادة السابعة: دعاء الإمام (عليه السلام) ---------- 351
الإفادة الثامنة: والسلام! ---------- 352
محتويات الكتاب ---------- 355
تعريف مركز ---------- 374

ظروف اقامه سيد الشهداء عليه السلام في مكه المكرمه المجلد 3

اشارة

ظروف إقامة سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة المكرّمة

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

تعداد جلد: 9 ج

زبان: عربي

موضوع: امام حسين عليه السلام - مكه

خيرانديش ديجيتالي : بيادبود مرحوم حاج سيد مصطفي سيد حنايي

ص:1

اشارة

ظروف إقامة سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة المكرّمة

القسم الثالث

تأليف:

السيّد علي السيّد جمال أشرف الحسيني

ص: 3

بين يزيد وعبد الله بن عبّاس بعد شهادة الإمام (عليه السلام)

مرّ معنا الحديثُ عن لقاءات ابن عبّاس بسيّد الشهداء (عليه السلام) ، ومحاولاته الحثيثة لإقناع سيّد الشهداء (عليه السلام) وثنيه عن التوجّه نحو العراق بشتّي الوسائل والطرق، حتّي تمنّي لو أنّه يشبك يده في شَعر سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء (عليه السلام) ليمنعه، لولا أنّه يخشي أن يُزري به أوّلاً أو بالإمام (عليه السلام) .

وكيف ما أراد المتابع أن يسوّغ فعل ابن عبّاس ويبرّر له مواقفه، ويدافع عن ممانعته وحرصه علي إبقاء الإمام (عليه السلام) في مكّة، فإنّ القدَر المتيقّن الّذي لا يمكن أن يعدوه أحد، هو أن يُقال:

إنّ ابن عبّاس كان قد فهم وتصوّر أو حاول أن يصوّر حركة الإمام (عليه السلام) وخروجه من مكّة خروجاً علي النظام الحاكم، وعملاً تحريضيّاً يقصد به مواجهة يزيد والأُمويّين ومحاربتهم، والاستيلاء علي ما في أيديهم، والمطالبة بحقّه في الخلافة والسلطة.. وهذا ما صوّره يزيد أيضاً، سواءً في كتابه لابن عبّاس ولأهل المدينة وأهل الموسم، أو في غيره من مواقفه وتصريحاته هو

وعمّاله وأذنابه، وهو القائل لمولانا المكرّم محمّد ابن الحنفيّة: ولم يكن يجب علي أخيك أن ينازعنا حقّنا وما قد خصّنا الله به دون غيرنا (1).

فهو علي كلّ حالٍ يري الإمامَ (عليه السلام) خارجاً علي النظام، يريد الإطاحة به أو يريد مقاتلته ومواجهته للغرض المذكور آنفاً، أو لأيّ غرضٍ كان.

بَيد أنّه اختلف مع الإمام (عليه السلام) في التوقيت وفي تحديد الوجهة، فلا يري ابنُ عبّاس وقت الخروج في تلك الأيّام، ولا يري صحّة التوجّه إلي الكوفة، لأسبابٍ ذكرها في أكثر من موقف مع الإمام (عليه السلام) .

هذا غاية ما يمكن تصويره وتصويبه في موقف ابن عبّاس، وهو ممّا لا خلاف فيه، لأنّه صريح مُجمَل المشهَد الّذي تحرّك فيه.

فيكون حينئذٍ قد اختلف مع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وخالف الإمام المفترض الطاعة، واعتقد صحّة موقفه هو، وأنّ الحقّ معه _ وفق تقديراته _، ويلزم من ذلك أنّه يري الإمام (عليه السلام) علي خطأ، وأنّه أخطأ الحقَّ وسار علي غير الجادّة _ والعياذ بالله _.

*****هذا بغضّ النظر عن انقلاب الصورة عند ابن عبّاس وخطئه في أصل تقديراته، وفهمه القاصر عن إدراك ظروف سيّد الشهداء (عليه السلام) ، أو إبائه عن

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 256، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 79، بحار الأنوار: 45 / 325، العوالم للبحرانيّ: 17 / 643.

إدراك ذلك، رغم بيانات سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) الصـريحة الواضحة، ورغم مجريات الأحداث ووضوح خطوات الأعداء ومتابعاتهم وملاحقاتهم وإقداماتهم لكلّ ذي عينين، بل حتّي لأعمي البصر إن كانت له مسكةٌ من بصيرة.

وربّما كان فيما كتبه ابن عبّاس إلي يزيـد _ ردّاً علي كتابٍ كتبه الأخير _ شواهد ترقي إلي مسـتوي الدليل بجدارةٍ تشـهد علي ما ذكرناه، لذا اقتضـي البحث أن نتناول الكتاب والردّ، ونمكث معه علي عجلٍ من دون إطالة، وإنّما نقتصـر علي الإشارة السـريعة الخاطفة إلي المواضع الّتي تشـهد لما نقرّره وتشـهد علي انقلاب الصورة عنـد ابن عبّاس، واختلاف تقييمه للأحداث قبل وبعد شـهادة ريحانة النبيّ وآله وصـحبه الكرام.

ص: 7

كتاب يزيد إلي ابن عبّاس وجواب ابن عبّاس

اشارة

البلاذريّ:

وكان امتناعُ ابن عبّاس عن البيعة لابن الزبير قد بلغ يزيد، فظنّ أنّ ذلك لتمسّكه ببيعته، فكتب يزيد إليه:

أمّا بعـد، فقد بلغني أنّ الملحد ابنَ الزبير دعاك إلي نفسه وعرضَ عليك الدخول في طاعته، لتكون له علي الباطل ظهيراً وفي المأثم شـريكاً، وأنّك امتنعت من طاعته واعتصـمتَ عليه في بيعته، وفاءً منك لنا وطاعةً لله بتثبيت ما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحمٍ كأفضل جزاء الواصـلين لأرحامهم الموفين بعهودهم، فما أنسَ من الأشـياء لا أنسَ بِرّك وحُسن مكافاتك وتعجيل صلتك، فانظر مَن قِبلك ومَن يطرأُ إليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد وزخرف قوله، فأعلِمْهم حُسنَ رأيك في طاعتي وتمسُّكَك ببيعتي، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحلّ الحارب الملحد المارق، والسلام.

فأجابه عبدُ الله بن عبّاس بجوابٍ طويل، يقول فيه:

ص: 9

سألتَني أن أحثَّ الناس عليك، وأثبّطهم عن نصرة ابن الزبير وأخذّلهم عنه، فلا ولا كرامة ولا مسرّة، تسألني نصرك وتحذوني على ودّك وقد قتلت حسيناً! بفيك الكثكث، وإنّك إذ تُمنّيك نفسُك لعازب الرأي، وإنّك لأنت المفند المثبور، أتحسبني _ لا أباً لك _ نسيتُ قتلَك حسيناً وفتيان بني عبد المطّلب، مصابيح الدجي، الّذين غادرهم جنودُك مصرّعين في صعيدٍ واحد، مرمّلين بالدماء، مسلوبين بالعراء، غير مكفّنين ولا ـ موسَّدين، تسفي عليهم الرياح، وتعروهم الذئاب، وتنتابهم عرج الضباع، حتّي أتاح الله لهم قوماً لم يشركوك في دمائهم، فكفّنوهم وأجنّوهم، ومهما أنسَ من الأشياء فلن أنسي تسليطك عليهم ابنَ مرجانة الدعيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة البعيد منهم رحماً، اللئيم أُمّاً وأباً، الّذي اكتسب أبوك في ادّعائه إيّاه لنفسه العار والخزي والمذلّة في الدنيا والآخرة! فلا شيء أعجب من طلبك ودّي ونصري وقد قتلتَ بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري!

وذكر كلاماً بعد ذلك.

وكتب يزيد إليه كتاباً يأمره بالخروج إلي الوليد بن عُتبة ومبايعته له، وينسبه إلي قتل عثمان والممالأة عليه، فكتب ابن عبّاس إليه أيضاً كتاباً يقول فيه: إنّي كنتُ بمعزلٍ عن عثمان، ولكنّ أباك تربّص به وأبطأ عنه بنصره، وحبس من قِبله عنه حين استصرخه واستغاث به، ثمّ بعث الرجال

ص: 10

إليه معذراً حين علم أنّهم لا يدركونه حتّي يهلك ((1)).

اليعقوبيّ:

فبلغ يزيد بن معاوية أنّ عبد الله بن عبّاس قد امتنع علي ابن الزبير، فسرّه ذلك، وكتب إلي ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلي بيعته وعرض عليك الدخولَ في طاعته، لتكون علي الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكاً، وأنّك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا، وفاءً منك لنا وطاعةً لله فيما عرّفك من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحمٍ بأحسن ما يجزي به الواصلين لأرحامهم، فإنّي ما أنسَ من الأشياء فلستُ بناسٍ بِرّك وحُسنَ جزائك وتعجيل صلتك بالّذي أنت منّي أهله في الشرف والطاعة والقرابة برسول الله، فانظر _ رحمك الله _ فيمن قِبلك مِن قومك ومَن يطرأ عليك من الآفاق ممّن يسحره الملحد بلسانه وزخرف قوله، فأعلِمْهم حُسنَ رأيك في طاعتي والتمسّك ببيعتي، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحلّ الملحد، والسلام.فكتب إليه عبدُ الله بن عبّاس:

مِن عبد الله بن عبّاس إلي يزيد بن معاوية، أمّا بعد، فقد بلغني كتابك بذِكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلي نفسه، وامتناعي عليه في الّذي دعاني إليه من بيعته، فإن يكُ ذلك كما بلغك، فلست حمدك أردتُ

ص: 11

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 5 / 321.

ولا ودّك، ولكنّ الله بالّذي أنوي عليم.

وزعمتَ أنّك لست بناسٍ وُدّي، فلَعمري ما تؤتينا ممّا في يدَيك من حقّنا إلّا القليل، وإنّك لَتحبس عنّا منه العريض الطويل.

وسألتني أن أحثّ الناس عليك وأُخذّلهم عن ابن الزبير، فلا ـ ولا سروراً ولا حبوراً، وأنت قتلت الحسين بن عليّ، بفيك الكثكث، ولك الأثلب، إنّك إن تُمنّيك نفسُك ذلك لعازب الرأي، وإنّك لأنت المفند المهور، لا تحسبني ـ لا أباً لك ـ نسيتُ قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطّلب، مصابيح الدجي ونجوم الأعلام، غادرهم جنودُك مصرّعين في الصعيد، مرمّلين بالتراب، مسلوبين بالعراء، لا مكفّنين، تسفي عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتنتابهم عرج الضباع، حتّي أتاح الله لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم، فأجنّوهم في أكفانهم، وبي واللهِ وبهم عززت وجلست مجلسك الّذي جلستَ يا يزيد.

وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناسٍ تسليطك عليهم الدعيَّ العاهر ابنالعاهر، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأُمّاً، الّذي في ادّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلّا العار والخزي والمذلّة في الآخرة والأُولي، وفي الممات والمحيا. إنّ نبيّ الله (صلي الله عليه و آله) قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»، فألحِقْه بأبيه كما يُلحَق بالعفيف النقيّ ولدُه الرشيد، وقد أمات أبوك السنّة جهلاً، وأحيي البدَع والأحداث المضلّة عمداً.

وما أنسَ من الأشياء، فلستُ بناسٍ إطرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلي حرم الله، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصتَه من

حرم الله إلي الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزَّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً، وأعزَّ أهلها بها حديثاً، وأطوعَ أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاماً واستحلّ بها قتالاً، ولكن كره أن يكون هو الذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، فأكبَرَ من ذلك ما لم تُكبِر، حيث دسستَ إليه الرجال فيها ليقاتَل في الحرم، وما لم يكبر ابن الزبير حيث ألحد بالبيت الحرام، وعرّضه للعائر وأقبل أر العالم، وأنت لَأنت المستحلّ فيما أظنّ، بل لا أشكّ فيه أنّك للمحرق العريف، فإنّك حلف نسوة، صاحب ملاهي، فلمّا رأي سوء رأيك شخص إلي العراق، ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قدَراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب إلي ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرتَهبمعاجلته وترك مطاولته، والإلحاح عليه حتّي يقتله ومَن معه من بني عبد المطّلب، أهلِ البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فنحن أُولئك، لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الأكباد الحمير، ثمّ طلب الحسين بن عليّ إليه الموادعة، وسألهم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلتموهم كأنّما قتلتم أهل بيتٍ من الترك والكفر، فلا شيء عندي أعجب من طلبك ودّي ونصري، وقد قتلتَ بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثاري، فإن يشأ الله لا يطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري، وإن سبقتني به في الدنيا، فقبلنا ما قُتل النبيّون وآل النبيّين، وكان الله الموعد، وكفي به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك إن ظفرتَ بنا

اليوم، فو اللهِ لنظفرنّ بك يوماً.

فأمّا ما ذكرتَ من وفائي وما زعمتَ من حقّي، فإن يكُ ذلك كذلك، فقد واللهِ بايعتُ أباك وإنّي لَأعلم أنّ بني عمّي وجميع بني أبي أحقُّ بهذا الأمر من أبيك، ولكنّكم معاشر قريش كاثرتمونا، فاستأثرتم علينا سلطاننا، ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً علي مَن اجترأ علي ظُلمنا، واستغوي السفهاءَ علينا، وتولّي الأمر دوننا، فبُعداً لهم كما بعُدَت ثمود وقومُ لوطٍ وأصحابُ مَدْيَن ومُكذّبو المرسلين.

ألا ـ ومِن أعجب الأعاجيب ـ وما عشتَ أراك الدهر العجيب ـ حمْلَك بنات عبد المطّلب وغلمة صغاراً مِن وُلده إليك بالشام كالسبي المجلوب، تُري الناس أنّك قهرتنا، وأنّك تأمّرت علينا، ولَعمري لئن كنتَ تُصبح وتمسي آمناً لجرح يدي، إنّي لَأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي، فلا يستغربك الجذل، ولا يمهلك الله بعد قتلك عترة رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلّا قليلاً، حتّي يأخذك أخذاً أليماً، فيُخرجك الله من الدنيا ذميماً أثيماً، فعِشْ ـ لا أباً لك ـ، فقد واللهِ أرداك عند الله ما اقترفت.

والسلامُ علي مَن أطاع الله ((1)).

الطبرانيّ، الهيثميّ:

حدّثَنا أحمد بن حمدان بن موسي الخلال التستريّ، ثنا عليّ بن حرب

1- تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236 ط الحيدريّة.

الجنـديسابوريّ، ثنا إسـحاق بن إبراهيم بن داحـة، ثنا أبو خـداش عبـد الرحمان بن طلحـة بن يزيـد بن عمرو بن الأهتم التميميّ، ثنا أبان بن الوليد، قال:

كتب عبـد الله بن الزبير إلي ابن عبّاسٍ في البيعـة، فأبي أن يبايعه، فظنّ يزيد بن معاوية أنّه إنّما امتنع عليه لمكانه، فكتب يزيد بن معاوية إلي ابن عبّـاس:أمّـا بعـد، فقـد بلغني أنّ الملحـد ابن الزبير دعاك إلي بيعته ليّـدخلك في طاعته، فتكون علي الباطل ظهيراً وفي المآثم شـريكاً، فـامتنعتَ عليه وانقبضت، لمـا عرّفـك الله من نفسـك في حقّنـا أهـل البيت، فجزاك الله أفضـل مـا يجزي الواصـلين من أرحامهـم الموفين بعهودهـم، فمهما أنسـي من الأشـياء فلستُ أنسـي برّك وصـلتك وحُسن جائزتك بالّذي أنت أهله منّا في الطاعة والشرف والقرابة لرسول الله (صلي الله عليه و آله) ، فانظر من قِبلك من قومك ومَن يطرأ عليك من أهل الآفاق ممّن يسحره ابن الزبير بلسانه وزخرف قوله، فخذّلهم عنه، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للملحد الخارب المارق، والسلام.

فكتب ابن عبّاسٍ إليه:

أمّا بعـد، فقـد جاءني كتابك تذكر دعاء ابن الزبير إيّاي للذي دعاني إليه، وإنّي امتنعتُ معرفةً لحقّك، فإن يكن ذلك كذلك فلستُ برّك أغزو بذلك، ولكنّ الله بما أنوي به عليم.

وكتبتَ إليّ أن أحثّ الناس عليك وأُخذّلهم عن ابن الزبير، فلا سروراً

ولا حبوراً، بفيك الكثكث ولك الأثلب، إنّك لَعازبٌ إن منّتك نفسك، وإنّك لأنت المنفود المثبور.

وكتبتَ إليّ تـذكر تعجيل برّي وصـلتي، فاحبِسْ أيّها الإنسان عنّيبرّك وصـلتك، فإنّي حابسٌ عنك ودّي ونصـرتي، ولَعمري ما تعطينا ممّا في يـديك لنا إلّا القليل، وتحبس منه العريض الطويل، لا أبا لك، أتراني أنسـي قتلَك حسـيناً وفتيان بني عبـد المطّلب، مصابيح الدجي ونجوم الأعلاـم؟ غـادرتهم جنودُك بأمرك، فأصـبحوا مصـرّعين في صـعيدٍ واحـد، مرمّلين في الـدماء، مسـلوبين بالعراء، لا مكفّنين ولا موسَّدين، تسـفيهم الرياح، وتغزوهم الـذئاب، وتنتابهم عرج الضـباع، حتّي أتاح الله لهم قوماً لم يشـركوا في دمائهم، فكفّنوهم وأجنّوهم، وبهم واللهِ وبي منّ الله عليك، فجلستَ في مجلسك الّذي أنت فيه.

ومهما أنسـي من الأشـياء، فلستُ أنسـي تسليطك عليهم الدعيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة، البعيد رحماً، اللئيم أباً وأُمّاً، الّذي اكتسب أبوك في ادّعـائه لنفسه العـار والمـأثم والمذلّـة والخزي في الـدنيا والآخرة، لأنّ رسول الله (صـلي الله عليه و آله) قال: «الولـد للفراش، وللعاهر الحجر»، وإنّ أباك زعم أنّ الولد لغير الفراش، ولا يضـرّ العاهر، ويلحق به ولده كما يلحق ولد البغيّ المرشد، ولقد أمات أبوك السـنّة جهلاً، وأحيي الأحداث المضلّة عمداً.

ومهما أنسـي من الأشـياء، فلستُ أنسـي تسـييرك حسـيناً من حرم رسول الله (صـلي الله عليه و آله) إلي حرم الله، وتسييرك إليهم الرجال، وإدساسك إليهم إن هو

نـذر بكم، فعاجلوه، فما زلتَ بذلك حتّي أشخصـتَه من مكّة إلي أرض الكوفة، تزأر إليه خيلك وجنودك زئير الأسد، عداوة مثلك لله ولرسوله ولأهل بيته، ثمّ كتبت إلي ابن مرجانة يسـتقبله بالخيل والرجال والأسنّة والسيوف، ثمّ كتبت إليه بمعاجلته وترك مطاولته، حتّي قتله ومَن معه من فتيـان بني عبـد المطّلب، أهـلِ البيت الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، نحن أُولئـك، لا ـ كآبائك الأجلاف الجفاة أكباد الحمير، ولقـد علمتَ أنّه كـان أعزّ أهـل البطحاء بالبطحاء قـديماً، وأعزّه بها حـديثاً لو ثوي بالحرمين مقاماً واسـتحلّ بها قتالاً، ولكنّه كره أن يكون هو الّذي يُستحلّ به حرم الله وحرم رسوله (صـلي الله عليه و آله) وحرمـة البيت الحرام، فطلب إليكم الحسـين الموادعـة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة نصّاره واستئصال أهل بيته، كأنّكم تقتلون أهل بيتٍ من الترك أو كابل.

فكيف تجدوني علي ودّك، وتطلب نصـرتي؟ وقد قتلتَ بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت آخذٌ ثأري؟ فإن يشأ الله لا يطلّ لديك دمي، ولا ـ تسـبقني بثأري، وإن تسـبقنا به فقبلنا ما قبلت النبيّون وآل النبيّين، فطلّت دماؤهـم في الـدنيا، وكان الموعـد الله، فكفي بالله للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً.

والعجب كلّ العجب ـ وما عشتَ يربك الـدهر العجب ـ حملك بنات عبـد المطّلب، وحملك أبناءَهم أغيلمـةً صـغاراً إليك بالشام، تُري الناس أنّك قد قهرتنا، وأنّك تذلّنا، وبهم واللهِ وبي مَنّ الله عليك وعلي أبيك وأُمّك من النساء، وأيمُ الله إنّك لَتُمسيوتُصبح آمناً لجراح يدي،

ولَيعظمنّ جرحك بلساني ونقضـي وإبرامي، فلا يسـتفزّنّك الجدل، فلن يُمهلك الله بعد قتلك عترة رسوله إلّا قليلاً، حتّي يأخذك أخذاً أليماً، ويُخرجك من الدنيا آثماً مذموماً، فعِشْ _ لا أباً لك _ ما شئت، فقد أرداك عند الله ما اقترفت.

فلمّا قرأ يزيد الرسالة قال: لقد كان ابن عبّاسٍ مضياً علي الشرّ ((1)).

الخوارزميّ، المجلسيّ:

أخبرنا الشـيخ الإمام الزاهد أبو الحسن عليّ بن أحمد العاصميّ، أخبرنا شيخ القضاة أبو عليّ إسماعيل بن أحمد البيهقيّ، أخبرنا والدي شيخ السنّة أحمد بن الحسين البيهقيّ، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل القطّان، أخبرنا عبدالله بن جعفر، حدّثنا يعقوب بن سفيان، حدّثنا عبد الوهّاب بن الضحّاك، أخبرنا عيسي بن يونس، عن الأعمش، عن شقيق بن سلَمة:

[...] وظنّ يزيد بن معاوية أنّ امتناع ابن عبّاسٍ كان تمسّكاً منه ببيعته، فكتب إليه:

أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد ابن الزبير دعاك إلي بيعته والدخولِفي طاعته، لتكون له علي الباطل ظهيراً وفي المآثم شريكاً، وإنّك اعتصمت ببيعتنا، وفاءً منك لنا وطاعةً لله لما عرّفك من حقّنا،

ص: 18

1- المعجم الكبير للطبراني: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

فجزاك الله من ذي رحمٍ خير ما يجزي الواصلين بأرحامهم، الموفين بعهودهم.

فما أنسـي من الأشـياء، فلستُ بناسٍ برّك وتعجيل صـلتك بالّـذي أنت له أهلٌ من القرابـة من الرسول، فانظر مَن طلع عليك من الآفاق ممّن سحرهم ابنُ الزبير بلسانه وزخرف قوله، فأعلِمْهم برأيك، فإنّهم منك أسمع ولك أطوع من المحلّ للحرم المارق.

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد جاءني كتابك، تذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلي بيعته والدخول في طاعته، فإن يكن ذلك كذلك، فإنّي واللهِ ما أرجو بذلك برَّك ولا حمدك، ولكنّ الله بالّذي أنوي به عليم.

وزعمتَ أنّك غير نـاسٍ برّي وتعجيـل صـلتي، فاحبسْ أيّها الإنسان برّك وتعجيل صـلتك، فإنّي حابسٌ عنك وُدّي، فلَعمري ما تؤتينا ممّا لنا قِبلك من حقّنا إلّا اليسير، وإنّك لَتحبس منه عنّا العريض الطويل.

وسألتَني أن أحثّ الناس إليك وأن أُخذّلهم من ابن الزبير، فلا ولاء ولا سـروراً ولا حباء، إنّك تسألني نصـرتك وتحثّني علي ودّك، وقد قتلتَ حسـيناً وفتيان عبد المطّلب، مصابيحَ الدجي ونجومَ الهديوأعلامَ التُّقي، غادرتهم خيولُك بأمرك في صعيدٍ واحد، مزمّلين بالدماء، مسلوبين بـالعراء، لاـ مكفّنين ولاـ موسَّدين، تسـفي عليهم الريـاح، وتنتـابهم عرج الضـباع، حتّي أتاح الله لهم بقومٍ لم يشـركوا في دمائهم، كفّنوهم وأجنّوهم، وبي وبهم واللهِ غروب، وجلستَ مجلسك الّذي

جلست.

فما أنسـي من الأشـياء، فلستُ بناسٍ اطرادك حسـيناً من حرم رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلي حرم الله، وتسييرك إليه الرجال لتقتله في حرم الله، فما زلتَ بـذلك وعلي ذلك حتّي أشخصـتَه من مكّـة إلي العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فزلزلت به خيلك، عداوةً منك لله ولرسوله، ولأهـل بيته الّـذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، أُولئـك لا ـ كآبائـك الجفـاة الأجلاف أكباد الحمير، فطلب إليكم الموادعـة، وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، فتعاونتم عليه، كأنّكم قتلتم أهل بيتٍ من الترك.

فلا شـيء أعجب عندي من طلبك ودّي، وقد قتلتَ وُلد أبي، وسـيفُك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، فإن شاء الله لا يبطل لديك دمي ولا تسبقني بثأري، فإن سبقتَني في الدنيا فقبل ذلك ما قُتل النبيّون وآل النبيّين، فطلب الله بدمائهم، وكفي بالله للمظلومين ناصراً، ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبك إنْ ظفرتَ بنا اليوم،فلَنظفرنّ بك يوماً.

وذكرتَ وفائي وما عرفتني من حقّك، فإن يكن ذلك كذلك فقد بايعتُك وأباك من قبلك، وإنّك لَتعلم أنّي ووُلد أبي أحقُّ بهذا الأمر منك ومن أبيك، ولكنّكم معشـر قريش كابرتمونا حتّي دفعتمونا عن حقّنا، ووليتم الأمر دوننا، فبُعـداً لمن تحرّي ظُلمنا، واسـتغوي السـفهاء علينا، كما بعُدَت ثمود وقومُ لوطٍ وأصحابُ مَدْيَن.

ومن أعجب الأعاجيب ـ وما عسي أن أعجب ـ حملُك بنات

ص: 20

عبـد المطّلب وأطفالاً صـغاراً من وُلده إليك بالشام كالسبي المجلوبين، تُري الناسَ أنّك قهرتنا، وأنت تمنّ علينا، وبنا مَنّ الله عليك، ولَعمر الله لئن كنت تُصبح آمناً من جراحة يدي، فإنّي لَأرجو أن يعظم الله جرحك من لساني ونقضي وإبرامي، والله ما أنا بآيسٍ من بعد قتلك ولد رسول الله (صـلي الله عليه و آله) أن يأخـذك الله أخـذاً أليماً، ويخرجك من الـدنيا مذموماً مدحوراً، فعِشْ _ لا أباً لك _ ما اسـتطعت، فقد واللهِ ازددتَ عند الله أضعافاً، واقترفت مآثماً.

والسلامُ علي مَن اتّبع الهدي ((1)).إبن الأثير:

وقال شقيق بن سلَمة:

[...] وظنّ يزيد أنّ امتناعه تمسّكٌ منه ببيعته، فكتب إليه:

أمّـا بعـد، فقـد بلغني أنّ الملحـد ابن الزبير دعـاك إلي بيعته، وأنّـك اعتصـمتَ ببيعتنا وفاءً منك لنا، فجزاك الله من ذي رحمٍ خير ما يجزي المواصلين لأرحامهم الموفين بعهودهم.

فما أنسي من الأشياء، فلستُ بناسٍ برّك وتعجيل صلتك بالّذي أنت له أهل، فانظر مَن طلع عليك من الآفاق ممّن سحرهم ابن الزبير بلسانه، فأعلِمْهم بحاله، فإنّهم منك أسمع الناس ولك أطوع منهم للمُحلّ.

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247.

فكتب إليه ابن عبّاس:

أمّا بعد، فقد جاءني كتابك.

فأمّا تركي بيعة ابن الزبير، فوَاللهِ ما أرجو بذلك برَّك ولا حمدك، ولكنّ الله بالّذي أنوي عليم.

وزعمتَ أنّك لست بناسٍ برّي، فاحبسْ أيّها الإنسان برّك عنّي، فإنّي حابسٌ عنك برّي.

وسألتَ أن أُحبّب الناس إليك وأُبغّضهم وأُخذّلهم لابن الزبير، فلاولا سرور ولا كرامة، كيف وقد قتلتَ حسيناً وفتيان عبد المطّلب، مصابيحَ الهدي ونجوم الأعلام؟ غادرتهم خيولك بأمرك في صعيدٍ واحد، مرمَّلين بالدماء، مسلوبين بالعراء، مقتولين بالظماء، لا مكفّنين ولا موسَّدين، تسفي عليهم الرياح، وينشي بهم عرج البطاح، حتّي أتاح الله بقومٍ لم يشركوا في دمائهم، كفّنوهم وأجنّوهم، وبي وبهم لو عززت وجلست مجلسك الّذي جلست.

فما أنسي من الأشياء، فلستُ بناسٍ اطرادك حسيناً من حرم رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلي حرم الله، وتسييرك الخيول إليه، فما زلتَ بذلك حتّي أشخصتَه إلي العراق، فخرج خائفاً يترقّب، فنزلَت به خيلُك عداوةً منك لله ولرسوله ولأهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، فطلب إليكم الموادعة وسألكم الرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، وتعاونتم عليه، كأنّكم قتلتم أهل بيتٍ من الترك والكفر، فلا شيء أعجب عندي من طلبتك ودّي، وقد قتلتَ وُلد أبي،

وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، ولا يعجبك إن ظفرتَ بنا اليوم، فلَنظفرنّ بك يوماً، والسلام ((1)).

سبط ابن الجوزيّ، الشيخ القمّيّ:ذكر الواقديّ وهشام وابن إسحاق وغيرهم، قالوا:

[...] فبلغ ذلك يزيد بن معاوية، فكتب إلي ابن عبّاس:

سلامٌ عليك.

أمّا بعد، فقد بلغني أنّ الملحد في حرم الله دعاك لتبايعه، فأبيتَ عليه، وفاءً منك لنا، فانظر مَن بحضرتك من أهل البيت ومَن يرد عليك من البلاد، فأعلِمْهم حُسنَ رأيك فينا وفي ابن الزبير، وإنّ ابن الزبير إنّما دعاك لطاعته والدخول في بيعته، لتكون له علي الباطل ظهيراً وفي المآثم شريكاً، وقد اعتصمتَ في بيعتنا طاعةً منك لنا ولما تعرف من حقّنا، فجزاك الله من ذي رحمٍ خير ما جازي به الواصلين أرحامهم الموفين بعهودهم.

فما أنس من الأشياء، ما أنا بناسٍ برّك وتعجيل صلتك بالّذي أنت أهله، فانظر مَن يطلع عليك من الآفاق، فحذّرهم زخارف ابن الزبير، وجنّبهم لقلقة لسانه، فإنّهم منك أسمع ولك أطوع، والسلام.

فكتب إليه ابن عبّاس:

بلغني كتابك، تذكر أنّي تركتُ بيعة ابن الزبير وفاءً منّي لك، ولَعمري ما

1- الكامل لابن الأثير: 3 / 318.

أردتُ حمدك ولا وُدّك، تراني كنتُ ناسياً قتلك حسيناً وفتيان بني المطّلب، مضرّجين بالدماء، مسلوبين بالعراء، تسفي عليهم الرياح، وتنتابهم الضباع، حتّي أتاح الله لهم قوماً واروهم؟ فما أنسَطردك حسيناً من حرم الله وحرم رسوله، وكتابك إلي ابن مرجانة تأمره بقتله، وإنّي لَأرجو من الله أن يأخذك عاجلاً، حيث قتلت عترة نبيّه محمّدٍ (صلي الله عليه و آله) ورضيت بذلك.

وأمّا قولك أنّك غير ناسٍ برّي، فاحبسْ أيّها الإنسان برّك عنّي وصلتك، فإنّي حابسٌ عنك ودّي، ولَعمري أنّك ما تؤتينا ممّا لنا من في قبلك إلّا اليسير، وإنّك لَتحبس عنّا منه العرض الطويل.

ثمّ إنّك سألتني أن أحثّ الناس علي طاعتك، وأن أخذّلهم عن ابن الزبير، فلا مرحباً ولا كرامة، تسألني نصرتك ومودّتك، وقد قتلتَ ابن عمّي وأهل رسول الله، مصابيحَ الهدي ونجومَ الدجي، غادرتهم جنودك بأمرك صرعي في صعيدٍ واحد قتلي، أنسيتَ إنفاد أعوانك إلي حرم الله لتقتل الحسين، فما زلت وراءه تخيفه، حتّي أشخصتَه إلي العراق، عداوةً منك لله ورسوله ولأهل بيته الّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً؟ فنحن أُولئك، لا آباؤك الجفاة الطغاة الكفرة الفجرة، أكباد الإبل والحمير الأجلاف، أعداء الله وأعداء رسوله، الّذين قاتلوا رسول الله في كلّ موطن، وجدّك وأبوك هم الّذين ظاهروا علي الله ورسوله، ولكن إن سبقتني قبل أن آخذ منك ثاري في الدنيا، فقد قُتل النبيّون قبلي، وكفي بالله ناصراً، ولَتعلمنّ نبأه بعد حين.

ثمّ أنّك تطلب مودّتي، وقد علمتُ لما بايعتك، ما فعلتُ ذلك إلّاوأنا أعلم أنّ وُلد أبي وعمّي أولي بهذا الأمر منك ومن أبيك، ولكنّكم معتدين مدّعين، أخذتُم ما ليس لكم بحقّ، وتعدّيتم إلي مَن له الحقّ، وإنّي علي يقينٍ من الله أن يعذّبكم كما عذّب قوم عادٍ وثمود وقوم لوطٍ وأصحاب مَدْيَن.

يا يزيد! وإنّ من أعظم الشماتة حملك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلي الشام أُساري مجلوبين مسلوبين، تُري الناس قدرتك علينا، وأنّك قد قهرتنا واستوليت علي آل رسول الله، وفي ظنّك أنّك أخذتَ بثأر أهلك الكفرة الفجرة يوم بدر، وأظهرت الانتقام الّذي كنت تخفيه، والأضغانَ الّتي تكمن في قلبك كمَون النار في الزناد، وجعلت أنت وأبوك دم عثمان وسيلةً إلي إظهارها، فالويل لك من ديّان يوم الدين، وواللهِ لئن أصبحتَ آمناً من جراحة يدي، فما أنت بآمنٍ من جراحة لساني بفيك الكثكث، وأنت المفند المثبور، ولك الأثلب، وأنت المذموم، ولا يغرّنّك إن ظفرتَ بنا اليوم، فوَاللهِ لئن لم نظفر بك اليوم لَنظفرنّ غداً بين يدَي الحاكم العدل، الّذي لا يجور في حكمه، وسوف يأخذك سريعاً أليماً، ويخرجك من الدنيا مذموماً مدحوراً أثيماً، فعِشْ _ لا أباً لك _ ما استطعت، فقد ازداد عند الله ما اقترفت.

والسلام علي مَن اتّبع الهدي.

قال الواقديّ: فلمّا قرأ يزيد كتابه، أخذته العزّة بالإثم، وهمّ بقتل ابن عبّاس، فشغله عنه أمر ابن الزبير، ثمّ أخذه الله بعد ذلك بيسيرٍ أخذاً

عزيزاً.

الكثكث _ بكسر الكاف _ : فُتات الحجارة والتراب، وبفتح الكاف أيضاً. والفنَد: ضعف الرأي. والأثلب: التراب أيضاً. والثبور: الهلاك. كلّ هذا في معني الدعاء علي الإنسان وذمّه ((1)).

*****

هذه هي جملة المتون الّتي وقفنا عليها في المصادر الّتي تروي خبر هذا الكتاب وردّه.

وكما قلنا، فإنّ المكاتبة بين ابن عبّاسٍ ويزيد لا تهمّنا كثيراً، وإنّما استرسلنا في ذِكرها لنأخذ ما يهمّنا ممّا يتعلّق بسيّد الشهداء وحركته، فليس بالضرورة أن نتابع جميع ما ورد فيها من فقرات.

ويمكن تقسم المتون إلي قسمَين أساسيَّين:

1- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

القسم الأوّل: كتاب يزيد

اشارة

كشف الكتاب الّذي كتبه يزيد عن عدّة أُمور، نحاول استجلاءها، ونمرّ عليها مروراً عابراً من دون إطالة المكث عندها.

الكشف الأوّل: متابعة العيون

إنّ مَن يتابع التاريخ يجد عيون الجواسيس تبصبص وتبرق من بين صفحات الكتب، وتنتشر كأنّها عيون الضباع والثعالب بين سطرٍ وسطر، وقد تسلّلوا إلي بيوت الناس والأشخاص والشخصيّات حتّي اخترقوا المخادع، ولا نحسب أنّ ذلك يحتاج إلي مزيد بيانٍ وذكر النماذج والأمثلة، لكثرتها وازدحام البيوت والمجالس والنوادي والمحافل والخلوات بهم، ولو شاء المتابع الباحث أن يجمع لذلك عيّناتٍ ونماذج لَملأ كتاباً وسِفْراً ضخماً.

وقد غرزوا العيون والجواسيس في مهبط الوحي وبيت النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وما فتئوا يترصّدون ويتربّصون بأولياء الله وبالوجوه والشخصيّات، بل حتّي عامّة الناس، في مساجدهم ونواديهم ومضايفهم وبيوتهم.

وهم بذلك يلاحقون الشارد والوارد، يعدّون أنفاس الناس وما تلفظه

ألسنتُهم أو تشي به أفعالهم.. وبالغوا في ذلك، فجعلوا يأخذون علي الظنّة والتهمة، ويعاقبون البريء بالسقيم، فعمّ الذعرُ والرعب والخوف والتوجُّس والحيطة والحذر، وصار الرجل يخاف من خادمه وعبده وابنه وأهله وجليسه.

وربّما لوّحوا بين الفينة والأُخري إلي بعض الوجوه أو الشخصيّات بمواقف وكلماتٍ صدرت عنهم، ليُعلِموهم أنّهم لا زالوا تحت ملاحقة العيون.

ونحن لسنا بصدد إثبات ذلك والتدليل عليه، لذا نكتفي بهذا القدر للإشارة إلي أنّ يزيد الخمور ربّما كتب كتابه لابن عبّاس ليبلغه أنّ ما يفعله ليس بعيداً عن عيونه، وأنّ أخباره وأخبار أمثاله لا تخفي عليه، وهي تصله يوماً بيوم.

الكشف الثاني: بيعة ابن عبّاس!

اشارة

ثمّة شواهد ترقي إلي مستوي الدليل، بل إنّ جملةً منها دليلٌ قائمٌ بذاته، وإن سقناها علي مستوي الشاهد، فإنّها تتعاضد لتُنتج دليلاً ناهضاً يستعصي علي الردّ والنقاش، وهي تفيد جميعاً أنّ ابن عبّاسٍ قد بايع يزيد والتزم بيعته، وعمل بمقتضي الالتزام.

وسنعبّر عمّا سنذكره بالشاهد رغم أنّنا نحسب أنّها أدلّة، ولا نريد استقصاء ذلك، فلا نكترث بذلك كثيراً بعد أن عرفنا مواقف ابن عبّاس مع سيّد الشهداء (عليه السلام) .

ونعود لنؤكّد _ كما ذكرنا سابقاً _ أنّنا نتعامل هنا مع ابن عبّاسٍ وفق ما

قرأناه وسمعناه وشاهدناه خلال فترة حركة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة إلي مكّة ثمّ إلي كربلاء إلي حين قُتل ـ فداه العالمين ـ، والأُمور بخواتيمها، فلْيكُن ابنُ عبّاسٍ ما كان قبل ذلك.

الشاهد الأوّل: مقدّمة المؤرّخ قبل نقل الكتاب

يبدو من مقدّمة الكتاب الّتي قدّمَها المؤرّخون أنّ يزيد الخمور إنّما كتب لابن عبّاس لما بلغه أنّ الأخير امتنع عن بيعة ابن الزبير، فظنّ ـ كما عبّروا ـ أنّ هذا الامتناع إنّما كان تمسّكاً منه ببيعته ليزيد.

وفي هذا التعبير إشعارٌ واضحٌ أنّ أصل البيعة قد وقعَت، وأنّ يزيد إنّما ظنّ أنّ سبب الامتناع هو التمسّك بالبيعة، وليس لأمرٍ آخَر!

فهذه المقدّمة الّتي وردَت قبل نقل الكتاب علي لسان المؤرّخين والرواة، تفيد بوضوحٍ أنّ ابن عبّاس كان قد بايع يزيد، لذا ظنّ الأخير أنّه إنّما امتنع ابن عبّاس رعاية لحرمة بيعته وتمسّكاً بها.

الشاهد الثاني: النصّ التاريخيّ

روي ابن قُتيبة في (الإمامة والسياسة)، قال:

وذكروا أنّ عُتبة بن مسعود قال: مرّ بنا نعي معاوية بن أبي سفيان، ونحن بالمسجد الحرام.

قال: فقمنا فأتينا ابن عبّاس، فوجدناه جالساً قد وُضع له الخوان،وعنده نفر.

فقلنا: أما علمتَ بهذا الخبر يا ابن عبّاس؟

قال: وما هو؟

قلنا: هلك معاوية.

فقال: ارفع الخوان يا غلام. وسكت ساعة، ثمّ قال: جبلٌ تزعزع ثمّ مال بكلكلة، أما واللهِ ما كان كمَن كان قبله، ولمّا يكن بعده مثله! اللّهمّ أنت أوسع لمعاوية فينا وفي بني عمّنا هؤلاء لذي لُبٍّ معتبر، اشتجرنا بيننا، فقتل صاحبهم غيرنا!! وقتل صاحبنا غيرهم، وما أغراهم بنا إلّا أنّهم لا يجدون مثلنا، وما أغرانا بهم إلّا أنّا لا نجد مثلهم! كما قال القائل: ما لك تظلمني؟ قال: لا أجد من أظلم غيرك. وواللهِ إنّ ابنه لخير أهله! أعد طعامك يا غلام.

قال: فما رُفع الخوان حتّي جاء رسول خالد بن الحكم إلي ابن عبّاس أن انطلقْ فبايعْ.

فقال للرسول: أقرئ الأمير السلام، وقل له: واللهِ ما بقيَ فيّ ما تخافون، فاقضِ من أمرك ما أنت قاض، فإذا سهل الممشي وذهبَت حطمة الناس جئتك ففعلتُ ما أحببت.

قال: ثمّ أقبل علينا، فقال: مهلاً معشر قريش أن تقولوا عند موت معاوية: ذهب جدُّ بني معاوية وانقطع ملكُهم، ذهب لَعمر الله جدّهم، وبقي ملكُهم، وشرّها بقيّةٌ هي أطول ممّا مضي، الزموا مجالسكم،واعطوا بيعتكم.

قال: فما برحنا حتّي جاء رسول خالد، فقال: يقول لك الأمير: لابدّ لك أن

تأتينا.

قال: فإنْ كان لابدّ فلابدّ ممّا لابدّ منه، يا نوار هلمّي ثيابي. ثم قال: وما ينفعكم إتيان رجلٍ إن جلس لم يضرّكم؟

قال: فقلت له: أتبايع ليزيد، وهو يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش؟!

قال: مَهْ! فأين ما قلتُ لكم؟ وكم بعده مِن آتٍ ممّن يشرب الخمر، أو هو شرٌّ من شاربها، أنتم إلي بيعته سراع؟ أما واللهِ إنّي لَأنهاكم وأنا أعلم أنّكم فاعلون ما أنتم فاعلون، حتّي يُصلَب مصلوب قريش بمكّة. يعني عبد الله بن الزبير ((1)).

وروي الطبريّ، قال:

وأمّا ابن عمر، فقدم فأقام أيّاماً، فانتظر حتّي جاءت البيعة من البلدان، فتقدّم الي الوليد بن عُتبة فبايعه، وبايعه ابن عبّاس ((2)).

وقال ابن الأثير، والنويريّ:وقدم هو (يعني ابن عمر) وابنُ عبّاس المدينة، فلمّا بايع الناس بايعا ((3)).

وقال ابن كثير:

1- الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 173.

2- تاريخ الطبريّ: 5 / 343.

3- أُنظر: الكامل لابن الأثير: 3 / 265، نهاية الأرب للنويريّ: 20 / 3852.

فلمّا مات معاوية سنة ستّين، وبُويع ليزيد، بايع ابنُ عمر وابن عبّاس ((1)).

هذه المتون الواردة في المصادر القديمة المعتمَدة تصرّح أنّ ابن عبّاسٍ قد بايع يزيدَ بعد هلاك معاوية!

وفي نصّ ابن قُتيبة _ وهو أقدمهم _ إفاداتٌ مهمّةٌ جديرةٌ بالتأمّل والاهتمام!

وفيه: أنّه قد أمر ببيعة يزيد، مع علمه أنّه يشرب الخمر ويلهو بالقيان ويستهتر بالفواحش، مع ذلك فهو يراه خير أهل معاوية، ولا يمتنع عن بيعته، ولا يتردّد ولا يتأخّر ولا يتقبّض ولا يتحرّج.

والحال أنّه تقبّض عن بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وتحرّج لدخوله فيما دخل فيه الناس، وهذا يعني أنّه يحفظ الذمام فيما يدخل فيه من بيعة، فهو حين بايع يزيد لابدّ له أن يعمل بمقتضي بيعته علي كلّ صعيد، ومنها أن لا يبايع غيره، تماماً كما فعل مع أمير المؤمنين (عليه السلام) ، إذ أنّه اعتذر إليه بدخوله في بيعة الرجل،فلم يبايع الإمام (عليه السلام) ولو علي نحو إعلان الاستعداد لذلك، كأن يقول له: إن بايعتُه ظاهراً فإنّي أُبايعك الآن.

رُوي في (تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ (رضي الله عنه)) مسنَداً عن الإمام أبي جعفر (عليه السلام) قال:

«قال أميرُ المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاة رسول الله (صلي الله عليه و آله) في المسجد والناس

ص: 32

1- البداية والنهاية لابن كثير: 5 / 151.

مجتمعون بصوتٍ عال: (الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ) ((1)).

فقال له ابن عبّاس: يا أبا الحسن، لـمَ قلتَ ما قلت؟!

قال: قرأتُ شيئاً من القرآن.

قال: لقد قلتَه لأمر.

قال: نعم، إنّ الله يقول في كتابه: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا) ((2))، أفتشهد علي رسول الله (صلي الله عليه و آله) أنّه استخلف فلاناً؟

قال: ما سمعتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله) أوصي إلّا إليك!

قال: فهلّا بايعتَني؟قال: اجتمع الناس عليه ((3))، فكنتُ منهم.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام) : كما اجتمع أهلُ العِجل علي العِجل، هاهنا فُتنتم، ومَثَلُكم (كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ) ((4))» ((5)).

1- سورة محمّد (صلي الله عليه و آله) : 1.

2- سورة الحشر: 7.

3- في (بحار الأنوار: 29 / 19 _ عن: تفسير القمّيّ): «علي أبي بكر».

4- سورة البقرة: 17 و18.

5- تفسير القمّيّ: 2 / 301 _ تفسير سورة محمّد (صلي الله عليه و آله) .

التدقيق في هذا الحديث الشريف الّذي يُروي عن الإمام أبي جعفرٍ الجواد (عليه السلام) ظاهراً بالنظر إلي الراوي المباشر، يفيد الكثير في تشخيص ابن عبّاس وما يمكن أن ينطبق عليه من الآيات الكريمات الّتي تلاها أمير المؤمنين (عليه السلام) .

وروي الطبرسيّ في (الاحتجاج) في خبرٍ عن أبي هذيل قال مُخبِراً عن عمر لمّا طُعن، دخل عليه عبد الله بن عبّاس، قال:

فرأيتُه جزعاً، فقلت: يا أمير المؤمنين، ما هذا الجزع؟

قال: يا ابن عبّاس، ما جزعي لأَجَلي، ولكنّ جزعي لهذا الأمر مَن يليه بعدي؟

قال: قلت: ولها طلحة بن عُبيد الله.قال: رجلٌ له حدّة، كان النبيّ (صلي الله عليه و آله) يعرفه، فلا أُولّي أمر المسلمين حديداً.

قال: قلت: ولها زُبير بن العوّام.

قال: رجلٌ بخيل، رأيتُه يماكس امرأته في كبّةٍ من غزل، فلا أُولّي أُمور المسلمين بخيلاً.

قال: قلت: ولها سعد بن أبي وقّاص.

قال: رجلٌ صاحب فرس وقَوس، وليس من أحلاس الخلافة.

قال: قلت: ولها عبد الرحمان بن عَوف.

قال: رجلٌ ليس يُحسِن أن يكفي عياله.

قال: قلت: ولها عبد الله بن عمر.

فاستوي جالساً، ثمّ قال: يا ابن عبّاس! ما اللهَ أردتَ بهذا، أُولّي رجلاً لم

يُحسِن أن يطلّق امرأته؟!

قال: قلت: ولها عثمان بن عفّان.

قال: واللهِ لئن ولّيتُه لَيحملنّ بني أبي معيط علي رقاب المسلمين، ويُوشَك أن يقتلوه. قالها ثلاثاً.

قال: ثمّ سكتُّ؛ لِما أعرفُ من مغائرته لأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) .

فقال: يا ابن عبّاس، اذكُر صاحبَك!قال: قلت: فولّها عليّاً.

قال: فواللهِ ما جزعي إلّا لِما أخذنا الحقّ من أربابه، واللهِ لئن ولّيتُه لَيحملنّهم علي المحجّة العظمي، وإن يطيعوه يُدخلهم الجنّة ((1)).

فهو لم يـدَعْ ذي مخلبٍ ونابٍ إلّا ذكره بين يدَي عمر، وأشاح عن ذكر أسد الله وأسد رسوله (صلي الله عليه و آله) أمير المؤمنين عليّ (عليه السلام) ، فقد سكت عنه لما يعرف من مغايرته له، فلا يريد أن يُزعج السلطان في ساعاته الأخيرة، ويذكر عنده مَن لا يحبّ، أو أنّه لا يجرؤ علي ذلك حتّي أذن له، أو أمره بذلك فذكره.

وروي الطبرسيّ أيضاً في (الاحتجاج) في خبرٍ طويلٍ عن الإمام العسكريّ، عن أبيه (عليهما السلام) :

«فقال (عليه السلام) : سبحان الله! أليس عبّاس بايع أبا بكرٍ وهو تَيميّ، والعبّاس هاشميّ؟ أوَليس عبد الله بن عبّاس كان يخدم عمر بن

1- الاحتجاج للطبرسيّ: 2 / 153.

الخطّاب وهو هاشميّ أبو الخلفاء، وعمر عدَويّ؟! وما بال عمر أدخل البُعداء من قريش في الشوري ولم يُدخِل العبّاس؟ فإنْ كان رفعنا لمن ليس بهاشـميّ علي هاشـميّ منكراً فأنكروا علي عبّاس بيعته لأبي بكر، وعلي عبد الله بن عبّاس خدمته لعمر بعد بيعته ...» ((1)).يمكن أن تُحمَل الخدمـة هنا علي الخدمـة بالمعني الاجتماعيّ، ويمكن أن تُحمَل بالمعني الأدقّ من ذلك، إذ أنّ ابن عبّاسٍ قد خدم رجال السـقيفة خدمةً لا تدانيها خدمة، حيث وفّر لهم الغطاء الشرعيّ بزعمهم، فكان أمير المؤمنين يومها ابن عمّ النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وابنُ عبّاسٍ ابنَ عمّ النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، وزعموا فيه إنّه ترجمان القرآن وحَبر الأُمّة، وغيرها من الألقاب الّتي طوّقته بهالةٍ من الجلالة والفخامة، وظلّلَته بغمامة العلم المطلوب عن النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، فكان البديل الّذي يمكن أن يمتّ رجال السقيفة إلي النبيّ (صلي الله عليه و آله) بصلةٍ قريبةٍ من خلال ابن عبّاس.

وقد مرّ معنا سابقاً أنّه لم يبايع الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وهو يزعم أنّه رأي وسمع جبرئيل ينادي: هلمّوا إلي بيعة الله.

ولا ننسـي أنّ يزيـد لم يكتب إلي واليه علي المدينـة ولا علي مكّـة بأخـذ البيعـة من ابن عبّاس، كما طالبه بأخذها من سـيّد الشـهداء (عليه السلام) وابن الزبير!

*****

نكتفي هنا بهذا القدر، ولو أردنا الاسترسال لَطال بنا المقام، ونحن لا نريد

1- الاحتجاج للطبرسيّ: 2 / 260.

الخروج عن المتن التاريخيّ الّذي بأيدينا، وإنّما ذكرنا هذه النصوص استطراداً وتزوّدنا بها كقبسة العجلان، ولم نستقصِ بدقّة المصادر وننظر في كلّ كتاب.

مع ذلك، فإنّ هـذا الشاهـد الّذي جاء في هذا القدر من النصوص التاريخيّة، قد يرقي بجدارةٍ إلي مستوي الدليل علي بيعة ابن عبّاس ليزيد، مع علمه أنّهشارب خمرٍ يلهو بالقيان مستهتر..

الشاهد الثالث: الاعتصام ببيعة يزيد

ورد في كتاب يزيد شكره علي رفض بيعة ابن الزبير واعتصامه ببيعة يزيد وفاءً منه ليزيد وطاعةً لله بتثبيت ما عرّفه الله من حقّه..

أمّا بعـد، فقـد بلغني أنّ الملحـد ابن الزبير دعاك إلي بيعته وعرض عليك الـدخول في طاعته، لتكون علي الباطل ظهيراً وفي المأثم شـريكاً، وأنّك امتنعت عليه واعتصمت ببيعتنا، وفاءً منك لنا وطاعةً لله فيما عرّفك من حقّنا ((1)).

فهو يشكره أو يُثني عليه أو يقدّر له هذا الموقف باعتباره قد بايع، ثمّ عُرضَت عليه بيعةٌ أُخري مِن قبل ابن الزبير فأبي عليه، والتزم البيعة الأُولي

1- أُنظر: جُمـل من أنسـاب الأشـراف للبلاذريّ: 5 / 321، المعجم الكـبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحيـاء الـتراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسـين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247، الكامل لابن الأثير: 3 / 318، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّيّ: 446.

التزاماً عبّر عنه ابن ميسون بالاعتصام ووفاءً بالعهد!

وزاد أن طلب منه إخبار الناس بتمسّكه ببيعته.. «فأعلمهم حُسنَ رأيك في طاعتي وتمسّكك ببيعتي».ويشهد لحصول البيعة منه أنّ مَن يقرأ ردّ ابن عبّاس علي هـذا الكتاب لا يجـد فيه أيّ إشارةٍ أو تلويـحٍ من قريبٍ أو من بعيـدٍ تفيـد أنّ ابن عبّاس اسـتنكر علي يزيد، أو تكذيبه، أو التعريض به، أو نفي ما ورد فيه من ذكر الاعتصام بالبيعة.

بل، لم يجد فيه ما يفيد تلويحاً أو تصـريحاً انسـلاخه من البيعة أو التنصّل منها، أو الخروج عن عقدها، وعلي العكس ربّما يُفهَم من تأكيده علي أن لا يصيبه من جراحة يده شيء، ويقتصر علي جراحة لسانه ما يفيد التزامه بالبيعة.

أجل، قد يكون ناقشه في قضـيّة الوفاء له والعمل بأوامره في تثبيط الناس عن ابن الزبير وما شاكل، والوفاء لشـخص يزيد شـيء والوفاء ببيعته شيء آخَر، وسنأتي علي بيان ذلك بعد قليل، إن شاء الله (تعالي).

فهو يقرّ ويعترف _ عاقبةً _ بما قاله يزيد بخصوص البيعة.

الشاهد الرابع: تصريح ابن عبّاسٍ بالبيعة ليزيد!

ورد في نصّ كتاب ابن عبّاس _ وفق ألفاظ جملةٍ من المصادر _ أنّه يصرّح ليزيد أنّه قد بايعه..

فقال في لفظ: «واللهِ بايعتُ أباك، وبايعتُك من بعد أبيك» ((1)).

1- أخبار الدولة العبّاسيّة: 88.

وفي لفظٍ آخَر: «فقد بايعتُك وأباك من قبلك» ((1)).وفي لفظٍ ثالث: «وقد علمت لمّا بايعتك» ((2)).

وهذا تصريحٌ واضحٌ لا غبار عليه، ولا يحتاج إلي تفسيرٍ ولا تعليق!

*****

نحسب أنّ هـذا القـدر كـافٍ لإثبات دخول ابن عبّاس في بيعـة يزيـد، أو علي الأقلّ الامتناع عن نفي بيعته، والتحرّز عن إطلاق النفي كقولٍ وحيدٍ لا مقابل له.

ويبـدو من النصوص أنّه قـد بـايع منـذ الأيّام الأُولي الّتي نزا فيها القرد المخمور علي منبر النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، قبل شـهادة الإمام الحسين (عليه السلام) وقبل خروجه من مكّة، وإذا اعتمدنا نصّ ابن قُتيبة فإنّه قد سارع إلي بيعته في مكّة وأمر بها.

الكشف الثالث: اعتراف يزيد بتأثير ابن عبّاسٍ في الناس

يبدو واضحاً من قول ابن ميسون:

فانظر مَن قِبلك ومَن يطرأُ إليك مِن أهل الآفاق ممّن يسحره الملحد وزخرفُ قوله، فأعلِمْهم حُسنَ رأيك في طاعتي وتمسّكك [خ ل:

ص: 39

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247.
2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 155، نفَس المهموم للقمّيّ: 446.

التمسّك] ببيعتي، فإنّهم لك أطوع ومنك أسمع منهم للمُحلّ الحارب الملحد المارق ((1)).

إنّ يزيـد يؤكّـد لابن عبّـاس أنّ الناس أطوع له وأسـمع منه لابن الزبير، ويـدعوه ليسـتغلّ ذلك ويوظّفه، ليُعلمهم حُسن رأيه في طاعـة يزيد والتمسّك ببيعته، ليتفرّقوا عن ابن الزبير ويخذلوه.

والمراجعة السريعة لردّ ابن عبّاس ـ كما سيأتي بعد قليل ـ تفيد بوضوحٍ أنّ ابن عبّاسٍ لا يُنكر ذلك علي يزيد ولا يتنكّر، ولا يرفض قوّة تأثيره في الناس وأنّهم أسمع له وأطوع.

وهو كـذلك، تماماً كما أخبر يزيـد وأقرّ به ابن عبّاس، وكيف لا يكون كذلك وقد «كان عمر بن الخطّاب يقرّبه ويدنيه ويشاوره»؟ ((2)) فهو من أعمدة القوم ورجالهم، كان ولا زال، وله من الوجاهة والمكانة في المجتمع ما يجعله مسموع الكلمة.

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشـراف للبلاذري: 5 / 321، تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236 ط الحيدريّة، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائـد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسـين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، الكامل لابن الأثير: 3 / 318، تذكرة الخواصّ لسـبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهمـوم للقمّيّ: 446، بحار الأنوار: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247.
2- أُنظر: اختيار معرفة الرجال: 1 / 272، تنقيح المقال للمامقانيّ: 2 / 191.

بَيد أنّنا نسأل هنا بعد الإقرار بمدي تأثيره البليغ في الناس قديماً وحديثاً، فنقول:

لماذا لم يوظّف ابنُ عبّاسٍ هـذه الطاقـة الفائقـة والقـدرة الهائلـة والسـلطة الروحيّـة والكلاميّـة والاجتماعيّـة والدينيّة وغيرها من الإمكانات الضخمة في ردع يزيد عن قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) أو تأليب الناس عليه وتخذيلهم عنه؟

وإن كان سيّد الشهداء _ كما يزعم ابن عبّاس ويفهم _ خارجاً! علي يزيد ومُقدِماً علي حربه ومقاتلته، فلماذا لا نسمع لابن عبّاسٍ همساً ولا ركزاً ولا دعوةً ولا خطبةً ولا تحريضاً ولا صرخةً ولا أيّ نشاطٍ يُذكر، يقوم به لجمع الرجال وحشد القوّات لنصرة سيّد الشهداء؟!!

نكتفي بهذا القدر!

الكشف الرابع: يزيد مِن أهل البيت!!!

ورد في لفظ الطبرانيّ والهيثميّ من كتاب يزيد قوله:

فـامتنعتَ عليه وانقبضت، لما عرّفك الله من نفسك في حقّنا أهل البيت ((1)).يبدو من السـياق أنّ أملوج الشجرة الملعونة في القرآن حشر نفسه وباقي بني أُميّة تحت عنوان (أهل البيت)، ليمتّ إلي النبيّ (صلي الله عليه و آله) وإلي ابن عبّاس

1- المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

بنسَبٍ وصِلة، وقد أكّد علي واشجة القرابة والرحم بينه وبين ابن عبّاس.

هكـذا لعبوا بالـدين، وقلبوا معاني القرآن الكريم، ونكّسوا القيَم والموازين، وعمّموا ما خصّه الله وخصّه رسوله (صـلي الله عليه و آله) نصّ اً صريحاً، وكرّر بيانه قولاً وفعلاً، وحصره حصراً تحت كساءٍ واحدٍ في أكثر من موطن وموقف ومشهد علي رؤوس الأشهاد.

هـذه الحقيقة المرّة الأجاج الحنظل الحراق الزعاق، والسمّ الذعاف القتّال المدمّر الّذي سـري في كيان الأُمّة، فأتي علي بنيانها من القواعد، وخدع العقول المنخورة والقلوب الخاوية والنفوس الضعيفة، حتّي أدخلوا كلَّ ما هبّ ودبّ وصدق عليه لفظ القرابة النسبيّة أو السببيّة القريبة والبعيدة، وذهبوا بها عريضة، فأدخلوا الأُمّة كلَّها في (أهل البيت)، كما هو واضحٌ لمن راجع كتب التفسير والرواية عند العامّة.

وهو كلامٌ يُسـيل الدمع من محجر الحجَر، ويبقي السامع ذاهلاً ساهماً، لا يدري أينفجر ضـحكاً أو يحترق حزناً ويفجّر العالم كلّه بالدموع بكاءً ويفيض الحزن بحاراً؟!بنو أُميّـة.. يزيـد الخمور والفجور والقرود والحقـد والبغضاء، المتقلّب في أحضان القيان وقهوات الدنان، مُعاقر الرذيلة وعشّ الخطيئة، جنحة ميسون.. يحشر أنفه السكران ليدخل تحت عنوان (أهل البيت)!!!

حاشا لبيتٍ رفعه الله وطهّره تطهيراً، وأحاطه بسور قداسته، وحصّنه بسياج قدسه، وأعزّه بعزّه، أن يقتحمه مثل هذا القرد الغاوي المترنّح.

*****

نتوقّف هنا عن الاسترسال مع كتاب القرد المخمور يزيد، ونمضي إلي كتاب ابن عبّاس، وفي مفاصله ذكرٌ لباقي فقرات كتاب يزيد.

ص: 43

القسم الثاني: ردّ ابن عبّاس

اشارة

ورد جواب ابن عبّاس علي كتاب يزيد في المصادر بألفاظ شتّي، غير أنّها اجتمعَت علي نقل بعض المضامين، واختلفَت في التقديم والتأخير والزيادة والنقصان قليلاً.

وسنأتي علي ذِكر ما يهمّنا من تلك المضامين:

المضمون الأوّل: تعليق بعض الأجوبة

يُلاحَظ في جواب ابن عبّاسٍ علي الموارد الّتي ذكرها يزيد في كتابه وأخبر أنّها قد بلغَته أنّه يعلّق الردّ علي ما إذا كان ما أُخبر به هو كما بلغه، فيقول:

بلغني كتابك بذِكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلي نفسه وامتناعي عليه في الّذي دعاني إليه من بيعته، فإن يكُ ذلك كما بلغك ... ((1)).

ص: 45

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236 ط الحيدريّة، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247.

ممّا يُشعِر أنّه يردّ عليه علي فرض صحّة ما أُبلغ به، وكأنّه يتنزّل معه من باب التسليم في المجادلة والردّ علي كلّ تقدير.

وهـذا بنفسه يورث في نفس المتلقّي شـعوراً بالشـكّ أو التشـكيك، فيحتمـل أن لاـ يكون هو قـد دُعي إلي البيعـة، أو أنّه دُعي وقبلها، أو أيّ احتمالٍ آخَر، بَيد أنّه يقول له علي فرض صحّة ما بلغك، فالجواب كذا.

المضمون الثاني: سبب الامتناع عن بيعة ابن الزبير

زعم يزيد أنّ ابن عبّاسٍ إنّما امتنع علي ابن الزبير ولم يبايعه التزاماً منه ببيعة يزيد واعتصاماً بها، ووفاءً لشـخص يزيد وحبّاً له، ورعايةً للرحم والوداد.

فردّ عليه ابن عبّاس: إنّه إن امتنع علي ابن الزبير، لا حبّاً في يزيد ولا وفاءً لشخصة ولا رعايةً للودّ.

هنـا يتحـدّث ابن عبّاسٍ عن موقفه من شـخص يزيـد (هـذا القرد المخمور المتمثّل في ابن ميسون)، من دون الإشارة إلي البيعـة له ونكثها والتحلّل منها، فهو لم يُنكِر أصلها ولا ينفي الاستمرار عليها والالتزام بها.

أجل، إنّه يشـعر بالنفرة والقرف من شـخص يزيد، وشـعوره الشخصـيّ شـيءٌ،والتزاماته الشـرعيّة أو التزاماته الّتي يفرضها عليه التقيّد بالعقد الاجتماعيّ شيءٌ آخَر.

فهو مهما كان نفوراً كارهاً متميّزاً غضـباً وغيضاً عليه، معتقداً فيه الضلالة والفسق والفجور وارتكاب الكبائر و إقدامه علي الجناية العظمي في تاريخ

البشريّة، غير أنّ هذا كلّه قد لا يسمح له بالتحلّل عن بيعةٍ أعطاها ومناولةٍ أقدم عليها فيما سبق.

وقد نفي ابنُ عبّاسٍ أن يكون ودّه ووفاءَه له شخصيّاً ومخاطبة حمده، بيد أنّه لم يُعرِب له عن سببٍ آخَر، وإنّما وكّل الأمر إلي علم الله، ليبقي السبب بينه وبين الله.

ولا يخفي أنّ البلاذريّ قد بتر هذه الفقرة، واكتفي بقوله: «فأجابه بجوابٍ طويل»، ثمّ شرع في ذِكر سؤال يزيد ابن عبّاسٍ أن يحثّ الناس عليه ويثبّطهم عن ابن الزبير..

*****

وأسباب الامتناع يمكن أن تكون كثيرةً جدّاً، من قبيل استنكاف ابن عبّاس عن البيعة لمثل ابن الزبير، الّذي لا يراه شيئاً مذكوراً، ولا يراه ذا بالٍ ولا قدرةٍ ولا قوّةٍ ولا سلطانٍ ولا حسَبٍ ولا نسَب، وغيرها من أسباب الاحتقار والدونيّة الّتي يراها ابن عبّاس في ابن الزبير، كما سمعنا في النزاع الّذي حصل بينهما في الحرم أو بعد اللقاء بسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقد مرّ معنا في هذه الدراسة فيما سبق،ليس بعيداً.

وربّما امتنع ابن عبّاسٍ عن بيعة ابن الزبير اجتناباً للفتنة، وخوفاً من الدخول في صراعٍ يؤدّي إلي سيلان دماء الأُمّة أنهاراً، وليس لابن عبّاس فيها ناقةٌ ولا جمل.

وربّما امتنع من البيعة ليبقي بعيداً عن بؤرة النزاع، ويتجنّب الدخول

لصالح أحد الطرفين، وهما عدوّان، فلْتستعر أوارُ الحرب بينهما، وليقتتلا بينهما، وينشغل العدوّ بالعدوّ، وإذا هلك أحدهما أو هلكا معاً فهو الرابح من بينهما علي كلّ تقدير.

وقد يكون اعتقاده بوجوب الوفاء بالبيعة مهما كلّف الأمر، ومهما كان وليّ الأمر ظالماً جائراً.

*****

وقد تقبّض ابن عبّاسٍ عن بيعة ابن الزبير حتّي بعد هلاك يزيد، ووعده أن يبايعه إن بايعه الناس واستوسقت له الأُمور ويتمكّن من البلاد، فقد روي ابن سعدٍ في (الطبقات) قال:

فلمّا جاء نعي يزيد بن معاوية، وبايع ابنُ الزبير لنفسه ودعا الناس إليه، دعا ابنَ عبّاسٍ ومحمّد ابن الحنفيّة إلي البيعة له، فأبَيا يبايعان له، وقالا: حتّي يجتمع لك البلاد ويتّسق لك الناس. فأقاما عليذلك ما أقاما ((1)).

وهكذا يمكن أن يكون للامتناع أسبابٌ كثيرة، بَيد أنّ ابن عبّاسٍ أجملها وأوكلها إلي عِلم الله، كيلا يتورّط في بيانها ليزيد، مع إقراره أنّ ثمّة نيّة منعَته من البيعة.

1- الطبقات الكبري لابن سعد: 5 / 75.

المضمون الثالث: وعد البرّ والصلة

اشارة

يبـدو من جواب ابن عبّاسٍ أنّ القرد المسـعور كان يتزلّف لابن عبّاس ليضـرب عـدّة أهدافٍ بسـهم واحد، إذ نجد في الجواب _ وفق بعض ألفاظ الخبر _ أنّ ابن عبّاسٍ يُقـدّم سـبب امتناعه عن بيعـة ابن الزبير، وأنّه لأمرٍ يعلمه الله، وليس المقصود ودّه ولا الوفاء لشـخص يزيد، ثمّ يؤكّد له أنّ حقّهم الّذي عند يزيد أكبر من أن يعوّضه بصلته، ثمّ يعلّل من جديد أنّه لا ينسي قتله سيّد الشهداء (عليه السلام) ..

الهدف الأوّل: التشجيع علي الامتناع عن بيعة ابن الزبير

مَن يقرأ كتاب ابن عبّاس، يجد واضحاً في سياق الردّ علي صلة يزيد ووعده بالبرّ أنّه يقصد تقديم الشكر لابن عبّاس تثميناً لموقفه في الامتناع عنبيعة ابن الزبير، لذا أكّد له ابن عبّاس أنّ امتناعه لم يكن من أجل شـخص يزيد، وإنّما هو لأمرٍ نواه وقد علمه الله، فهو لا ينتظر علي ذلك من يزيد صلةً ولا برّاً، ولا يريد أن يقايضه علي بيعة عدوّه أو الامتناع عنها.

الهدف الثاني: الحثّ علي دخول معركة يزيد وابن الزبير

يفيد كتاب يزيد أنّه كان يحثّ ابن عبّاس علي دخول معترك الصراع بين يزيد وابن الزبير لصالح الأوّل، ويشهد لذلك قوله:

وكتبتَ إليّ تذكر تعجيل برّي وصلتي، فاحبسْ أيّها الإنسان عنّي برّك وصلتك، فإنّي حابسٌ عنك ودّي ونصرتي.

ص: 49

وكذا غيرها من الألفاظ المنقولة في المصادر الأخري، تفيد بوضوحٍ أنّه لا يريد أن يدخل هذا المعترك، ولا يريد من يزيد برّاً ولا صلةً مقابل ذلك، فهو ليس في مقام المقايضة وبيع المواقف، لالتباس المشاهد وتداخلها، ولأنّه موتور، كما سيأتي بيانه بعد قليل.

الهدف الثالث: تطييب خاطر ابن عبّاس!

يبدو من السياق ومتابعة النصّ بوضوحٍ أنّ القرد المسعور أراد ترويض ابن عبّاس وتطييب خاطره بتعويضه بالبرّ والصلة _ فيما يزعم _ عن قتل أبناء عمومته وأنصارهم بتلك القتلة الفجيعة الّتي يصفها ابن عبّاس في بقيّة كتابه، ويشتري منه رضاه بقتل ابن عمّه وسيّد شباب أهل الجنّة ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وأهل بيته وصحبه النجوم الزواهر (عليهم السلام) .

لذا نجد في جواب ابن عبّاسٍ تأكيداً حثيثاً علي هذه القصّة بالذات، ورفضاً تامّاً لهذه المقايضة البائسة، وهو يقول له فيما يقول:

ولَعمري ما تعطينا ممّا في يديك لنا إلّا القليل، وتحبس منه العريض الطويل، لا أباً لك، أتراني أنسي قتلَك حسيناً وفتيان بني عبد المطّلب ... ((1)).

وقد فعلها ابن ميسون مع أهل البيت (عليهم السلام) كما في بعض الكتب، فقد أمر بالأنطاع من الأبريسم وصبّ عليها الأموال، وقال:

1- أُنظر: المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

يا أَمّ كلثوم! خذوا هذا المال عوض ما أصابكم.

فقالت أُمّ كلثوم: يا يزيد، ما أقلّ حياءك وأصلف وجهك! أتقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً؟! واللهِ لا كان ذلك أبداً ((1)).

*****

كأنّ ابن عبّاسٍ لوّح ليزيد أنّ ما تصلني به وتبرّني إنّما هو من فيض نداي، وأنّ يزيد أخذ كلّ حقوقه، ثمّ صار يصله من ماله.إذ يؤكّد ابن عبّاس ويقسم له بحياته هو أنّ ما يعطيهم يزيد ممّا في يديه من حقّهم إنْ هو إلّا القليل، وأنّه يحبس عنهم منه العريض الطويل.

فربّما قصد من حقّهم الّذي بيدَي يزيد: الخلافة والمُلك، وأنّه مهما أعطاهم فهو مقصّرٌ وحابسٌ عنهم، إذ أنّ علي يزيد أن يعطيهم زمام السلطنة، ويتنحّي لهم عن عرش الحكم، ويدفع إليهم تخت الملك.

المضمون الرابع: رفض دعوات يزيد وأسبابها

ربّما كان ما في المضمون الثالث مشتركاً مع مؤدّي هذا المضمون، بَيد أنّنا أفردناه للأهمّيّة من جهة، ولبيان نكتةٍ إضافيّةٍ لم تُذكَر هناك.

عندما دعا يزيدُ ابنَ عبّاسٍ لتخذيل الناس عن ابن الزبير وحثّهم علي

1- أُنظر: المنتخَب للطريحيّ: 2 / 497، بحار الأنوار: 45 / 196، العوالم للبحرانيّ: 17 / 422، نفَس المهموم للقمّيّ: 465، وسيلة الدارين للزنجانيّ: 400، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 145.

يزيد، ووعده البرّ والصلة، رفض ابن عبّاس، وقال:

تسألني نصرك وتحذوني علي ودّك، وقد قتلتَ حسيناً ... أتحسبني نسيتُ قتلَك حسيناً؟ ... ((1)).

فهو إنّما يعجب حين يري صلف يزيد ووقاحته وصلابة وجهه ونزقه ورعونته، ويرفض رفضاً باتّاً لأنّه تقدّم بهذه الدعوة بعد أن قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) ، وهم أبناء عمومة ابن عبّاس، ورحمه الواشجة القريبة، فكيف يتوقّع من ابن عبّاسٍ النصرةَ وقد أتي علي رهطه وأقربائه واستأصلهم من جديد الأرض، والجرح لمّا يندمل، والدماء لمّا تجفّ، وحروق السبي لا زالت تستعر؟!!

لكن ربّما ظنّ يزيد أنّ الأوائل استخدموا ابن عبّاسٍ ووظّفوه، وتجاوب الأخير معه يوم وظّفه لمهمّةٍ صعبةٍ وخطيرةٍ مع أبي الشهداء (عليه السلام) في مكّة المكرّمة، أنّ ابن عبّاسٍ سيستمرّ معه وينخرط في جهازه، حتّي بعد قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) بلا فاصلٍ زمنيّ بعيد، فردّه ابن عبّاس، وأفهمه أنّ للأمر حدود، وللنخوة بقايا في وجود الهاشميّين مهما بعدوا، فكفي ما قدّمه ليزيد حين كان يمكن حمله علي السعي فيما سمّاه ابن عبّاس: «إطفاء النائرة وإخماد الفتنة»، أمّا بعد قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فما ابن الزبير وما يزيد؟!

ص: 52

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 321، وانظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثمي: 7 / 250.

وكيف كان، فهو تمرّد علي شخص يزيد الخمور، وأراد إعلامه عن عدم الرضي بما فعله مع أقربائه وأبناء عمومته، ولو كان المعيار النسب والانتساب العشائريّ والنخوة القبليّة، لما صحّ لابن عبّاس أن يستجيب له، فالإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته أقرب رحماً لابن عبّاسٍ من يزيد وبني أُميّة.

من هنا أظهر ابنُ عبّاسٍ عجبه وقال:

فلا شيء أعجب من طلبك ودّي ونصري، وقد قتلتَ بني أبي،وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري ((1)).

وهو لم يذكر أحداً من أنصار سيّد الشهداء (عليهم السلام) ، ولم يطالب بثأر أحدٍ سوي بني عبد المطّلب، ولم يذكر تأسّفاً وتحسّراً علي سواهم، ولم ينوّه بهم لا من قريبٍ ولا من بعيد، وكلّ ما ذكرهم إنّما قال: قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطّلب، أو بني عبد المطّلب.

فربّما كان من باب ذكر الأهمّ والتغافل عن المهمّ، وأنّ أنصار أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) إنّما قُتلوا في الذبّ عنه، فليس لهم موضوعيّةٌ مستقلّةٌ عن بني عبد المطّلب، بَيد أنّ هذا النمط من التعامل ليس من أخلاق بني هاشم ووفائهم وعرفانهم.

ولو كان المعيار المُلك والاستئثار به، فبنو أُميّة هم المتسلّطون، وليس في آل أبي طالبٍ من الأحفاد مَن نازع أو ينازع فيه.

ص: 53

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 321، تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

المضمون الخامس: ذكر بعض المصائب

اشارة

ذكر ابن عبّاسٍ جملةً من المصائب الّتي جرت علي آل البيت، يمكن استعراضها هنا باقتضابٍ مفهرسة، نرجو من الله أن يوفّقنا للإشارة إلي بعضها فيثنايا البحث:

- إطراد الحسين بن عليّ من حرم رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلي حرم الله.

- دسّ الرجال إلي الإمام الحسين (عليه السلام) لتغتاله.

- إشخاص سيّد الشهداء (عليه السلام) من حرم الله إلي الكوفة، وخروجه منها خائفاً يترقّب.

- محاصرة الإمام الحسين (عليه السلام) في موضعٍ لا يستحلّ فيه القتال، ولو أراد أن يقاتله فيه لكان أعزَّ أهل البطحاء بالبطحاء قديماً وأعزّ أهلها بها حديثاً، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين، ولكنّ الإمام (عليه السلام) كره أن يكون هو الّذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، في حين كان يزيد لا يري للبيت حرمة.

- قاتل يزيدُ الإمام (عليه السلام) ودسّ إليه الرجال لتغتاله في الحرم، والإمام (عليه السلام) (لم يبتغه ضراباً).

- أمر ابنَ مرجانة باستقبال الحسين (عليه السلام) بالرجال، وتعجيل معالجته وترك مطاولته، والإلحاح عليه حتّي يقتله ومَن معه من أهل البيت من بني عبد المطّلب.

- رفض طلب الإمام الحسين بن عليّ (عليهما السلام) الموادعة.

- حبس الإمام (عليه السلام) ومنعه من الرجوع، إذ سألهم الرجعة.

ص: 54

- إغتنام الفرصة لقلّة الأنصار لاستئصاله وأهل بيته.
- قتل الإمام الحسين (عليه السلام) بأمر يزيد.
- قتل الحسين (عليه السلام) وفتيان بني عبد المطّلب مصابيح الدجي ونجوم الأعلام.
- قتلهم بالظماء.
- قتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته كأنّهم من الترك والكفر أو كابل.
- مغادرتهم مصرّعين في صعيدٍ واحد، مرمّلين بالدماء، مرمّلين بالتراب.
- سلبهم، وتركهم مسلوبين بالعراء.
- مغادرتهم من غير تكفين.
- مغادرتهم من غير دفن.
- تركهم في العراء، تسفي عليهم الرياح.
- تعريض الأجساد المقدّسة للخطر، تعروهم الذئاب وتنتابهم عرج الضباع.
- تسليط ابن مرجانة الدعيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة، اللئيم أُمّاً وأباً.
- حمل بنات عبد المطّلب وغلمةٍ صغارٍ من وُلده إلي يزيد سبايا.
- سبيهم بالشام مسلوبين كالسبي المجلوب.
- تبجّح يزيد بسبي أهل البيت أنّه قهرهم وتأمّر عليهم.

ص: 55

- الشماتة بحمل بنات رسول الله (صلي الله عليه و آله) وأطفاله وحرمه من العراق إلي الشام أَساري مجلوبين.
- حمل بنات رسول الله (صلي الله عليه و آله) وأطفاله وحرمه من العراق إلي الشام مسلوبين (تفرّد بذكر هذا اللفظ سبط ابن الجوزيّ).
- أخذ يزيد بثأر أهله الكفَرة الفجرة يوم بدر.
- إظهار يزيد الانتقام الّذي كان يخفيه والأضغانَ الّتي تكمن في قلبه كمَون النار في الزناد.
- جعل دم عثمان وسيلةً لإظهار الأحقاد والأضغان والانتقام.

*****

هذه جملةٌ من المصائب الّتي وقعَت علي أهل البيت (عليهم السلام) ، الّتي ذكرها ابن عبّاسٍ ونصّ عليها.

وهي بالرغم من أنّها عناوين ومجملات، بَيد أنّ فتح مغاليقها وتتبّع تفاصيلها يجمع مصائب سيّد الشهداء (عليه السلام) منذ خروجه من المدينة إلي المصرع وما جري بعده من الوقائع ومصائب السبي.

ونحن لا نريد تفصيلها هنا، وستأتي الإشارة إلي بعضها خلال البحث، ولكن نودّ أن نذكر هنا نكتةً قد تكون منهجيّةً مهمّة:

نكتة مهمّة

إنّ ما يتفلّت من هنا ومن هناك علي لسان الأشخاص أو المؤرّخين قديكون موضعاً موفّقاً لاصطياد المعلومة التاريخيّة.

فهـذا كلام ابن عبّاسٍ يفيـد أنّ يزيد قد دسّ الرجال لاغتيال سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) في الحرم الإلهيّ الآمن، وأنّهم قتلوا ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وأهل بيته ظماء، وأنّهم حملوا أهل بيت الرسالة مسلوبين، وغيرها من الإشارات الواردة في كتاب ابن عبّاس، ممّا يُعدّ شهادةً تاريخيّةً من معاصر، وإن لم يحضر الواقعة بنفسه، بَيد أنّ الأخبار بلغَته أو شاعت حتّي لم يعد يزيد نفسه ينكرها أو يتنكّر لها.

فلاـ يفوتنـا أن نتلقّف المعلومـة ونصـطادها، ولو في غير محلّهـا، فكتاب ابن عبّاسٍ ربّما أشار إلي مصائب تجاهلها المؤرّخ، أو تعامي عنها وحـاول أن يعفّي ويعمّي عليهـا، وربّما لا يعـدّه البعض من مضانّ أخبار المقتل والمصائب الّتي جرت علي آل الرسول (صـلي الله عليه و آله) .

وتفصيل الحديث في هذه النكتة ليس هذا محلّه.

المضمون السادس: حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) وفق ما شرحه ابن عبّاس!

اشارة

قد قرأنا فيما مضـي من هذه الدراسة موقف ابن عبّاسٍ وطريقة تعامله مع سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، ومحاولاته الحثيثة والقاسية أحياناً، والجريئـة الّتي تتجاوز حـدود الأدب أحياناً أُخري، وسـماجته في الإلحاح لمنع إمام الثقلين وسـيّدالكونين (عليه السـلام) من الخروج عن مكّة، رغم كلّ بيانات الإمام (عليه السلام) وشرحه الموقف وتأكيده بما لا يقبل الشكّ والتردّد أنّه في معرض الاغتيال القطعيّ وأنّ حياته

مهـدّدة، ومكثه في مكّ ة ـ ولو لأيامٍ قلائل قد لا تُعدّ في حساب الزمن ـ يؤدّي بالقطع واليقين إلي هتك حرمته وسـفك دمه الزاكي، وهتك حرمة الحرم الإلهيّ الآمن.

بَيد أنّنا نجد تصويراً آخر في كلام ابن عبّاسٍ يختلف عن مواقفه السابقة في مكّة، وما رسـمه من مشاهد تُزعج من يتابعها هناك، إذ أنّه بدا هنا كأنّه قد أدرك الحقيقة الّتي كان الإمام (عليه السـلام) يكشفها له وهو لا يكاد يعيها، فرجع يرسم نفس المشاهد الّتي رسمها له الإمام غريب الغربـاء (عليه السـلام) ، ويعرض نفس الوقـائع الّـتي تحقّقت علي الأـرض، ويكشف السـتار عن واقع تحرك الإمـام (عليه السـلام) ومكثه وانطلاقه في المدينة ومكّة وغيرها من المواطن، ودوافع العدوّ وعزمه والمزعجات التي جعجعت بالإمام (عليه السـلام) وأهل بيته واضـطرته للخروج من مسقط رأسه وحرم جدّه، ثمّ من حرم الله، ثمّ اضطرته لييمّم وجهه نحو العراق رغم ما فيه.

ويمكن أن نتابع ما رسـمه ابن عبّاسٍ في كتابه هذا من مشهدٍ مُشجٍ وأحداثٍ قارعةٍ تقرع القلوب وتصدّعها وتنتزع الأرواح وتلوّعها من خلال المشاهد التالية:

المشهد الأوّل: المطاردة من حرم الرسول إلي حرم الله

لقـد عبّر ابنُ عبّـاسٍ في كتـابه هـذا تعبيراً مختصـراً اختزل فيه جميع ما مرّ علي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) في مدينـة جـدّه، وكشف عن مظلوميّته، وأفاد بوضوحٍ أنّ خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) كان مطارداً في مدينة جدّه.. «اطرادك

حسيناً» ((1))، وأنّه لم يخرج منهـا إلّا مكرهاً، من دون أن يُقـدِم هو علي أيّ خطوةٍ تُعطي العـدوّ ذريعـةً للملاحقـة، وإنّما كانت المطاردة والإقـدام علي تنفيذ القتل وهتك حرمة حرم النبيّ (صـلي الله عليه و آله) وحرمة الدم الزاكي بين ظهراني مجتمع الصـحابة من المهاجرين والأنصار والتابعين، وهم يعلمون أنّ ريحانـة النبيّ (صـلي الله عليه و آله) لا يريد أن تُسـتحلّ به حرمة مدينة جدّه (صـلي الله عليه و آله) ، فلابدّ له أن يخرج، وبذلك يسيّرونه إلي حيث يريدون له أن يتوجّه، ليحقّقوا غرضهم في القضاء عليه وقتله.

لذا ورد في لفظ الطبرانيّ والهيثميّ أنّ يزيد سـيّر الإمام (عليه السلام) من حرم جدّه (صلي الله عليه و آله) : «تسييرك حسيناً من حرم رسول الله إلي حرم الله» ((2))، فكان التسييربالمطاردة.

وهذا ما قاله سيّد الشهداء (عليه السلام) بشتّي صنوف الكلام، والتعبير لابن عبّاس وغيره في المدينة قبيل الخروج وفي مكّة.

*****

«لقـد حوصـر الإمام (عليه السـلام) ليُجبَر علي البيعـة، إذ ورد الأمر من القرد الأُمويّ المجدور أن يأخذه أخذاً ضـيّقاً ليست فيه رخصةٌ ولا هوادة، ولا يرخّص له في

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، الكامل لابن الأثير: 3 / 218، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323.

2- أُنظر: المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

التأخير عن ذلك ((1))، فإن تأبّي ضُربَت عنقُه وبُعِثَ برأسه إليه ((2)).

وقد استعجل مروان قتلَ سيّد الشهداء (عليه السلام) إن أبي البيعة، وحرّض واليالمدينة علي ذلك ((3)).

ص: 60

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 313، الأخبار الطِّوال للدينوريّ: 228، تاريخ الطبريّ: 5 / 338، المنتظم لابن الجوزيّ: 5 / 322، الإرشاد للمفيد: 2 / 30، روضة الواعظين للفتّال: 146، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 324، العوالم للبحرانيّ: 17 / 173، الردّ علي المتعصّب العنيد لابن الجوزي: 34، الكامل لابن الأثير: 3 / 263.

2- أُنظر: المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 141، تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 215، الفتوح لابن أعثم: 5 / 10، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 179، مثير الأحزان لابن نما: 9، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 135، اللهوف لابن طاووس: 21، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 324، العوالم للبحرانيّ: 17 / 174، نهاية الأرَب للنويريّ: 20 / 376، تاريخ ابن خلدون: 3 / 19، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 181.

3- أُنظر: ترجمة الإمامة والسياسة لابن قُتيبة: 1 / 176، جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 317، الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 55، الإمام الحسين (عليه السلام) من تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، المحمودي: 200، تهذيب ابن بدران: 327، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2607، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 198، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162، الأخبار الطوال للدينوريّ: 230، تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 215، تاريخ الطبريّ: 5 / 339، المنتظم لابن الجوزيّ: 5 / 323، الفتوح لابن أعثم: 5 / 18، الإرشاد للمفيد: 2 / 30، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 324، العوالم للبحرانيّ: 17 / 176، نفَس المهموم للقمّيّ: 68، روضة الواعظين للفتّال: 146، الأمالي للشجريّ: 1 / 170، إعلام الوري للطبرسيّ: 222، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 183، المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 142، الكامل لابن الأثير: 3 / 264، مثير الأحزان لابن نما: 10، الجوهرة للبريّ: 41، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 135، اللهوف لابن طاووس: 23، نهاية الأرَب للنويريّ: 20 / 288، تاريخ ابن خلدون: 3 / 20، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 182، المنتخب للطريحيّ: 2 / 419، مقتل الحسين (عليه السلام) لأبي مخنف المشهور: 12.

ثمّ عاد القرد الأمويّ ليطالب برأس ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وسيّد شاب أهل الجنّة (عليه السلام) ، حينما كتب إليه الوليد يُخبره أنّ الحسين (عليه السلام) ليس يري لهم عليهطاعةً ولا بيعة، فلمّا ورد الكتاب علي ابن هند الفاجرة غضب لذلك غضباً شديداً، وكان إذا غضب انقلبت عيناه فعاد أحول، فكتب إلي الوليد بن عُتبة يأمره أن يأخذ البيعة ثانياً من أهل المدينة، ولْيكُن مع جوابه رأس الحسين بن عليّ ((1))..

ثمّ عاد الوليد ليُرسل الرسل إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ويُحضره ويضيّق عليه، ويلحّ عليه بالبيعة ((2))..

ص: 61

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 25، الأمالي للصدوق: 152، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 185، بحار الأنوار: 44 / 312، العوالم للبحرانيّ: 17 / 161.

2- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 341، الإرشاد للمفيد: 2 / 31، روضة الواعظين للفتّال: 147، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 326، العوالم للبحرانيّ: 17 / 176، نفَس المهموم للقمّيّ: 71، إعلام الوري للطبرسيّ: 222، الكامل لابن الأثير: 3 / 264، المنتخَب للطريحيّ: 2 / 420.

فتوجّه سيّد الشهداء (عليه السلام) إلي قبر جدّه في المدينة.. أجل، في المدينة.. يشكو إليه ويستشهده علي الأمّة، ويقول: فاشهد عليهم _ يا نبيّ الله _ أنّهم خذلوني وضيّعوني، وأنّهم لم يحفظوني، وهذا شكواي إليك حتّي ألقاك ((1))..

ثمّ عاد الوليد ليبعث ثالثاً خلفه، فلم يجده في منزله، فيحمد الله أنّه لم يبتلِ بدمه ولم يطالبه الله به.. يعني أنّه كان عازماً علي تنفيذ أوامر القرد الأُمويّ لولا أنّ سيّد الشهداء قد خرج! ((2))» ((3)).

فها هم عمّال ابن ميسون بالمدينة، يعجّلون علي الإمام (عليه السلام) ويسيؤون إليه، ويعجّلوا عليه بالكلام الفاحش، كما أخبر الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ابنَ عبّاس ((4)).

وها هو يزيد يطارد الإمام (عليه السلام) ، ويأمر مروان بقتله، ويُقدِم علي ذلك في حرم النبيّ (صلي الله عليه و آله) ومدينته ((5)).

ص: 62

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 26، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 186.

2- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 27، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 186، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 328، العوالم للبحرانيّ: 17 / 177، نفَس المهموم للقمّيّ: 72.

3- إقتباسٌ من كتاب (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة المنوّرة).

4- أُنظر: الأمالي للشجريّ: 1 / 182، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: 136.

5- مَن أحبّ التفصيل فلْيُراجع كتاب (ظروف خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة المنوّرة).

*****

لم يرضخ ابنُ عبّاسٍ من قبل حين كان الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) يُخبره بذلك، وإنّما كان يلحّ بسماجةٍ علي خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) ويتعامل معه باعتباره خارجاً من المدينة طالباً للأمر وقاصداً مواجهة يزيد مبتدئاً في الخروج بالمعني الاصطلاحيّ!

فيما نجده هنا يصرّح أنّ يزيد هو الّذي اطّرد الإمام (عليه السلام) وسيّره من مدينةجدّه (صلي الله عليه و آله) !

المشهد الثاني: مقاتلة الإمام في مكة ومحاولة اغتياله

لقد سمعنا ابن عبّاسٍ ورأينا موقفه في مكّة المكرمة، وأشرنا إلي بعض مفاصله قبل قليل، فلنري موقفه الآن في تقرير وقائع تلك الفترة، ويمكن جمعها في نقاطٍ بشكل عناوين:

- اطّراد يزيد الحسين بن عليّ (عليهما السلام) من حرم رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلي حرم الله.

- دسّه الرجال تغتاله.

- إستغلال يزيد تعظيم الإمام (عليه السلام) للحرم وكراهيته أن يكون هو الّذي يستحلّ حرمة البيت ورسول الله (صلي الله عليه و آله) ، ويزيد لم يُكبر ما أكبر الإمام (عليه السلام) ، فاغتنم ذلك فرصةً لقتله (عليه السلام) .

- خرج الإمام (عليه السلام) من مكّة لمّا رأي سوء رأي يزيد من دون أن

يبتغيه ضراباً، «فلمّا رأي سوء رأيك، شخص إلي العراق ولم يبتغك ضراباً، وكان أمر الله قدَراً مقدوراً».

▪ خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من مكّة تماماً كما خرج من المدينة، حيث خرج منها بصريح قول ابن عبّاس: «خائفاً يترقّب».

تسيير الرجال إلي الإمام (عليه السلام) ومَن معه وإدساسه إليهم، ليعاجلوه▪ فيقتله يزيد في حرم الله.

▪ ما زال يزيد يعاجل الإمام (عليه السلام) ليقتله، حتّي أشخصه من مكّة إلي أرض الكوفة، تزأر إليه خيله وجنوده زئير الأسد، فخرج منها خائفاً يترقّب.

▪ تسيير الخيول إلي الإمام الحسين (عليه السلام) ليُقتَل في الحرم، وما زال يزيد بذلك حتّي أشخصه إلي العراق، فخرج منها خائفاً يترقّب.

▪ إنفاذ أعوان يزيد إلي حرم الله لتقتل الحسين (عليه السلام) ، فما زال وراءه يخيفه حتّي أشخصه إلي العراق.

▪ كلّ ما فعله يزيد كان عداوةً منه لله ولرسوله (صلي الله عليه و آله) ولأهل بيته (عليهم السلام) .

*****

هذا مجمل ما ذكره ابن عبّاسٍ في شرحه لوقائع مكّة المكرمة أيّام تشرّفها وإشراقها بنور وجه الإمام الحسين (عليه السلام) .

ونحن لا نريد أن نقف عند كلّ واحدةٍ من هذه المفردات؛ إذ أنّنا أتينا عليها فيما سبق من الدراسة تفصيلاً من خلال أجوبة الإمام (عليه السلام) وردوده علي

المعترضين، من قبيل ابن عبّاسٍ نفسه.

غير أنّ فيمـا ذكره ابن عبّاس زيادة معلومات ربّما يصـعب الحصول عليها في موضع آخر، وهـذا ما يجعل المتلقّي يهتمّ بهـذه الفقرات الّتي ذكرهـا،ويتريّث عنـدها ليتأمّلهـا بعمقٍ ويكتشف منهـا أجواءً تهزّهـا الأعاصـير، وتملأ أرجاءها قعقعات السـلاح وصـهيل الخيل وتكاثف الزحوف والعسـاكر رائحـةً غاديـة، وتُنـذِر بوجود عيون وجواسـيس ورمـاةٍ وكمائن مزروعين في كلّ منعطف، ورجالٍ مختبئـةٍ في كلّ شارعٍ وزقاق، وأنظار متطلّعة متلصّصة وراء كلّ أسطوانةٍ من أسطوانات المسجد الحرام وضواحي مكّة وجبالها ووديانها..

فقـد تحـدّث ابن عبّـاسٍ عن تسـيير الخيول، وتحـدّث عن إنفاذ الأعوان، ودسِّ الرجال للاغتيال، حتّي لم يعُـدْ حرم الله آمناً لأبي عبـد الله الحسـين (عليه السـلام) ، وحصل كلّ ذلك باعترافٍ صـريح من ابن عبّاس من دون أن ينذرهم الإمام (عليه السلام) بشيء، ولم يبتغِ الإمام (عليه السلام) ضراباً ولا صداماً ولا مواجهة.

فاسـتغلّ يزيد تعظيم الإمام (عليه السلام) لحرمة البيت الحرام، فارتكب كلّ وسيلةٍ يمكنها أن تحقّق له غرضه في قتل الإمام (عليه السلام) .

فرأي الإمام (عليه السـلام) سوء رأي يزيد اللاهي بالقيان والمعازف والدنان، فاضـطرّ للخروج، وهو ما عبّر عنه ابن عبّاس: «أشخصته»، أي أنّ يزيد أقدم علي تنفيذ ما يريد من هتك الدم الزاكي في الحرم الزاكي، فكان هو السبب في إخراج الإمام (عليه السلام) من مكّة وإشخاصه إلي العراق.

ويُلاحَظ أنّ ابن عبّاس في أكثر من موضع يتحدّث عن خروج الإمام (عليه السلام)

من مكّة كخروج اضـطراريّ غير طوعيّ، بعد أن حاصـره الزنيم فسدّ عليه الآفاق إلّا أفق العراق، وهو الإشـخاص والتسـيير الّذي عبّر عنه ابن عبّاس.وكـلّ ذلـك إنّمـا كان عـداوةً لله ولرسوله (صـلي الله عليه و آله) ولأهل بيته (عليهم السـلام) ، واسـتجابةً للأحقاد البدريّـة والحنينيّة والخيبريّة وغيرها، وليس ذلك احتياطاً ممّا يقدم عليه الإمام (عليه السـلام) ، إذ أنّه لم يُقدِم علي شـيءٍ يهدّد السـلطة والسلطان، ولم يقُلْ أو يفعل ما يمكن تأويله وتحميله وعرضه في إطار مواجهـة الأُمويّين وقرودهم النازيـة، ولا نزاعاً وقتالاً علي الملك العقيم، إذ لـم ينازعه الإمام (عليه السلام) علي ذلك.

*****

هذا ما أفصح عنه ابن عبّاس هنا، وهو نفسه ما كرّره عليه الإمام الحسين (عليه السلام) أيّام تواجده في مكّة، وكم من مرّةٍ شرح له الإمام (عليه السـلام) نفس هـذه الظروف، وكشف له عن نفس هـذه المخاطر، وصـرّح له بتعرّضه للاغتيال وللقتل والقتال في مكّـة، بَيد أنّ ابن عبّاسٍ لم يكن يتصرّف مع الإمام (عليه السلام) _ يومها _ تصرّف مَن يُدرك ذلك، كما مرّ معنا.

فهل قال ما قاله اليوم لأنّه أذعن! وعرف أنّ ما ذكره له يزيد في كتابه عن سـيّد الشهداء (عليه السلام) واتّهامه إيّاه أنّه ينازعه الملك، وأنّه يجمع الرجال ويعدّ العدّة لذلك، كان كذباً وافتراءً من يزيد؟!

*****

نحسب أنّ ما جاء في هذا المضـمون كافٍ وافٍ لبيان مجريات أحداث مكّة ومظلوميّة سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وإقناع المتلقّي بما يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) لم يكن هو

البادئ أبداً، ولم يبيّت أمراً، ولم يخطّط للخروج ب-- (المعني المصطلح)، وإنّما كان الأعداء هم الّذين يريدون قتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) كيفما اتّفق، وأين ما اتّفق، وبأيّ ثمن، وأيّ زمان، ويستعجلون في ذلك استعجالاً!

المشهد الثالث: إشخاص الإمام (عليه السلام) من حرم الله إلي الكوفة

اشارة

يمكن أن يرسم لهذا المشهد صورتين:

الصورة الأُولي: الصورة المعروفة

مرّ معنا في المشهد الثاني مجمل الوقائع الّتي حصلَت في مكّة، وكانت كلّ نقطةٍ ذكرناها هناك جديرةً بالاهتمام والحديث تفصيلاً عنها، ولكنّا تركنا التعرّض لها بإسهاب؛ خوفاً من الإطالة والتكرار، لأنّها مضت بنحوٍ ما فيما سبق من البحث.

بَيد أنّ ثمّة مشهدٌ مروّعٌ رسمه ابن عبّاس لخروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة، يمكن تحديد معالمه من خلال التعبير ب «الإشخاص»، و«التسيير»، و«الخروج منها خائفاً يترقّب»..

إنّها ترسم نفس مشهد الخروج من المدينة.. خروجٌ يظلّله الخوف والترقّب..

خروجٌ لا يمكن أن يُوصَف به من يريد الخروج ب-- (المعني المصطلح)..

خروجٌ لا يناسب من يخطّط للهجوم، ويحسب لجمع العدّة والعديد..

خروجٌ لا ينسجم مع خروج مَن يتوثّب للمواجهة والمجابهة والتصدّي..

ص: 67

خروجٌ لا يلتئم مع من يبيّت للحرب والقتال والإطاحة بالحكم..

خروجٌ لا يلتقي مع أهداف من لا يريد (المتاركة) إن تركوه!

خروجٌ ينسجم مع وحشيّة العدوّ وجرأته علي انتهاك الحرمات، وعزمه علي قتل حبيب الله والتخطيط لذلك..

خروجُ مَن هجموا عليه، فحاد عنهم واختار أن لا يسمح لهم أن يقتلوه، فيهتكوا حرمة البيت وحرمته في آن..

خروجُ مَن علم عِلم اليقين أنّ القوم يلاحقوه ولا يتركوه، رغم أنّه تاركهم..

خروجٌ مروّعٌ يقضّ علي المؤمن الغيور مضجعه، ويفتّت كبده، ويقطّع أنياط قلبه..

أيُشرَّد ابنُ بنت خاتم النبيّين (صلي الله عليه و آله) ، ويبيت يزيد في لذاته متنعماً؟!!

الصورة الثانية: الصورة الجديدة

قيل _ ولسنا بصدد مناقشة القول نفياً أو إثباتاً _:

إنّ تسيير الإمام (عليه السلام) وإخراجه من المدينة إلي مكّة، ثمّ إلي العراق، كان بتخطيطٍ من الأُمويّين، لأغراض كثيرةٍ ذكروا جملةً منها:

فمنها:

التخطيط ليُقتل الإمام (عليه السلام) في الكوفة بالذات، باعتبار أنّها كانت موطناً للشيعة، لتلقي تبعات قتل الإمام (عليه السلام) عليهم، ويُنسَب قتل الإمام (عليه السلام) إلي شيعته،وهو ما كان ولا زال الأعداء ينفخون في صوره المبحوح المنخور.

ومنها:

أن يُشخِصوا الإمام (عليه السلام) إلي العراق، وهم يعرفون قوّته وشجاعته وقدراته، ومَن معه من رجالٍ وفتيان، باعتبار أنّ الكوفة كانت يومذاك ثكنةً عسكريّةً ومقرّاً يجمع صناديدهم ومقاتليهم الأشدّاء، فلا يضطرّ العدوّ إلي تحريك قطعاته ونقل عساكره من الكوفة إلي أيّ صقع آخر، إذ أنّ هذا التحريك سيجرّ عليهم الكثير من الخسائر الماديّة والمعنويّة والزمانيّة وغيرها..

وهكذا ذكروا لذلك مسوّغاتٍ وأسباباً وعللاً كثيرة، واستشهدوا لذلك بما ورد في كتاب ابن عبّاسٍ وغيرها من النصوص التاريخيّة الّتي تفيد أنّ الأُمويّين كانوا يعملون علي محاصرة الإمام (عليه السلام) من جميع الجهات ويحيطون به، ليسيّروه إلي الكوفة.

واستشهدوا كذلك:

بقول الإمام (عليه السلام) :

«إنّما (القوم) يطلبونني، وقد وجدوني، وما كانت كُتب مَن كَتب إليّ ـ فيما أظن! ـ إلّا مكيدةً لي وتقرّباً إلي ابن معاوية بي» ((1)).

واستشهدوا كذلك:إنّ أكثر مَن كاتب الإمام (عليه السلام) وراسله كان من أتباع العجل والسامريّ، وهم الأكثريّة الكاثرة يومذاك في الكوفة، وكان فيهم من رؤوس الضلال وأركان عسكر يزيد، من قبيل: شبث بن ربعيّ، وعزرة بن قيس، وحجّار بن أبجر.

1- أنساب الأشراف للبلاذريّ: 3 / 185.

واستشهدوا أيضاً:

بجملةٍ من النصوص المقدّسة، من قبيل: ما رواه الراونديّ وغيره بسندٍ عن جابر عن أبي جعفر (عليه السلام) قال _ في حديث _:

«قال الحسين بن عليّ (عليهما السلام) لأصحابه قبل أن يُقتَل: إنّ رسول الله (صلي الله عليه و آله) قال: يا بُنيّ، إنّك ستُساق إلي العراق، وهي أرضٌ قد التقي بها النبيّون وأوصياء النبيّين، وهي أرضٌ تُدعي: عمورا، وإنّك تُستشهَد بها، ويُستشهَد معك جماعةٌ من أصحابك ...» ((1)).

واستفادوا من قوله (صلي الله عليه و آله) : «ستُساق»، بتقريب أنّ النبيّ (صلي الله عليه و آله) لم يقل: ستخرج، أو ستذهب، أو ستهاجر، أو أيّ لفظٍ آخَر يفيد خروج الإمام (عليه السلام) إلي العراق طواعية، وإنّما استعمل: «ستُساق»، وهو يفيد الدفع، وما يفيده لفظ: (السوق).فيكون خروج الإمام (عليه السلام) إلي العراق ضمن مجريات الحوادث الخارجيّة والظروف المحسوسة المرئيّة والحركات الحاصلة في صفحة الأيام الملحوظة للخاصّ والعامّ _ بغض النظر عن البُعد الغيبيّ _ إنّما هو بسوق الأعداء، وتسييرهم، وتخطيطهم، كي يُشخصوا الإمام (عليه السلام) ومَن معه إلي العراق!

1- الخرائج للراونديّ: 2 / 848 ح 63، مختصر البصائر للحلّي: 139 ح 107 _ بتحقيق: مشتاق المظفّر، نوادر الأخبار للفيض الكاشانيّ: 286 ح 5، إثبات الهداة للحرّ العامليّ: 1 / 341 ح 281، الإيقاظ من الهجعة للحرّ العامليّ: 352، بحار الأنوار: 45 / 80 ح 6، العوالم للبحرانيّ: 17 / 344.

المشهد الرابع: تسليط ابن مرجانة وأمره بقتل الإمام

ميّز ابن عبّاس المفاصل المهمّة الّتي أثّرت فيه، وخلّفت جرحاً عميقاً لا يندمل، بتقديم ما يفيد أنّه لا ينساها أبداً.

وجعل من بين تلك المصائب الّتي لا ينساها أبداً _ مهما كان _ تسليط ابن مرجانة الدعيّ ابن الدعيّ للعاهرة الفاجرة، البعيد رحماً، اللئيم أُمّاً وأباً، الّذي ادّعاه معاوية، واكتسب به العار والخزي والمذلّة في الدنيا والآخرة ((1))، وفي الممات والمحيا ((2)).

والمصيبة هنا مصيبتان:

إحداهما: التسليط.والتسليط لا يكون إلّا بعد أن يكون المسلَّط عليه قد أُحيط به، وأُسر أسراً شديداً يمكّن المتسلِّط من تنفيذ ما يريد.

والأُخري: أن يكون المسلَّط دعيّاً ابن دعيّ، منسوباً للعاهرة الفاجرة.

وثمّة مصيبةٌ ثالثة، وهي: أن يكون المسلِّط الآمرُ دعيّاً ابن دعيّ، منسوباً للعواهر الفواجر.

فقد رُوي أنّه:

ص: 71

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 321، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

2- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234.

لمّا قَتل أميرُ المؤمنين عمرو بن ودّ، ونُعي إلي أختِه، قالت: مَن ذا الّذي اجترأ عليه؟ فقالوا: عليّ بن أبي طالب. فقالت: لم يعد موته إلّا علي يد كفوٍ كريم، لا رقأت دمعتي إن أهرقتُها عليه، قتل الأبطال وبارز الأقران، وكانت منيّته علي يدٍ كريم.

ثمّ أنشأت تقول:

لو كان قاتلُ عمروٍ غيرَ قاتله

لكنتُ أبكي عليه

دائمَ الأبدِ

لكنّ قاتله مَن لا نظير له

وكان يُدعي قديماً: بيضة البلدِ ((1))

وهـذه من مصائب الـدهر الّتي لا ترقأ الدموعُ لها أبد الآبدين، أن يكون قتلَةُ خير الخلق وسـيّد شـباب أهل الجنّة (عليه السـلام) أولادَ بغايا عاهراتٍ رخيصاتٍ نتنات،يعرض عنهنّ المتسكّع في دور الدعارة وحارات البغاء.

المشهد الخامس: استقبال الإمام الحسين (عليه السلام) بالرجال ومعاجلته

أضاف ابن عبّاسٍ _ علي تسليط ابن الأَمة الفاجرة علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وأهل بيته _ معلومةً لم يُنكرها ولم يتنكّر لها ابن ميسون، إذ ورد في كتابه أنّ يزيد هو الّذي أشخص الإمام (عليه السلام) من مكّة إلي أرض الكوفة، فزلزلت به خيلُه، وخرج منها خائفاً يترقّب، وكتب إلي ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالخيل والرجال والأسنّة والسيوف، وأمره بمعاجلته وترك مطاولته والإلحاح عليه

1- أُنظر: إرشاد القلوب للديلميّ: 2 / 245، الفصول المختارة للمفيد: 292، كشف الغمّة للإربليّ: 1 / 206، بحار الأنوار للمجلسيّ: 41 / 98.

حتّي يقتله ومَن معه من بني عبد المطّلب، عداوةً لله ولرسوله ولأهل بيته ((1)).

لا يبدو من كلام ابن عبّاسٍ في تقرير هذه المعلومات أيّ إقدامٍ خاصٍّ أقدم عليه أبو الشهداء (عليه السلام) وسيّدهم، بل علي العكس تماماً، تتزاحم أوامر ابن ميسون وتتكاثر وتتدافع الواحدة تلو الأُخري، وتبدأ من إشخاص الإمام (عليه السلام) من مكّة إلي الكوفة، وتنتهي بقتله ومَن معه.

هو الّذي أشخص الإمام (عليه السلام) ..هو الّذي أمر أن يستقبله ابنُ مرجانة بالخيل والرجال والأسنّة والسيوف..

هو الّذي أمر بمعاجلته وترك مطاولته والإلحاح عليه حتّي يقتله..

هو لا يريد أيّ حديثٍ ولا كلامٍ ولا مفاوضاتٍ ولا حلول وسطٍ ولا فتح أيّ فُرجةٍ يمكن أن تنتهي بدفع القتل عن ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) .

إنّه يستعجل قتل الإمام (عليه السلام) ، ويأمر بالمعاجلة من دون أيّ مطاولةٍ وإلحاح.

لا يريد شيئاً سوي أن يقتله ابن مرجانة ومَن معه من بني عبد المطّلب.

كلّ ذلك عداوةً لله ولرسوله (صلي الله عليه و آله) ولأهل بيته.

المطلوب هو رأس سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وعزيز النبيّ (صلي الله عليه و آله) والزهراء (عليها السلام) ، ورؤوس فتيان بني عبد المطّلب!

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، الكامل لابن الأثير: 3 / 318، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323.

ويرجع الكلام من جديد:

لا يجد المتلقّي في كلام ابن عبّاسٍ أيّ بادرةٍ تشير إلي إقدام سيّد الشهداء (عليه السلام) علي شيء _ أيّاً كان _، وإنّما يفيد بوضوحٍ وجلاءٍ مبادرات العدوّ الوحشيّ.

العدوّ هو الّذي أعدّ واستعدّ وأمر وفتح خزائنه وجمع العدّة والعدد، وسلّط ابن مرجانة ليحقّق ما يريد.

المشهد السادس: رفض الموادعة!

لحديث طلب الموادعة وسؤال الرجعة شجونٌ وشجون، وهو كلامٌ يطول ويطول، وسنأتي عليه في محلّه، إن شاء الله (تعالي)..وما يهمّنا الآن هذا المقطع من كلام ابن عبّاس مع يزيد العهر والفجور، ولا نريد الاسترسال للتدليل وذكر الشواهد والنصوص والمواقف وعدد المرّات الّتي طلب فيها الإمام (عليه السلام) الموادعة من المدينة إلي كربلاء إلي حين الشهادة.

فطلب إليكم الحسين الموادعة، وسألكم الرجعة (1).

إنّ المشهد الّذي يرسمه ابن عبّاسٍ في كتابه يصرع المتلقّي، ويرميه في دوّامةٍ مذهلة، إذ أنّه يؤكّد بعباراتٍ شتّي إنّ يزيد هو الّذي أشخص الإمام (عليه السلام)

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، الكامل لابن الأثير: 3 / 318، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641.

من المدينة إلي مكّة ثمّ إلي العراق، من غير أن يصدر من الإمام (عليه السلام) ما يُنذرهم ويهدّدهم..

ثمّ يرسم مشـهد استعجال يزيد قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأمره ابن الأَمة الفاجرة بالمعاجلة، وأن لا يتريّث في قتله ومَن معه، وأن لا يدَع له فرصة المطاولة..

ثمّ يصوّر لنا هنا مشهداً مروّعاً، حيث يطلب الإمام (عليه السلام) الموادعة، الموادعة، الموادعة! ويسأل الرجعة، الرجعة، الرجعة!

فيأبون عليه، وينتهزون الفرصـة ليقتلوه في قلّةٍ من الأنصار والأعوان!لا يمكن أن نتصوّر أنّ الإمام (عليه السـلام) قد أخطأ في تقديره للظروف في العراق، وأنّ الكتب والرسائل ووعود المكاتبين قد انطلت عليه وخدعته _ نسـتغفر الله ونسـتجير به من هذه الفروض، ونعتذر إلي سـيّدنا ومليكنا سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) _.

فهو إنّما أقدم علي العراق مضـطرّاً في تقديرات الواقع وتحقّق الوقائع المنظورة، وقد أسـره القوم في (شِراف) بجحفلٍ يربو علي الألف فارس، وهو يدعوهم للموادعة، ويذكّرهم بالله ويعظهم فلا يتّعظون.

الموادعة..

هل تنسجم الموادعة مع التجهيز للقتل والقتال ومهاجمة أكداس الحديد والرجال؟

هل تلتئم الموادعة مع الإصرار المسبق علي (عدم المتاركة)، وأنْ لو تركه

القوم ما تركهم الإمام الحسين؟! ((1)) وحقيقة المُوادعة: المُتاركة! ((2))

هل يقبل مَن عزم علي الخروج ب-- (المعني المصطلَح) أن يوادع ويدعو إلي الموادعة؟!

هل يدعو إلي الموادعة ويسأل الرجعة مَن أقدم علي عمليّةٍ انتحاريّةٍ تهدفإلي هزّ الوجدان الشعبيّ وإنقاذ الأُمّة من الشلل النفسيّ والازدواجيّة وحفظ القيَم الإسلاميّة؟! ((3))

هل قدّر الإمام (عليه السلام) وحسب وفق موازين الظاهر المنظور، ثمّ انكشف له انقلاب الناس عليه، فطلب الموادعة والرجعة؟!!

نستغفرك اللّهمّ، إنْ هذا إلّا بهتانٌ عظيم!

ثمّ إنّ التقديرات لا تصيب ولا تستقيم، بعد أن بلغه خبر شهادة مسلم بن عقيل (عليهما السلام) ، وانقلاب الكوفة علي حظّها ودنياها وآخرتها، وكان الإمام (عليه السلام) حينها بعد لم يُؤسَر من قِبل الجيش الأُمويّ في شراف.

نحسب أنّ التأمّل والتعمّق وإمعان النظر في طلب الموادعة وسؤال الرجعة، مع إغفال السوابق الذهنيّة والموروث الّذي تكوّن منه البناء العقليّ المعاصر، من الضروريّات الّتي لا ينبغي للباحث في شأن سيّد الشهداء (عليه السلام) أن يتواني بها، وهي تدعو المتلقّي بجدٍّ لإعادة النظر في تصوير الإمام (عليه السلام) في صورة المهاجم

1- أُنظر: مع الركب الحسينيّ: 2 / 270.
2- أُنظر: لسان العرب، والنهاية لابن الأثير: وَدَعَ.
3- أُنظر: أنصار الحسين (عليه السلام) للشيخ شمس الدين: 12 مقدّمة الطبعة الثانية.

لأيّ غرضٍ كان، وتصوير العدوّ في صورة الدفاع عن النفس وعرش السلطنة!

*****

نكتفي بهذا القدر من الإشارة العابرة، اعتماداً علي نباهة المتلقّي ودقّتهوذكائه وشدّة حبّه وتقديسه لإمامه (عليه السلام) .

المشهد السابع: الشماتة بقتل الإمام (عليه السلام)

يرسم ابن عبّاسٍ في كتابه مشـهداً لقساوة يزيد وجنوده وجلفيّتهم وشماتته بقتل سلالة الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) ، لا يطيق مَن ألقي السمع وله قلبٌ أن يستمع إليها ويتصوّرها..

قتلوهم كما لو قتلوا قوماً من الكفّار والترك والـديلم، وغادروهم مصـرَّعين في صـعيدٍ واحـد، مرمَّلين بالـدم والتراب، مسـلوبين بالعراء، غير مكفّنين ولا موسّدين، تسفي عليهم الرياح، وتعروهم الذئاب، وتنتابهم عرج الضباع.

ثمّ جعل يزيد يهتزّ طرباً وفرحاً مسروراً جذلان، يُبدي الشماتة ألواناً فألواناً..

لقد منعوهم الماء فقتلوهم ظماءً عطشانين، وقتلوا الأطفال والرضّع، وقطّعوهم آراباً بخناجر الحقد والضغينة.

إنّ طريقـة القتل والحرب والقتال في كربلاء لم تكن هي الطريقـة المعهودة في الحروب العاديـة، وإنّما كانوا يُمعِنون في التقطيع والتعذيب وقطع الرؤوس، علي مرأيً ومسمع من الأُمّهات والأخوات والبنات والأطفال، وإذا تكاثروا علي أحد

أبطـال الطفّ وأسود آل أبي طـالب، لم يكتفوا بالقتل وحزّ الرأس، وإنّما كانوا لا يوفّرون سـهماً ولا رمحاً ولا سـيفاً إلّا غرزوه ومزّقوه تمزيقاً، وهميصـرّون علي أسـنانهم ويصـكّون الضـربة صـكّاً ويستمدّون من جميع قوي البدن، لتكون زخماً مضاعفاً للطعنة، وهو ما ينمّ عن مدي الحقد والضغينة والعداوة والبغضاء والكراهية والحنق والإحن والشنآن ونتن الانتقام.

وتركهم علي الصعيد من غير غسلٍ ولا كفنٍ ولا توسيد، تماماً كما يفعلون مع الكفّار ـ والعياذ بالله ـ.

لقد شمت القرد السافل حليف القيان والقرود والقمار والدنان بكلّ أنواع الشماتة قولاً وفعلاً!

المشهد السابع: قتلهم كقتل الكفّار!

لقـد دأب القوم منذ أن غمضَت عينُ النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ورحل إلي الرفيق الأعلي علي وصف أهل بيته (أصـحاب الكساء (عليهم السـلام)) بالخوارج، واتّهموهم بشقّ العصا وتفريق الجمع ومخالفة السـنّة، وغيرها ممّا ارتكبوه هم، كي يتسنّي لهم تحكيم مواطئ أقدامهم وتربّعهم علي دست السـلطنة، وهم لا يمكنهم أن يحقّقوا ما يريـدون إلّا إذا ضـلّلوا وخدعوا وقلبوا الموازين ونكّسوا القيَم وحرّفوا كتاب الله وبدّلوا سنّة رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وعرضوا الباطل المزيّف المموّه في صورة الحقّ والحقَّ الصراح في هيئة الباطل.

وهذا ما فعلوه تماماً مع سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، إذ ألّبوا عليه أتباعهم وكلابهم، فكان كلٌّ منهم يتقرّب بدمه إلي الله (تعالي)، وتديّنوا بقتل سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله)

وريحانته وهتك حرماته.وكما قال ابن عبّاس:

عدوتُم عليهم فقتلتموهم، كأنّما قتلتم أهلَ بيتٍ من الترك ((1)) والكفر ((2)) وكابل ((3)) ... كالسبي المجلوب ((4)).

وقد مارسوا هذه العقيدة البائسة النتنة عمليّاً حين تركوهم مجزّرين كالأضاحي علي الصعيد، مرمّلين بالدماء والتراب من دون تجهيزٍ ولا صلاةٍ ولا دفن، وهذا ما يُفعل بالكفّار!!!

هذه هي الطامّة الكبري والمصيبة الّتي جلّت وعظمت في السماوات والأرضين وفي الدنيا والدين، إذ أنّهم قتلوا الدين باسم الدين، وقتلوا الصلاة والصيام والتكبير والتهليل، وهم يكبّرون ويهلّلون!

*****

رُبّ مراجعةٍ سريعةٍ لمتون الزيارات المقدّسة الواردة عن أهل البيت، تفيد المتلقّي بسرعةٍ أنّ ما ورد فيها من شهاداتٍ يتقدّم بها المؤمن الزائر بين يدَي إمامه سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، إنّما هي بإزاء ما زعمه أعداء الله وأعداء

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323.
2- تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236، الكامل لابن الأثير: 3 / 318.
3- المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.
4- تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323.

رسوله (صلي الله عليه و آله) في الإمام الصادق اليقين (عليه السلام) ، فهو يشهد علي الدوام للإمام (عليه السلام) أنّه: قد أقام الصلاة، وآتي الزكاة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وعبد الله حتّي أتاه اليقين، وأنّه لم يمل من حقٍّ إلي باطل، ولم تأخذه في الله لومةُ لائم، وأنّه عمل بشرع الله وسُنّة رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وهكذا..

فربّما كان هذا وجهٌ من الوجوه القريبة جدّاً لتفسير هذه الشهادات الّتي يشهد بها الزائر، ليقول للإمام (عليه السلام) : إنّي اعتقد فيك خلاف ما فعله أعداؤك الكفرة الفجرة، الّذين شهدوا عليك بالكفر وقتلوك لأولاد البغايا.

يا لها من مصيبةٍ مهولةٍ مروعة، يهتزّ لها الكون والزمان والمكان والعرش والكرسيّ، أن يقتُل أولادُ الطلقاء أولادَ الأنبياء، ويُذبَح الإمام المفترض الطاعة من الله بخنجر مَن اتّخذوه إماماً عتوّاً وطغياناً علي الله!

*****

إنّ هذه الإشارة الواردة في كتاب ابن عبّاس من تصوير طريقة تعامل يزيد الخمور وجنده وشياطينه مع خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) في القتل والاعتداء، تُعدّ مِن أهمّ المفاصل الّتي ينبغي التوجّه إليها ودراستها بدقّة في ظروف شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وقد وردت الإشارات والتصريحات والبيانات الكثيرة عن أهل البيت (عليهم السلام) في هذا المضمار، فلابدّ مِن إفرادها بالبحث والتفصيل، لذا سنؤخّره إلي محلّه، إن شاء الله (تعالي).

المشهد الثامن: الشماتة بسبي الحرم

اشارة

حصيلة ما قاله ابن عبّاسٍ في هذه المصيبة:

- ألا ـ ومن أعجب العجب ـ وما عشتَ أراك الـدهر العجيب ـ حملُك بنات عبـد المطّلب وغلمـةً صـغاراً من وُلـده إليك بالشام كالسبي المجلوبين، تُري الناس أنّك قد قهرتنا، وأنّك تأمّرت علينا، وأنّك تمنّ علينا، وأنّك تذلّنا ((1)).

- وإنّ من أعظم الشـماتة حملُك بنات رسول الله وأطفاله وحرمه من العراق إلي الشام أُساري مجلوبين مسلوبين، تُري الناس قدرتك علينا، وأنّك قد قهرتنا واستوليت علي آل رسول الله ((2)).

إي والله، إنّه لمن أعجب العجب، وليس بعده عجب، ولو عشتَ الدهر كلَّه لما أراك عجباً مثله.

حريٌّ بمؤرّخ السلطان أن يتجنّب مأساة السبي، ليغطّي علي جريمةٍ لا يأتي الدهر بمثلها، (وهذه الرزية الّتي لا مثلها رزية)، وحريٌّ بالمؤمن أن يسمل عينيه بمسامير الحروف ويسوطها سوطاً، لئلّا يقرأ ما جري علي مخدّرات الرسالة وأهل بيت الوحي.

ص: 81

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 236، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 5 / 189.
2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

الغيرة الهاشـميّة لا تسـمح لأحدهـم أن يفوه بما جري علي عرضه ومخدّراته، لذا تجدك تسـمع أخبار السبي مقتضـبةً مشفّرة، يلقونها ملفوفةً بـالرموز ومغلّفـةً بـالغيرة والحيـاء، يفقههـا المفهَّم، ويُـدركها مَن يعرف معاريض الكلام ويفكّ رموز الحـديث، وهو جرحٌ (لا، ولم، ولن) يندمل إلي يوم القيامة، فقد قال الإمام زين العابدين عن قتل أبيه وأهل بيته:

«وَجْده بين لهاتي، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش صدري» ((1)).

لأنّ الإمام يعرف الإمام، وقد رأي ما جري علي أبيه سيّد الشهداء (عليه السلام) ومصيبة أعظم المصائب في تاريخ البشريّة.

غير أنّنا لا نعرف الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السـلام) وأهل بيته وأصـحابه حقّ المعرفة _ كالإمام زين العابدين (عليه السـلام) _، ولكنّنا بحدود مداركنا ومشاعرنا نحسّ بلذع سـياط الغيرة ومغارز أنيابها، لأنّنا قد نقيس ونقارن ونستشـعر ونتلمّس ونتحسّس ذلك حين نتنزّل بالمصيبة العظمي لنقارنها بما إذا كنّا نعيشه نحن.

ولا ـ نشـكّ أنّ المؤمن الغيور يتمنّي _ ويقسم صادقاً _ أن لو كان الّذي جري علي بنات رسول الله (صـلي الله عليه و آله) ومخـدّرات أمير المؤمنين (عليه السلام) زينب وأخواتها (عليهم السلام) ومَن

1- اللهوف لابن طاووس: 159، مثير الأحزان لابن نما: 89، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 113.

كان معها كان يُفتدي بأهله وعرضه، ويدفع بذلك عن بنات الرسول (صلي الله عليه و آله) ، لَفعل!

وكم تمنّيتُ قبل الـدخول في تصوير هـذا المشـهد.. مشـهد العذاب والنكال.. الّذي يذوي له المؤمن الغيور، ويتناثر له قلب العلويّ هباءً، وتملصّتُ من الكتابـة فيه، والتويتُ وتلوّعت، ومكثتُ لا أُطيق الكتابـة، وقد تركتُها يومين كاملين أخلو بدمعتي واعتصار قلبي، وأتضوّر.. لا أهجع.. وأنا أُردّد في نفسي: ليت الموت أعدمني الحياة! بَيد أنّ ضرورة البحث اضطرّتنا، فحاولتُ المرور علي عجلٍ من دون تدبّرٍ ولا تعمّقٍ في التصوّر والتصوير، ولابدّ من الصبر.

فماذا نفعل إن لم نصبر؟! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون!

اللّهمّ لك الحمـدُ حمدَ الشاكرين لك علي مصابهم، نحمدك اللّهمّ «علي عظائم الأُمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الكاظّة الفادحة الجائحة».. ((1)).

*****

ويمكن أن نستعجل بعض الإشارة إلي بعض ما ورد في كلامه من لوعات:

اللوعة الأُولي: عجبٌ ما قبله ولا بعده عجب!

يُلاحَظ أنّ ابن عبّاسٍ راح يؤكّد العجب، وقال: «وما عشتَ أراك الدهرُ

1- أُنظر: اللهوف لابن طاووس: 219، تسلية المجالس لابن أبي طالب: 2 / 462، بحار الأنوار: 45 / 148 _ من خطبةٍ للإمام السجّاد (عليه السلام) علي مشارف المدينة.

عجباً»، حينما صار يُخبر عن السبي.

وهو من أعجب العجب حقّاً، بَيد أنّ ابن عبّاسٍ الهاشميّ المنطيق صاحب اللسان وقوّة المناظرة، ربّما لم يوفَّق هنا حين تمّم كلامه بقوله: «وما عشتَ أراك الدهر عجباً»؛ فإنّ العجب الّذي شهدته الدنيا منذ أن هبط آدم أبو البشر إلي يوم يقوم الناس لربّ العالمين بقتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وسبي نسائه لم ترَ مثله ولن تري مثله أبداً، فلو عاش عمر الدنيا، وعمّر مدي دوران الأفلاك، لم يشهد مثل هذا المشهد الّذي طأطأَت له الرؤوس، وخُلعَت له عمائم العزّ، ولَسوف تبقي الرؤوس حاسرةً سافرةً إلي يوم الساهرة.

أجل، قد يُقال: إنّ مقصوده أنّه عاش حتّي أراه الدهر هذا العجب، ولا يعني أنّه يمكن أن يري عجباً غيره!

اللوعة الثانية: نسب السبايا إلي عبد المطّلب

نسب السبايا إلي عبد المطّلب في المصادر جميعاً، سوي ما رواه سبط ابن الجوزيّ الّذي نسبهم إلي رسول الله (صلي الله عليه و آله) .

وربّما كان نسبتهم إلي عبد المطّلب باعتبار أنّه الرأس الّذي يجتمع فيه السبايا مع ابن عبّاسٍ من حيث النسب، فعبد المطّلب جدُّهم جميعاً، وأراد بذلك أن ينبّه علي واشج القرابة الموجودة بين السبايا وبينه، وسيأتي بعد قليلٍ ما يشهد لذلك.

وربّما ذكر هذه النسبة ليقرّع يزيد ويُشعِر المتلقّي أن ثارات السبي عند يزيد منذ زمنٍ بعيد، إذ أنّ سليل العهر يزيد يريد بفعله هذا الانتقام لأيامٍ خلَت،

وكأنّ الانتقام والثأر عنده له جذورٌ ممتدّة، وهو يريد أن ينتقم من عبد المطّلب وأولاده جميعاً أبي النبيّ (صلي الله عليه و آله) وأعمامه.

وربّما أراد أن يوبّخ يزيـد العهر والفجور باعتباراتٍ عشائريّـةٍ وقبَليّـة، وبروحٍ كانت سائـدةً قديماً وحديثاً عند العرب، بغضّ النظر عن البُعد الدينيّ والإسلاميّ والانتساب إلي سيّد الرسل وخاتم النبيّين وأشرف الخلق أجمعين.

اللوعة الثالثة: حمل بنات عبد المطّلب وغلمةً صغاراً

حمل يزيد المجون ابن ميسون بنات عبد المطّلب وغلمةً صغاراً وبنات رسول الله (صلي الله عليه و آله) وأطفاله وحرمه، إلي الشام..

وهو إنّمـا حمل النساء والأطفال؛ لأنّ الكبار كهولاً وشـبّاناً وفتياناً كلّهم قُتلوا وتُركوا مصـرّعين علي رمضاء كربلاء، لم يغادروا منهم أحـداً، قتلوهم جميعاً حتّي لم يبقَ للنساء ولاةٌ ولا حُماة، فحملوهنّ سبايا أسيرات..

وإنّما بقي الإمام زين العابدين (عليه السلام) بأمر الله لا بهوي يزيد وذئابه، إذ أبي اللهُ إلّا أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون.

وهؤلاء السـبايا والمستشـهدون، وإن كانوا يُنسَـبون إلي عبـد المطّلب لأنّه جـدّهم الّذي يشاركهم به ابن عبّاس، بَيد أنّ لعبد المطّلب أولاد عشرة، والّذينقُتلوا في كربلاء ليسوا من جميع أولاده، وإنّما هم من أبي طالب خاصّةً دون غيره من أولاده!

لقد أتت كربلاء علي ذرّيّة أبي طالب فقُتّلوا تقتيلاً، وحساب يزيد الخمور والأُمويّين مع أبي طالب علي وجه الخصوص، كافل النبيّ (صـلي الله عليه و آله) وأبي

الوصيّ (عليه السلام) ، ولهم معه ثاراتٌ وثارات!

اللوعة الرابعة: السبي إلي يزيد

أكّد ابن عبّاسٍ في كتابه أنّ السبي حُمل إلي الشام إلي ابن ميسون خاصّة: «حملك.. إليك بالشام»، وفي هذا التصوير نكايةٌ لا تُحتمَل، إذ تُحمّل بنات الوحي وعقائل الرسالة ومخدّرات حامي الجار والمدافع عن حريم النبيّ (صلي الله عليه و آله) ودِينه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، أشجع الخلائق، وغيرة الله، ومعادن الحشمة والخدر والطهارة والعفاف، إلي سليل البغاء ومعدن العهر والبغي والتهتّك والخلاعة والمجون والدعارة والزني والفجور والفحش والفسق والبذاءة والرذيلة..

نفس هذا الحمل لهذه الوجهة هو عارٌ وشنار، لن يُرحِض وَصَمَ عصر ابن عبّاس ومَن عاش فيه، ومَن رضي به، وأتي علي قلوب المؤمنين إلي يوم الدين.

العادة الغالبة أن يُحمل السبي إلي مَن هو أشرف وأقوي وأشدّ وأعزّ منه، أمّا أن يُحمَل إلي من لا يساوي شيئاً، ولا يمكن أن يُقارَن بنفاية فضلة حشرةٍ في بلدٍ تسرح فيه دابّة أحد أتباع عبيد المحمول ومماليكه، بل لا يقارن بنفايةٍ فيمكبّ فرام الزواني في حارة البغايا، فهذه هي الطامّة الكبري.

اللوعة الخامسة: السبي المجلوب!!!

سمعنا في وصف سبي حرمات الله وحرمات رسوله (صلي الله عليه و آله) أنّهم قالوا: ك «سبي

الكفّار»، أو «سبي الترك» و«كابل» و«الروم»، وغيرها ممّا يفيد أنّه سبيٌ كسبي الكفار.

بَيد أنّ في توصيف ابن عبّاس ما تندكّ له الجبال الرواسي، وتتناثر له النجوم والكواكب، ويتضعضع له العرش والكرسيّ، وينهدّ له الصبر، ويتقوّض له الجزع، وتقطّع الأرضون، وتميد السماوات وتمور مَوراً، وتنتزع له الأرواح بسفود حديد الغيرة، ويعجز الإنسان عن التعبير عنه..

إنّه اختزل مصيبةً من أعظم المصائب في كلمة!

كلمة واحدة.. ليته لم يقلها.. بَيد أنّها شهادةٌ مِن مِثل ابن عبّاسٍ علي وقوعها..

كلمة واحدة.. تشرح ما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) .. سبي الكفّار.. سبي الترك وكابل..

كلمة واحدة.. لو انخرم لها نظام الكون لَما كان عجباً..

كلمة واحدة.. يخال المرءُ حين يقرأها أنّ السماوات تمور وتدور حوله في دوّامةٍ سكري دورةً جنونيّةً غير منتظمةٍ يميناً.. شمالاً.. صعوداً.. نزولاً..كلمة واحدة.. يقرأها المتلقّي تزلزل به الأرض، فتهدّ كيانه وكيان العالمين..

كلمة واحدة.. تملأ الدنيا ضجيجاً وعجيجاً.. صراخاً.. هلَعاً.. رعباً.. ذعراً.. روعاً.. رهبةً.. فزعاً.. هيعةً.. ووجلاً..

آهٍ من ضرورات البحث الّتي تضطرّنا لكتابة ما لا يُطاق أن يُكتَب..

كالسبي المجلوب..

ص: 87

مجلوبين مسلوبين ((1))..

كالأسري المجلوبين ((2))..

سمعنا قبل قليلٍ أنّ يزيد الغاوي وجنده تعاملوا مع سيّد الشهداء (عليه السلام) وخامس أصحاب الكساء وأصحابه في القتل والقتال تعاملهم مع الكفّار..

ولم يكتفوا بذلك حتّي أمعنوا في الشرك، وأوغلوا في الغواية والجناية، فاستمرّوا علي نفس المنوال، حتّي حملوا العيال حمل السبايا.. فالسبي لا يكون للمسلم!

أمّا تعبير ابن عبّاس، فهو يصفهم:

مسلوبين!مجلوبين!

كالأسري المجلوبين!

والمجلوب: هو ما يُعبَّر عنه في هذا الزمان ب-- (المستورَد).

السبي المجلوب.. هو السبي الّذي يُجلَب من بلاد الكفر بقصد البيع!!!

السبايا والأسري الّذين يُحمَلون إلي بلاد الإسلام للبيع! يا لله! للبيع!

السبي الّذي يتداوله النخّاسون ليتاجروا به.. كما هو واضحٌ لمن تتبّع كتب

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 236، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 45 / 323، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

2- أُنظر: مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزبانيّ: 37.

اللغة وكتب الفقه عند الفرَق الإسلاميّة.

السبي المجلوب يُعلَن عنه قبل وصوله إلي البلد، فيخرج الناس للتفرّج عليه، ويُعرَض السبي في استعراضٍ خاصّ..

السبي المجلوب لا يُعرف له نسبٌ ولا أُمٌّ ولا أبٌ في البلد المجلوب إليه..

وهناك صفاتٌ يتّصف بها السبي المجلوب، يمكن أن يتصيّده المُراجِع لكتب الفقه من ثنايا المسائل المطروحة في الباب، ونحن لا نجرؤ علي ذِكرها هنا، ونتمنّي أن تكون الأنامل رميماً وتُطحَن الجناجن وتُهشَّم قبل أن تكتب هذا القدر.

يا لله! وا محمّداه، وا عليّاه، وا حمزتاه، وا جعفراه، يا غيرة الله..

اللوعة السادسة: الاستعراض بالسبايا

حمل ابن ميسون وابن آكلة الأكباد آلَ الله إلي الشام كالأُساري المجلوبين..قال ابن عبّاس:

تُري الأوباش ومَن خرج عن ملّة جدّهم ((1))..

تُري الناس قدرتك علينا، وأنّك قد قهرتَنا، وأنّك تأمّرتَ علينا، وأنّك تمنّ علينا، وأنّك تذلّنا واستوليت علي آل رسول الله (صلي الله عليه و آله) ((2))..

1- أُنظر: مختصر أخبار شعراء الشيعة للمرزبانيّ: 37.
2- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 236، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار: 5 / 189، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

▪ قدرتك علينا..

▪ قد قهرتنا..

▪ تأمّرتَ علينا..

▪ تمنّ علينا..

▪ أنّك تذلّنا.

▪ استوليتَ علي آل رسول الله (صلي الله عليه و آله) .

وهـذه الأخيرة مُهلِكة.. مُدمِّرة.. فتّاكة.. ضـروس.. شـرسة.. طاحنة.. متلفة.. مخرّبة.. هدّامة.. لا تُطاق.. ولا نقول سوي: إن لم نصبر فماذا نفعل؟! فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.وجميع هـذا اسـتعراضٌ بائسٌ مشؤوم، قام به مَن لو جُمعَت كلُّ شتيمـةٍ وكلمـة عارٍ ولفظة شـنارٍ وفُحشٍ في جميع اللغات لَما عبّرَت عنه.. (يزيـد)! يسـتعرض بآل الله علي كومـةٍ متراكمـةٍ من الجيَف المتراكمـة من سـيح قيء المجتمعات الشـرّيرة المنحطّة الخارجة عن ملّة الإسلام! ليُري هؤلاء الوحوش الفاقدة للإحساس بالإنسانيّة والبشريّة..

إنّه لم يقتصـر في هـذا الاسـتعراض علي الشـام فحسب، وإنّمـا كـان قـد أمر أن يُطاف بهم في البلـدان، يتصـفّح وجوههنّ القريب والبعيد والشريف والدنيّ

والشاهد والغائب..

اللوعة السابعة: الشماتة!

أجل، الشماتة.. بل مِن أعظم الشماتة ([(1)]) كما قال ابن عبّاس..

الشماتة: إظهار الفرح بما يُصاب به العدوّ.

لقد أظهر العاهر ابن الزانية الفرح والشماتة بآل الله، فشمخ بأنفه، ونظر في عطفه جذلان مسروراً، حين ساق بنات رسول الله (صلي الله عليه و آله) سبايا، قد هتك ستورهنّ، وأبدي وجوههنّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلدٍ إلي بلد، ويستشرفهنّ أهلُ المناهل والمناقل، ويتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد والدنيّ والشريف، ليس معهنّ مِن رجالهنّ وليّ، ولا من حُماتهنّ حميّ..ما أصعب الشماتة.. والشماتة بالمصيبة علامة الحاسد ([(2)])، وفيها تشديدٌ وزيادةٌ للمُصاب علي مصيبته وإيذائه ([(3)])، وإمعاناً في النكاية والإيلام والتشفّي.

لقد شمت اللعين بسادات الخلق ونجوم أهل الأرض، وجميعِ الأنبياء والأوصياء من آدم إلي الوليّ الخاتم..

شمت بآدم ونوح وإبراهيم خليل الرحمان وموسي وعيسي، ومَن بينهم من

1- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

2- أُنظر: تحف العقول: 22.

3- أُنظر: شرح الكافي للمازندرانيّ: 1 / 10.

النبيّين والأولياء والصالحين، ومحمّدٍ المصطفي وعليّ المرتضي، لأنّهم الآباء النجباء، وشمت بالأئمّة الأتقياء، وشمت بكلّ مَن يعرف الغَيرة والحميّة والحفاظ والنبل والكرامة والعزّة علي طول خطّ التاريخ وحركة الإنسان، فجزع لشماتته كلُّ غيور، ولكن ما عسانا نفعل اليوم، فليس لنا إلّا الصبر، فإن لم نصبر فماذا نفعل؟ فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، حتّي يحكم الله ويطوي عنّا هذه السنين الحرم، ويبعث فينا قائماً يفرّج عنّا الهمّ والكربات.

المشهد التاسع: المجاهرة بدوافع قتل الإمام (عليه السلام)

اشارة

ربّما أشرنا فيما سبق إلي هذا العنوان في ثنايا الحديث، إذ روي المؤرّخون تأكيد ابن عبّاسٍ علي إعلان دوافع محاربة ابن ميسون سيّدَ الشهداء (عليه السلام) وآل أبي طالب، فكرّر أنّه إنّما فعل ذلك عداوةً لله ولرسوله (صلي الله عليه و آله) ولأهل بيته،وأضاف سبط ابن الجوزيّ في (التذكرة) قوله:

وفي ظنّك أنّك أخذتَ بثأر أهلك الكفَرة الفجَرة يوم بدر، وأظهرتَ الانتقام الّذي كنتَ تخفيه، والأضغانَ الّتي تكمن في قلبك كمَون النار في الزناد، وجعلتَ أنت وأبوك دمَ عثمان وسيلةً إلي إظهارها ((1)).

خبر الانتقام له حديثٌ مفصَّلٌ سنأتي عليه في محلّه، إن شاء الله وقدّر لنا بقيةً في العمر، ونكتفي هنا بذكر ما قاله ابن عبّاس بشكل نقاط، إذ أنّه ذكر ثلاث دوافع:

1- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

الدافع الأوّل: العداوة لله ولرسوله ولأهل بيته

هذه عناوين ثلاثة إذا أردنا تفصـيل الكلام فيها، فعداوة يزيد وآبائه وأجداده لله كانت قبل وبعد بعثة النبيّ محمّد بن عبد الله (صلي الله عليه و آله) ، منذ أن استعر صراع التوحيد والشرك.

وعداوتهم للرسول (صـلي الله عليه و آله) لها دوافع دينيّة ضـمن صراع التوحيد والشرك، بالإضافة إلي الأسباب الأُخري، من قبيل الأسباب التاريخيّـة والعشائريّـة والأخلاقيّة، من قبيل الحسد والإحساس بالنقص والحقارة أمام أطواد العلم والمعرفة ومكارم الأخلاق.والعداوة لأهل البيت (عليهم السـلام) تجمع السـبب الأوّل والثاني، يُضاف إليها سـببُ الانتقام والثأر لفطائسـهم وجيَفهم المقتولين بسيف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والنزاع علي تراث النبيّ (صلي الله عليه و آله) .

الدافع الثاني: أخذ الثأر لأهله الكفَرة الفجَرة

أشرنا في أكثر من موضع من هذه الدراسة إلي الدوافع الحقيقة الّتي كانت تحرّك يزيد القرود ومَن سبقه ولحقه من الأُمويّين، وهي تتركّز في قصّة الثأر للكفَرة الفجَرة يوم بدر، وغيره من الوقائع والمعارك الّتي سـحقت رؤوسـهم، وداست كبرياءهم، وحوّلتهم إلي فطائس تتكدّس في القليب، يقتتل الدودُ في قحف جماجمهم.

الانتقـام الّـذي يكمن فيهم كمون النـار في الزنـاد.. انتقامٌ لا ينفكّ عنهم، وإنّما هو يسـري في كلّ جزئيّـةٍ وخليّـةٍ من خلايا كيانهم الملوّث الوسخ.. النار

ص: 93

تكمن في ذات الزناد.. في ذرّات وجوده وذات كيانه.. كذلك هو الانتقام في ذات يزيد والأمويّين..

وقد صرّح سليلهم المجدور وأعلنها صريحةً وقحةً قبيحةً بشعةً شنيعةً حين ترنّم بقوله: «ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا..»!

لا محيص ولا مجال للإنكار والمراوغة والتستّر والبحث عن الدوافع، بعد أن صرّح بها مرتكب الجناية نفسه وأصحر بها وتحمّل مسؤوليّتها.

إنّه يطلب ثأر أشياخه بقتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وقد خطّط لذلك وأعدّواستعدّ، وأقدم ونفّذ ما أراده منه الأشياخ!

إنّه هو الّذي أقدم يبتغي تحقيق مآربه وأغراضه، فهاجم الإمام (عليه السلام) في المدينة، ثمّ هاجمه في مكّة الحرم الآمن، ثمّ لاحقه واستقبله بالخيل والرجال والعُدّة والعدد، وعاجله ولم يطاوله، ورفض الموادعة معه، ومنعه من الرجعة، وأحاطت به عساكره، ولم يقبل منها إلّا أن تقتله ومَن معه!

إنّه هو الّذي ابتدأ وهجم، وليس الإمام (عليه السلام) غريب الغرباء!

الدافع الثالث: الانتقام لدم عثمان!

إتّخذ معاوية والأُمويّون دم عثمان ذريعةً قاتلوا بها الحقّ وأهله، فأشعلوا نيران الحروب، وجحفلوا جيوش الانتقام وعساكر الظلام وحشّدوهم تحت قميصه لمحاربة أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (عليهم السلام) .

وكان من ذرائعهم الّتي صرّحوا بها في أكثر من موضع وموقف أيّام هجومهم وتربّصهم بسيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، كما فعل ابن زيادٍ حين أمر عمر بن

سعد أن يمنع الإمام (عليه السلام) ومَن معه الماء ليقتل الإمام الحسين (عليه السلام) عطشاً ونساؤه وبناته ينظرون إليه، وقال: كما قُتل عثمان!

وقد أشرنا فيما سبق إلي هذا الدافع، ونكتفي هنا بإضافة شاهدٍ جديدٍ يعضد الشواهد السابقة، حيث شهد ابن عبّاسٍ علي ذلك، وأعلن أنّ معاوية ويزيد اتّخذا من دم عثمان وسيلةً وذريعةً لينتقما لدماء الشرك العفنة في بدر وغيرهامن المواقع.

ويُلاحَظ في تعبير ابن عبّاسٍ ذكاءً ونباهةً ظريفة، إذ أنّه عبّر عن الانتقام لدماء الجاهليّة والثأر لأهله الكفرة الفجرة يوم بدر ب-- (أخذ الثأر)، فيما عبّر عن دم عثمان بالوسيلة والذريعة: «وجعلت.. دم عثمان وسيلةً إلي إظهارها».

يُشعِر هذا التفريق بالتعبير أنّ دماء الجاهليّة أُريقت علي يد الله وقدرته المبسوطة في الأرض أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) ، وقد حصد رؤوسهم حصداً وجعل جثثهم أكداساً في قليبٍ واحد، فلِمثل يزيد العهر أن يستشيط غضباً ويتميّز غيضاً ليثأر لدمٍ قد أُريق بالفعل بيد الحقّ ورجاله.

أمّا دم عثمان، فليس لأمير المؤمنين وأولاده (عليهم السلام) يدٌ فيه، لا من قريبٍ ولا من بعيد، فهو إنّما يتّخذ ذلك ذريعةً ووسيلةً لإظهار الانتقام لتلك الدماء الجاهليّة.

وبعبارةٍ أُخري:

إنّ ابن ميسون يزيد العهر والمجون يريد أن ينتقم لدماء أشياخه الكفرة الفجرة، بَيد أنّه يتذرّع للوصول إلي هذا الثأر من خلال توظيف دم عثمان

ص: 95

الّذي أهرق في الإسلام!

ولكن لا ننسى أنّ يزيد أصحر وأعلن وتجاهر بكلّ وقاحةٍ وجرأةٍ وتنمُّرٍ وتمرُّدٍ وغلاظةٍ وفظاظةٍ وجموحٍ وشراسةٍ وعتوٍّ عن الانتقام لأشياخ الكفر والشرك: «ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا..».

المضمون السابع: ابن عبّاس صاحب الدم والثأر!

عدّ ابنُ عبّاسٍ نفسه صاحب الثأر ووليّ الدم، فقال:

وقد قتلتَ بني أبي، وسيفك يقطر من دمي، وأنت أحد ثأري، فإن يشأ اللهُ لا يطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري ((1)) ... فلا يعجبنّك إن ظفرت بنا اليوم، فوَاللهِ لَنظفرن بك يوماً ((2)).

ربّما كان هذا شاهدٌ لما ذكرناه قبل قليلٍ من تعليل نسبة شهداء الطفّ من آل أبي طالب إلي عبد المطّلب، باعتباره الرأس الّذي يجتمع فيه ابن عبّاسٍ معهم، لتكون له رحمٌ وسببٌ يتّصل بهم.

فعاد هنا ليقول: «قتلتَ بني أبي»، ولا شكّ أنّ أحداً من بني العبّاس ــ الأب المباشر لابن عبّاس ــ لم يكن في عداد الشهداء، إذ لم يحضر منهم أحدٌ أبداً! فلابدّ أن يقصد بالأب هنا الجدَّ الأعلي، وهو عبد المطّلب!

1- أُنظر: المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.
2- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، الكامل لابن الأثير: 3 / 218، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323.

ولمّا كانت الدماء دماء أبناء أبيه، فهي بالتالي دماؤه الّتي تقطر من سيف يزيد، وله أن يطالب بها ويجعل يزيد من ثاراته.

ويُلاحَظ أنّ ابن عبّاسٍ يتكلّم هنا بضـمير المفرد، ليكون هو بالذات صاحبالدم المطلول والثأر المطلوب، غير أنّه ينتقل بالضـمير من المفرد إلي الجمع حين يتحدّث عن الظفر، فيقول: «إن ظفرتَ بنا اليوم.. لَنظفرنّ بك يوماً».

ومن الواضح أنّ ابن عبّاسٍ هو أحد أحفاد عبد المطّلب وأحد بني عمومة المستشهَدين في كربلاء، فليس هو الطالب الوحيد بالدماء الزاكية، وليس هو وليّ الـدم جزماً في حكم الشـرع والعرف والـدين والقوانين الاجتماعيّة السائدة، وقد ردّ هو وأمثاله علي معاوية يوم تذرّع بالثأر لدم عثمان: إنّ لعثمان أولاداً، وهم أَولي بدمه من أبناء العمومة.

فمن خوّل ابنَ عبّاسٍ ليكون وليَّ الـدماء الزاكيـة في كربلاء مع وجود بقيّة عقيل بن أبي طالب البطل المقدام أبي الشـهداء الّذين استأصـلهم يزيد وجنوده في كربلاء؟!

ومع وجود عبد الله بن جعفر أبي الشهداء وزوج السيّدة الصدّيقة الكبري زينب الحوراء شريكة الحسين والطالبيّة المسبيّة؟!

ومع وجود عمومة المستشهَدين وإخوة سيّد الشهداء الحسين (عليه السلام) ، كمولانا المكرّم المعظّم محمّد ابن الحنفيّة؟!

والأهمّ من ذلك، مع وجود الوليّ الشرعيّ والعرفيّ بحكم الكتاب والسنّة

وأمر الله وأمر رسوله (صلي الله عليه و آله) وجميع الأعراف السائدة، وهو الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين (عليه السلام) ؟!!

أجل، ربما كان من الجميل أن يُعِدّ ابنُ عبّاسٍ نفسه موتوراً، وله أن يثأرلتلك الدماء الزاكية كواحدٍ من الأرحام والأقرباء، أو واحدٍ من أُمّة جدّهم خاتم الأنبياء (صلي الله عليه و آله) ، غير أنّ عباراته ونَفَسه والروح المتصاعد من عباراته يأبي الحمل علي هذا التوجيه والاحتمال.

وسنسمع بعد قليلٍ تأكيده علي أنّ حربه مع يزيد لا تعدو الحرب الكلاميّة!

*****

ربّما يُقال: إنّ ابن عبّاسٍ قد وفّر بهذه الدعوي وانتحال الدماء ومسؤوليّة الثأر لها الغطاء الشرعيّ لأولاده، ولقّنهم ما ينبغي لهم أن يفعلوه، ويحسن بهم أن يوظّفوه، ليرفعوا فيما بعد راية الانتقام والثأر لدم الإمام الحسين (عليه السلام) وأولاد عبد المطّلب، ليظفروا بما يحلموا به ويبنوا دولتهم علي أشلاء شهداء الطفّ، ويرفعوا صروح ملكهم علي ظليمة آل أبي طالب، مستمدّين عناصر القوّة والظفر من وهج دم سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فإن ظفر يزيد بهم اليوم، لَيظفرنّ به بنو عبد الله بن العبّاس يوماً.. «ظفرتَ بنا.. لَنظفرنّ بك».

المضمون الثامن: نوع المواجهة بين ابن عبّاسٍ ويزيد

- (وأيمُ الله، إنّك) ولَعمري لئن كنتَ تُصبح وتُمسي آمِناً لجرح يدي، إنّي

لَأرجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي ((1)).

• لَعمر الله، لئن كنتَ تُصبح آمناً من جراحة يدي، فإنّي لَأرجو أن يُعظِم اللهُ جرحَك من لساني ونقضي وإبرامي ((2)).

أقسم ابن عبّاسٍ بالله في لفظ: «أيم الله»، «لَعمر الله»، وبحياته في لفظ: «لَعمري»، أنّ يزيد الّذي يُصبح ويُمسي آمناً من جراحة يد ابن عبّاس، يرجو أن يعظم جراحه من لسانه ونقضه وإبرامه.

فهو كأنّه يقدّم ضماناً ضمنيّاً ليزيد أنّه سيبقي آمناً من أيّ إقدامٍ عمليّ يمكن أن يقوم به ابن عبّاس ضدّه، وأنّ عمليّات الهجوم العبّاسيّ ستقتصر علي الدائرة الإعلاميّة الشخصيّة، بتوظيف لسانه ونقضه وإبرامه الشخصيّ، لا يتعدّي ذلك، فالحرب الّتي أعلنها ابن عبّاسٍ في خضمّ هذه الغضبة العارمة لا تعدو أن تكون حرباً كلاميّةً يعمل فيها اللسان دون اليد والسيف والسنان، وربّما كان ذلك لالتزامه البيعة والعمل بمقتضاها الّذي يمنع عليه الخروج علي السلطان!

وقد سمعناه قبل قليلٍ يهدّد بالظفَر بيزيد يوماً ما، فربّما كان يهدّده بما خطّط لمستقبل السنين والأيّام حين تقوي شوكة أولاده وذراريه، ليظفروا بحكم الأُمويّين!

ص: 99

1- تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.
2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323.

المضمون التاسع: ابن عبّاس يري نفسه أهلاً للمُلك وأحقّ به

أكّد ابن عبّاسٍ في كتابه علي حقّه وحقّ بني أبيه وبني عمّه في هذا الأمر، فهو بايع معاوية وبايع يزيد وهو علي علمٍ ويقينٍ بحقّه.

قال في لفظ اليعقوبيّ:

وإنّي لَأعلم أنّ بني عمّي وجميع بني أبي أحقّ بهذا الأمر من أبيك ((1)).

وفي لفظ (أخبار الدولة العبّاسيّة):

وإنّي لَأعلم أنّي وجميع ولد أبي أحقّ بهذا الأمر منكم ((2)).

وفي لفظ الخوارزميّ وغيره:

وإنّك لتعلم أنّي ووُلد أبي أحقّ بهذا الأمر منك ومن أبيك ((3)).

وفي لفظ سبط ابن الجوزيّ:

إلّا وأنا أعلم أنّ وُلد أبي وعمّي أَولي بهذا الأمر منك ((4)).يُلاحَظ القدر المتيقّن الوارد في جميع هذه الألفاظ أنّ ابن عبّاسٍ يري نفسه أحقّ بهذا الأمر، وكذا يري هذا الحقّ لإخوته وأبناء أبيه، ويُضاف إليها

1- تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234 - 236 ط الحيدريّة.
2- أخبار الدولة العبّاسيّة: 88.
3- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهاني: 5 / 189، معالي السبطين للمازندراني: 2 / 247.
4- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 155، نفَس المهموم للقمّي: 446.

وفق بعض النصوص حقّ بني عمّه.

كيف كان، فإنّ ابن عبّاسٍ يري نفسه أهلاً لهـذا الأمر، ويريدها لنفسه ولبني أبيه، وهذا يعني أنّه لا يراه في بني عمّه خاصّة، ولا يراها خالصـةً لمن نصّ عليهم ربُّ الأربـاب وأعلنهـا رسول الله (صـلي الله عليه و آله) صـريحةً في كلّ موضع ووقتٍ ومكانٍ في الغـدير وغيره، وكأنّ ابن عبّاس لم يروِ أحاديث النصّ علي الأئمّـة الاثني عشـر، أو أنّ حَبر الأُمّة وترجمان القرآن يفسّـرها تفسـيراً خاصّاً، ويحصـر النصّ عليهم في شؤون خاصّةٍ دون شأن الأمر الّذي تكالبت عليه الرجال!

وهو يراها فيهم (بني العبّاس) منـذ أن أُزيحت عن مسـتقرّها بعـد شـهادة النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ورحيله، إذ أنّه يرجع ذلك إلي تكاثر معاشر قريش الّذين استأثروا بسلطانهم! حتّي دفعوهم عن حقّهم، وتولّوا الأمر دونهم، وأخذوا ما ليس لهم بحقّ، وتعدّوا إلي مَن له الحقّ.

إنّه سلطانهم المغتصَب، ينسب السلطنة إليهم، ولا يمكن حمل مراده علي الدفاع عن حقّ أمير المؤمنين وأولاده الأئمّة المعصومين (عليهم السـلام) بعـد أنّ صـرّح باعتقاده بحقّه الشخصـيّ وحقّ بني أبيه، لأنّهم ـ علي ما يبدو ـ أبناء عمّ النبيّ (صـلي الله عليه و آله) مباشـرةً دون واسـطة، والإمام الحسن والحسـين (عليهما السـلام) أحفاد عمّ النبيّ (صـلي الله عليه و آله) ، فهم أولاد عمٍّ بالواسـطة، فابن عبّاس وإخوته أقرب إلي النبيّ (صـلي الله عليه و آله) من أبناء أمير المؤمنين (عليهم السـلام) ، وإن كانت المقارنة بينه وبين أمير المؤمنين (عليه السـلام) فهما سواءٌ بالقرب من النبيّ (صلي الله عليه و آله) بزعمه!

فهو علي أقصي تقديرٍ إن ذكر أبناء عمّه (أبي طالب) باعتبار قربهم من

النبيّ (صلي الله عليه و آله) واستحقاقهم الأمر بهذا المعيار، فإنّه وأبناء أبيه يستحقّونها بنفس المعيار.

وكيف كان، فإنّه لم يزحزحها عن نفسه، ويعتقد بحقّه فيها، وإن لوّح وفق بعض النصوص بأبناء عمّه من دون تحديد المراد من أبناء العمّ وأيّ عمٍّ من أعمـامه، إذ أنّ جميع النصوص ذكرت ادّعاءهـا لنفسه ونسـبتها إليه والتنويه بحقّه فيهـا، وهـدّد بالله وبعـذابه لمن ظلمهم وزحزحها عنهم!

*****

روي ابن أبي الحديد في (شرح النهج) والعلّامة في (البحار)، قال _ واللفظ للأوّل _ :

وقد رُوي أنّه قال لمّا ولّي عليٌّ (عليه السلام) بني العبّاس علي الحجاز واليمن والعراق: فلماذا قتلنا الشيخ بالأمس؟

وإنّ عليّاً (عليه السـلام) لمّا بلَغَته هذه الكلمة أحضره ولاطفه واعتذر إليه، وقال له: فهل ولّيتُ حسناً أو حسيناً أو أحداً من وُلد جعفر أخي أو عقيلاً أو واحـداً من ولـده؟ وإنّما ولّيتُ ولد عمّي العبّاس، لأنّي سـمعت العبّاس يطلب من رسول الله (صـلي الله عليه و آله) الإمارة مراراً، فقال له رسولالله (صلي الله عليه و آله) : يا عمّ، إنّ الإمارة إنْ طلبتها وكلت إليها، وإن طلبتك أعنت عليها. ورأيت بنيه في أيّام عمر وعثمان يجدون في أنفسهم إذ ولّي غيرهم من أبناء الطلقاء ولم يولِّ أحداً منهم، فأحببتُ أن أصل رحمهم وأُزيل ما كان في أنفسهم، وبعد فإن علمت أحداً من أبناء الطلقاء هو خيرٌ منهم فأتِني

به.

فخرج الأشتر وقد زال ما في نفسه ((1)).

طلب الرئاسة والزعامة وحبّ السلطنة طبعٌ قديمٌ في بعض الرجال، وما أكثر الشواهد والمشاهد والمقالات لمن أراد أن يُثبتها من أقوالهم وأفعالهم وسلوكيّاتهم وأخلاقيّاتهم، ويجدها ساريةً معرّقةً في أبنائهم وذراريهم، حتّي نالوها متسربلين بالدماء الزاكية، وقتلوا عليها الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) علي علمٍ منهم، غير أنّ هذه الدراسة مخصّصةٌ للبحث عن ظروف حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فلا ضرورة لتتبّع أحوال فلانٍ وعلّانٍ إلّا بالمقدار الّذي يتعلّق بمسير البحث خاصّة ((2)).ومهما يكن، فإنّ هذا المضمون المنصوص عليه في الكتاب من المضامين المهمّة غاية الأهميّة وجديرة بالتعمّق والإمعان.

ص: 103

1- شرح النهج لابن أبي الحديد: 15 / 99، بحار الأنوار للمجلسيّ: 42 / 176.

2- لا نحبّ تضييع بقيّة العمر الّذي نأمل أن يكون خيراً ممّا مضي في أُمورٍ تضيع فيه فرص التوبة والاستغفار والتعويض عمّا فات، فخدمة آل الله وآل محمّدٍ والأئمّة الأطهار وسيّد شباب أهل الجنة (عليهم السلام) كفّارةٌ للذنوب ومغفرةٌ ومجلبةٌ لرضي الربّ والرسول (صلي الله عليه و آله) وفاطمة وأولادها النجباء (عليهم السلام) ، أمّا خدمة غيرهم فمتوقّفٌ علي رضاهم بها! اللّهمّ ارزقنا حُسن العاقبة، واختم لنا بخير، وأمتنا علي ما مات عليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وأولاده المعصومون (عليهم السلام) ، واكتبها لنا ولذريّاتنا إلي يوم الدين، واستعملنا فيما تسألنا غداً عنه.

المضمون العاشر: بي وبهم عززتَ وجلستَ مجلسك

بعد أن ذكر ابن عبّاسٍ ما جري علي أهل بيت النبوّة في كربلاء وتركهم صرعي علي الرمضاء من غير تجهيزٍ ولا كفنٍ ولا دفن، قال:

وبي ــ واللهِ ــ وبهم لو عززتَ وجلستَ مجلسك الّذي جلست يا يزيد ((1)).

وفي لفظ الطبرانيّ وعنه الهيثميّ خاصّة:

وبهم ــ واللهِ ــ وبي مَنّ الله عليك، فجلستَ في مجلسك الّذيأنت فيه ((2)).

يُلاحَظ تقديم ابن عبّاسٍ نفسه علي المستشهَدين من أبناء عبد المطّلب! بما فيهم سيّد الشهداء الإمام الحسين (عليه السلام) ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وفق رواية اليعقوبيّ وابن الأثير والخوارزميّ وغيرهم.

وفي رواية الطبرانيّ وعنه الهيثميّ، يقدّمهم علي نفسه في الذكر.

وتقديم نفسه له دلالاته الّتي يتلقّفها اللبيب الحصيف، ولكن بغضّ النظر عن التقديم والتأخير، فإنّه علي كلّ حالٍ حشر نفسه مع أهل بيت النبيّ (صلي الله عليه و آله) ،

1- أُنظر: تاريخ اليعقوبيّ: 2 / 234، الكامل لابن الأثير: 3 / 318، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 77، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 323، العوالم للبحرانيّ: 17 / 641، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 5 / 189، معالي السبطين للمازندرانيّ: 2 / 247.

2- المعجم الكبير للطبرانيّ: 10 / 241 ط دار إحياء التراث، مجمع الزوائد للهيثميّ: 7 / 250.

وأنّ مَن ملك من القوم إنّما مَلَك بحقّه، وبما جعله الله له من شرفٍ ومنزلة، فهو بذاته محورٌ وقطبٌ مقابل أهل بيت النبيّ (صلي الله عليه و آله) والمستشهدين في كربلاء، بما فيهم سيّد الكائنات في عصره الإمام غريب الغرباء (عليه السلام) .

ص: 105

تعليقاتٌ سريعة

التعليقة الأُولي: كتاب ابن عبّاسٍ ردٌّ وليس ابتداء!

شهـدَت جميعُ المتون التاريخيـّة الّتي روت كتـابَ ابن عبّاسٍ أنّه كان ردّاً علي ما كتبه إليه ابن ميسون، فهو ليس مبادرة من ابن عبّاس، وكأنّ ابن عبّاسٍ كان إلي حين وصـله كتاب يزيـد ساكتاً صامتاً ساكناً، لـم تبدر منه بادرةٌ مباشـرةٌ مع يزيد، فلمّا كتب إليه يزيد يخطب ودّه ويدعوه لنصـرته ويغريه بالصـلة، تملّكه الغضب وهزّه الغيظ لجرأة هـذا القرد المتميّع الخليع الماجن ووقاحته وصـلابة وجهه وصـلافته، لذا تجده يكرّر في كتابه تعجّبه منه أن يُقدِم علي ما أقدم عليه من خطابٍ في كتابه بعد أن فعل ما فعل.

فكتـاب ابن عبّـاسٍ ليس فعلاً، وإنّما هو ردّ فعل، وليس فاعلاً، وإنّما هو منفعل! فلا يمكن أن يُسـجَّل كموقفٍ مسـتقلٍّ أقـدم عليه ابن عبّاسٍ يقرّع به يزيد ويوبّخه ويهدّده ويتهجّم عليه بلسانه دون يده وسنانه.

والفرق كبيرٌ جدّاً بين أن يكون ابن عبّاس مبتدئاً بالكتابة، وبين كونه كتب ردّاً، وصدّ موقفاً، وانزعج من تحرّشٍ وقح!

ص: 107

التعليقة الثانية: لماذا لم يكتب ابن عبّاسٍ قبل شهادة الإمام (عليه السلام) ؟!

كان _ ولا زال _ لابن عبّاسٍ وجاهةٌ خاصّة، وكان يري في نفسه ما يؤهّله للمُلك والخلافة ويسمح له باعتراض الإمام الحسين (عليه السلام) _ سيّد الكائنات في عصره _ والحديث معه بقوّةٍ بلغة الندّ في أبهت التصويرات، ويري لنفسه مكانةً ومنزلةً ومقاماً عند الأُمّة والحكّام تميّزه عن الآخرين، وهو كذلك.

وقد أقرّ في كتابه هذا وشهد أنّ يزيد المسعور هو الّذي كان يُلاحِق سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله) ويريد قتله، مهما كلّفه الأمر وبأيّ ثمنٍ تحقّق ذلك، فهو يعترف أنّ يزيد هو المعتدي، وهو المهاجِم، وهو الّذي عدا علي ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ليقتله من دون أن يكون الإمام (عليه السلام) قد حرّك ساكناً أو قصد قصداً يهدّده.

فلماذا لم نسمع من ابن عبّاسٍ كلمة توبيخٍ أو تهديدٍ أو كتاباً (ناريّاً) _ كما وصفوه _ مثل هذا الكتاب الّذي كتبه بعد شهادة الإمام (عليه السلام) حين تحرّش به يزيد؟

لماذا لم يوظّف قدراته ونفوذه وإمكاناته لصدّ يزيد ومنعه من ارتكاب الجناية العظمي؟!

لماذا لم يتحرّك في كلّ اتجاه، ولم يتدخّل ولو عند والي مكّة الطاغية العنيد، أو يكتب إلي طاغية الشام يزيد ويكلّمه بلغة التهديد والوعيد والتخويفويخذّله عن مواجهة سيّد الشهداء (عليه السلام) وملاحقته؟

لماذا لم نسمع له خطاباً في الموسم في مكّة أو المدينة أو كتاباً لوجهاء

الكوفة أو غيرها من البلدان، أو أيّ خطوةٍ أو حركةٍ يمكن أن تصنَّف لصالح الإمام (عليه السلام) والدعوة إلي نصرته، أو ضدّ يزيد والتخذيل عنه؟!

سؤالٌ يمكن أن يتقدّم به متابع بين يدي ابن عبّاس، ولمن أراد الجواب عنه أن يتمعّن أوّلاً ـ في حركة ابن عبّاس وفعاليّاته وأقواله وحواراته وكلماته أيّام تواجد الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) في مكّة وإشراقها بنور محيّاه.

التعليقة الثالثة: التزام ما التزمه سيّد الشهداء (عليه السلام) وابن عبّاس!

مرّ معنا: أنّ ابن عبّاسٍ كان يحاول بشتّي الوسائل إقناع الإمام (عليه السلام) في مكّة ليثنيه عن عزمه عن التوجّه إلي الكوفة، وكان يحاول جاهداً ليُثبت له أنّه علي خطأ ـ والعياذ بالله ـ وأنّ علي الإمام (عليه السلام) العمل بمشورته، غير أنّه تبيّن له فيما بعد أن رأيه كان خطأً وخطلاً وزللاً، وأنّ ما كان يقوله سيّد الشهداء (عليه السلام) ويخبره به عن الوقائع المحيطة به هو الصحيح تماماً.

هذا علي أفضل الفروض وأرقّها في حسن الظنّ.

بَيد أنّ ابن عبّاسٍ يبدو من خلال كتابه هذا أنّه أدرك، أو قبل، أو رضخ للوقائع، وجعل يُعلِن عن ذلك، لأيّ دافع ولأيّ سبب.فكان الأحري بمثل أبي الفرج وسبط ابن الجوزيّ وغيرهما ممّن تقوّل علي الإمام (عليه السلام) وافتري علي لسانه أنّه ذكر قول ابن عبّاسٍ وإشاراته، فقال: لله درّ

ابن عبـّاسٍ فيما أشار علَيّ به ((1))، وأنّ هـذا هو معني قول الإمـام أمير المؤمنين (عليه السـلام) : لله درّ ابن عبّاس، فإنّه ينظر من سترٍ رقيق ((2))..

كان الأحري بأمثال هؤلاء الّـذين كشف لهم ابن عبّاسٍ نفسه في هـذا الكتاب أنّه كان علي خطأٍ ذريعٍ فظيعٍ شـنيع، أن يقولوا علي لسان ابن عبّاس:

لله درّك يا سيّد الشهداء يا حسين، لقد أحطتَ بما أحاط بك علماً، وكنتَ تنظر إلي الغَيب دون حجابٍ ولا سترٍ رقيق!

وكان الأحري بغير هذين وأمثالهما من جميع العالمين أن يدقّقوا في أقوال سـيّد الشهداء (عليه السلام) واعترافات ابن عبّاس، الّتي قرّرها في هذا الكتاب وشهد بها لجميع ما قاله وأخبره به سيّد الشهداء (عليه السلام) ، فيلتزموا ما ينبغي التزامه!

التعليقة الرابعة: توظيف كتاب ابن عبّاس

أشـرنا فيما مضـي إلي جملـةٍ من الأحداث والمصائب الّتي ذكرها ابن عبّاس، والتأمّل في الكتاب يفيد أنّه قد واكب حركة الركب الحسـينيّ الحزين منالمدينـة إلي الشام، بعباراتٍ مقتضـبة، لكنّها ملأي مكتظّةً بالوقائع مزدحمةً بالحوادث، فيمكن أن يعالج كتاب ابن عبّاسٍ وتُوظَّف كلُّ فقرةٍ منه ضمن الفترة الّتي وقعَت فيها أحداثها وأخبارها، فتأتي مقاطع الكتاب علي التوالي، فما

1- أُنظر: مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: 72.
2- أُنظر: تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 137.

يخصّ الخروج من المدينـة في أحداث المدينة، وما يخصّ مكّة في أحداث مكّة، وما يخصّ كربلاء في كربلاء، وما يخصّ الشام في الشام، وهكذا..

إذ أنّ ابن عبّاسٍ المعاصـر بما يحتويه من رمزيّةٍ يُعدُّ راوياً لمقتل سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) وناقلاً لجمل من أخبار سـيّد الشهداء (عليه السلام) في كتابه هذا.

التعليقة الخامسة: باقي بني العبّاس!

أولاد العبّاس بن عبد المطّلب:

- الفضل.
- عبد الله.
- عُبيد الله.
- عبد الرحمان.
- قثم.
- معبد.
- عَون. ▪ الحرث.
- كثير.
- تمام.

ص: 111

- وفي رواية أبي طالب الأنباريّ زيادة: مليك ((1)).

فهم _ علي أقلّ تقدير، وفق ما ذكره السيّد بحر العلوم (رحمة الله) وغيره _ عشرة، بغضّ النظر عن التحقيق والنفي والإثبات، وهؤلاء العشرة لم نجد لهم ولا لأحدٍ من أولادهم أو أحفادهم _ بما فيهم أولاد عبد الله بن عبّاس نفسه _ خبراً في كربلاء، ولا قبل كربلاء فيما يخصّ ما جري علي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ولم نقف لهم علي موقفٍ خاصٍّ مميّزٍ سوي هذا الكتاب المرويّ عن عبد الله.

فأين كانوا؟!

وماذا فعلوا قبل وبعد كربلاء؟!

وهل شملهم كتاب الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) _ الّذي رواه صاحب (البصائر) والطبريّ الشيعيّ في (الدلائل) وغيرهما كثير عن الإمام الصادق (عليه السلام) _ الّذي دعا فيه بني هاشم وقال: «مَن لحق بي منكم استُشهد، ومَن لم يلحق لم يبلغ الفتح»؟!!

ص: 112

1- أُنظر: الفوائد الرجاليّة للسيّد بحر العلوم: 1 / 244.

إبن الزبير والإمام (عليه السلام)

اشارة

إبن سعدٍ ومَن تلاه:

ولزم ابن الزبير الحجَر، ولبس المعافريّ، وجعل يحرّض الناس علي بني أُميّة.

وكان يغدو ويروح إلي الحسين ويشير عليه أن يَقدِم العراق! ويقول: هم شيعتك وشيعة أبيك ((1)).

مصعب الزبيريّ، وابن عساكر مسنداً:

قال المصعب: وأخبرت عن هشام بن يوسف الصنعانيّ، عن معمّر قال: سمعتُ رجلاً يحدّث، قال: سمعتُ الحسين بن عليّ يقول لعبد الله ابن الزبير: «أتتني بيعة أربعين ألف رجلٍ (يحلفون لي بالطلاق

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162.

والعتاق) ((1)) من أهل الكوفة»، أو قال: «من أهل العراق».

فقال له عبد الله بن الزبير: أتخرج إلي قومٍ قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟

قال هشام بن يوسف: فسألتُ معمّراً عن الرجل، فقال: هو ثقة.

(قال عمّي): وزعم بعض الناس أنّ ابن عبّاس هو الّذي قال هذا ((2)).

البلاذريّ:

- قالوا: وعرض ابن الزبير علي الحسين أن يُقيم بمكّة، فيبايعه، ويبايعه الناس، وإنّما أراد بذلك أن لا يتّهمه وأن يعذر في القول.

فقال الحسين: «لئن أُقتَل خارجاً من مكّة بشبرٍ أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل فيها، ولئن أُقتَل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل خارجاً منها بشبر» ((3)).

- فأتاه [ابن الزبير] يوماً فحادثه ساعة، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وأولي الأمر منهم،فخبرني بما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: «واللهِ لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، فإنّ شيعتي بها،

ص: 114

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2604، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161.

2- أُنظر: نسب قريش لمصعب الزبيريّ: 239، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2604، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161.

3- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذري: 3 / 375.

وأشراف أهلها قد كتبوا إليّ في القدوم عليهم، وأستخير الله».

فقال ابن الزبير: لو كان لي بها مثل شيعتكم ما عدلتُ بها.

ثمّ خشي أن يتّهمه، فقال: إنّك لو أقمتَ بالحجاز ثمّ أردت الأمر هاهنا، ما خولف عليك إن شاء الله. ثمّ خرج من عنده.

فقال الحسين: «ما شيءٌ من أمر الدنيا يُؤتاه أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز؛ لأنّه قد علم أنّه ليس له معي من الأمر شيء» ((1)).

محمّد بن سليمان الكوفي:

[حدّثنا أبو أحمد، قال: أخبرنا عليّ بن الحسن البراز]، قال شبابة [ابن سوار]: وحدّثنا قيس بن الربيع، عن عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب قال:

لقي عبدُ الله بن الزبير الحسينَ بن عليّ يتوجّه إلي العراق، فقال: أين تريد؟ قال: «العراق». قال: إنّك تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك، ولا أراهم إلّا قاتليك. قال: «وأنا أري ذلك» ((2)).

الدينوريّ:وبلغ عبد الله بن الزبير ما يهمّ به الحسين، فأقبل حتّي دخل عليه، فقال له: لو أقمتَ بهذا الحرم، وبثت رسلك في البلدان، وكتبت إلي شيعتك بالعراق أن يقدموا عليك، فإذا قوي أمرك نفيت عمّال يزيد

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 315.
2- المناقب لمحمّد بن سليمان: 2 / 262 الرقم 727.

عن هـذا البلـد، وعلَيّ لـك المكانفـة والمؤازرة، وإن عملت بمشورتي طلبت هـذا الأمر بهـذا الحرم، فـإنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار، لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوتُ أن تناله ((1)).

الطبريّ:

- وأتاه ابن الزبير، فحـدّثه ساعة، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرْني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: «واللهِ لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرافُ أهلها، وأستخير الله».

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلتُ بها.

قـال: ثمّ إنّه خشـي أن يتّهمه، فقـال: أمـا إنّك لو أقمتَ بالحجاز، ثمّ أردت هـذا الأمر هاهنا، ما خُولف عليك إن شاء الله. ثم قام فخرج مِن عنـده.فقال الحسـين: «ها إنّ هـذا ليس شـيءٌ يُؤتاه من الـدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز إلي العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لم يعدلوه بي، فودّ أنّي خرجتُ منها لتخلو له» ((2)).

- قال أبو مخنف: قال أبو جناب يحيي بن أبي حيّـة، عن عَديّ بن حرملة الأسديّ، عن عبد الله بن سـليم والمذريّ بن المشـمعل الأسديَّين قالا:

1- الأخبار الطوال للدينوريّ: 243.
2- تاريخ الطبريّ: 5 / 383.

خرجنا حاجّين من الكوفـة حتّي قدمنا مكّة، فدخلنا يوم التروية، فإذا نحن بالحسـين وعبد الله بن الزبير قائمَين عند ارتفاع الضـحي فيما بين الحِجْر والباب.

قالا: فتقرّبنـا منهما، فسـمعنا ابن الزبير وهو يقول للحسـين: إن شـئتَ أن تقيم أقمت، فوليت هـذا الأمر، فآزرناك وساعـدناك ونصـحنا لك وبايعناك.

فقال له الحسين: «إنّ أبي حدّثني أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش».

فقال له ابن الزبير: فأَقِمْ إن شئت، وتولّيني أنا الأمر، فتُطاع ولا تعصي.فقال: «وما أُريد هذا أيضاً».

قالا: ثمّ إنّهما أخفيا كلامهما دوننا، فما زالا يتناجيان حتّي سمعنا دعاء الناس رائحين متوجّهين إلي مني عند الظهر.

قالا: فطـاف الحسـين بـالبيت وبين الصـفا والمروة، وقصّ من شـعره، وحلّ من عمرته، ثمّ توجّه نحو الكوفـة، وتوجّهنا نحو الناس إلي مني ((1)).

● قال أبو مخنف: عن أبي سعيد عقيصا، عن بعض أصحابه، قال:

سمعتُ الحسين بن عليّ، وهو بمكة، وهو واقفٌ مع عبد الله بن الزبير، فقال له ابن الزبير: إليّ يا ابن فاطمة! فأصغي إليه، فسارّه.

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 384، نفَس المهموم للقمّي: 169، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166.

قال: ثمّ التفت إلينا الحسين، فقال: «أتدرون ما يقول ابن الزبير؟»، فقلنا: لا ندري، جعلنا الله فداك! فقال: «قال: أَقِمْ في هذا المسجد، أجمعُ لك الناس».

ثمّ قال الحسـين: «واللهِ لَئن أُقتَل خارجاً منها بشبرٍ أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل داخلاً منها بشبر، وأيمُ الله لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لَاستخرجوني حتّي يقضوا فيّ حاجتهم، وواللهِ لَيعتدُنّ علَيّ كما اعتدت اليهودُ في السبت» ((1)).المسعوديّ:

وبلغ ابن الزبير أنّه يريد الخروج إلي الكوفة، وهو أثقل الناس عليه، قد غمّه مكانه بمكّة؛ لأنّ الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين، فلم يكن شيءٌ يُؤتاه أحبّ إليه من شخوص الحسين عن مكّة.

فأتاه فقال: أبا عبد الله، ما عندك؟ فواللهِ لقد خفتُ الله في ترك جهاد هؤلاء القوم علي ظلمهم، واستذلالهم الصالحين من عباد الله.

فقال حسين: «قد عزمتُ علي إتيان الكوفة».

فقال: وفّقك الله! أما لو أنّ لي بها مثل أنصارك ما عدلتُ عنها.

ثمّ خاف أن يتّهمه، فقال: ولو أقمتَ بمكانك، فـدعوتنا وأهل الحجاز إلي بيعتك أجبناك، وكنّا إليك سـراعاً، وكنتَ أحقّ بـذلك من يزيد وأبي يزيد ((2)).

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 385.

2- مروج الذهب للمسعوديّ: 3 / 65، نفَس المهموم للقمّي: 167.

أبو الفرج:

فأزمع الشخوص إلي الكوفة، ولقيه عبدُ الله بن الزبير في تلك الأيام، ولـم يكن شيءٌ أثقل عليه من مكان الحسين بالحجاز، ولا أحبّ إليه من خروجه إلي العراق؛ طمعاً في الوثوب بالحجاز، وعلماً بأنّ ذلك لا يتمّ له إلّا بعد خروج الحسين (عليه السلام) .

فقـال له: علي أيّ شـيءٍ عزمتَ يـا أبا عبـد الله؟ فأخبره برأيه في إتيانالكوفـة، وأعلمه بما كتب به مسـلم بن عقيل إليه، فقال له ابن الزبير: فما يحبسك؟ فواللهِ لو كان لي مثل شيعتك بالعراق ما تلوّمت في شيء. وقوّي عزمه، ثمّ انصرف ((1)).

القاضي النعمان:

فلمّا همّ بالخروج من مكّـة، لقيه ابنُ الزبير فقال: يا أبا عبـد الله، إنّك مطلوب، فلو مكثتَ بمكّـة، فكنت كأحد حمام هذا البيت، واسـتجرت بحرم الله، لَكان ذلك أحسن لك.

فقال له الحسـين (عليه السلام) : «يمنعني من ذلك قول رسول الله (صلي الله عليه و آله) : سيستحلّ هذا الحرمَ من أجلي رجلٌ من قريش. واللهِ لا أكون ذلك الرجل، صنع الله بي ما هو صانع.

(فكان الّذي استحلّ الحرم من أجله: ابن الزبير).

عمرو بن ثابت، عن أبي سعيدٍ قال:

1- مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: 72.

كنّا جلوساً مع الحسين بن عليّ (عليه السلام) عند جمرة العقبة، فلقيه عبد الله ابن الزبير، فخلا به، ثمّ مضي.

فقال لنا الحسين (عليه السلام) : «أتدرون ما يقول هذا؟ يقول: كُن حمامةً من حمام هذا المسجد. واللهِ لئن أُقتَل خارجاً منه بشبرٍ أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل فيه، ولئن أُقتَل خارجاً منه بشبرين أحبّ إليّ مِن أن أُقتَلخارجاً منه بشبر، واللهِ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ لَأخرجوني حتّي يقضوا فيّ حاجتهم، واللهِ لَيعتدوا فيّ كما اعتدت اليهود في السبت» ((1)).

إبن قولويه (رحمة الله) :

حدّثني أبي (رحمة الله) وعليّ بن الحسين جميعاً، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد ابن أبي الصهبان، عن عبد الرحمان بن أبي نجران، عن عاصم بن حميد، عن فضيل الرسّان، عن أبي سعيد عقيصا قال:

سمعتُ الحسين بن عليّ (عليهما السلام) وخلا به عبدُ الله بن الزبير وناجاه طويلاً، قال: ثمّ أقبل الحسين (عليه السلام) بوجهه إليهم وقال: «إنّ هـذا يقول لي: كُن حماماً من حمـام الحرم. ولَئن أُقتَل وبيني وبين الحرم باعٌ أحبُّ إليّ من أن أُقتَل وبيني وبينه شبر، ولَئن أُقتَل بالطف أحبُّ إليّ من أن أُقتَل بالحرم».

وعنهما، عن سعد، عن محمّد بن الحسين، عن صفوان بن يحيي، عن داوود بن فرقد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

1- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145.

«قال عبد الله بن الزبير للحسين (عليه السلام) : ولو جئتَ إلي مكّة، فكنتَ بالحرم.

فقال الحسين: لا نستحلّها، ولا تستحلّ بنا، ولَئن أُقتَل علي تلٍّ أعفرأحبُّ إليّ من أن أُقتَل بها».

حدّثني أبي (رحمة الله) ومحمّد بن الحسين، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن أبيه، عن أبي الجارود، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال:

«إنّ الحسين (عليه السلام) خرج من مكّة قبل التروية بيوم، فشيّعه عبد الله بن الزبير، فقال: يا أبا عبد الله، لقد حضر الحجّ وتدعه وتأتي العراق؟! فقال: يا ابن الزبير، لَئن أُدفَن بشاطئ الفرات أحبُّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة» ((1)).

الشجريّ:

(وبه) قال: أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمان بن محمّد بن أحمد الذكوانيّ بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو محمّد عبد الله بن جعفر بن حيّان، قال: حدّثنا أبو حامد محمّد بن أحمد بن الفرج، قال: حدّثنا محمّد بن المنذر البغداديّ سنة اثنتان وثلاثين ومئتين، قال: حدّثنا سفيان، عن عبد

1- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 – 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.

الله بن شريك العامريّ، عن بشر بن غالب الأسديّ قال:

إنّ ابن الزبير لحق الحسين بن علي (عليهما السلام) ، قال: أين تريد؟ قال:«العراق».

قال: هم الّذين قتلوا أباك وطعنوا أخاك، وأنا أري أنّهم قاتلوك. قال: «وأنا أري ذلك».

قال: فأخبِرْني عن المولود، متّي يجب عطاؤه؟ قال: «إذا استهلّ صارخاً وجب عطاؤه، وورث وورث».

قال: فأخبِرْني عن الرجل يقاتل عن أهل الذمّة فيؤسر. قال: «فكاكه في جزيتهم».

قال: فأخبِرْني عن الشرب قائماً. قال: حلب الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ناقته تحته، فشرب قائماً.

قال: فأخبِرْني عن الصلاة في جلود الميتة. قال: «فأومأ الحسين بن عليّ (عليهما السلام) إلي كلّابٍ له عليه فروة، فقال: هذا من جلود الميتة دبغناها، فإذا حضرت الصلاة صلّيتُ فيها» ((1)).

الخوارزميّ:

ثمّ أقبل عبد الله بن الزبير فسـلّم عليه، وجلس ساعة، ثمّ قال: أما والله _ يا ابن رسول الله _ لو كان لي بالعراق مثل شيعتك، لما أقمت بمكّة يوماً واحداً، ولو أنّك أقمت بالحجاز ما خالفك أحد، فعلي ماذا نعطي هؤلاء

1- الأمالي للشجريّ: 1 / 174.

الدنيّة ونُطمعهم في حقّنا، ونحن أبناء المهاجرين وهم أبناء المنافقين؟!

قال: وكان هذا الكلام مكراً من ابن الزبير، لأنّه لا يحبّ أن يكون بالحجاز أحدٌ يناويه، فسكت عنه الحسين وعلم ما يريد ((1)).

الخوارزميّ، ابن كثير:

قال: (وبهذا الإسناد)، عن والدي، أخبرنا أبو الحسين بن الفضل، أخبرنا عبد الله بن جعفر، حدّثنا يعقوب بن سفيان، حدّثنا أبو بكر الحميديّ، حدّثنا سفيان، حدّثنا عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب قال:

قال عبد الله بن الزبير للحسين بن عليّ (عليه السلام) : أين تذهب؟ إلي قومٍ قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟!

فقال له الحسين: «لئن أُقتَل بمكان كذا وكذا، أحبّ إليّ مِن أن تُستحَلّ بي» (يعني مكّة) ((2)).

إبن عساكر، ابن بدران:

أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقنديّ، أنبأنا أبو بكر ابن الطبريّ، أنبأنا أبو الحسين ابن الفضل، أنبأنا عبد الله بن جعفر، أنبأنا يعقوب، أنبأنا أبو بكر الحميديّ، أنبأنا سفيان، أنبأنا عبد الله بن شريك، عن بشر بن غالب أنّه سمعه يقول:

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 219، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161.

قال عبد الله بن الزبير لحسين بن عليّ: أين تذهب؟ إلي قومٍ قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟!

فقال له حسين: «لئن أُقتَل بمكان كذا وكذا أحبُّ إليّ من أن تُستحلّ بي»، يعني مكّة ((1)).

إبن عساكر، ابن خيّاط:

وخرج الحسين من ليلته، فالتقيا بمكّة، فقال له ابن الزبير: ما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك؟ فوَاللهِ لو أنّ لي مثلهم ما وجّهتُ إلّا إليهم ((2)) (لَذهبتُ إليهم) ((3)).

إبن شهرآشوب (رحمة الله) :

كتاب الإبانة: قال بشر بن عاصم:

سمعتُ أنّ ابن الزبير يقول: قلتُ للحسين بن عليّ: إنّك تذهب إلي قومٍ قتلوا أباك وخذلوا أخاك! فقال: «لئن أُقتَل بمكان كذا وكذا،أحبّ إلي مِن أن يُستحلّ بي مكّة». عرّض به (عليه السلام) ((4)).

ص: 124

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329.
2- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، مختصر ابن منظور: 12 / 190، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 4 / 170.
3- تاريخ ابن خيّاط: 178.
4- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 27 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، مدينة المعاجز للبحرانيّ: 245، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 185، العوالم للبحرانيّ: 17 / 54.

إبن الأثير:

وأتاه ابن الزبير فحدّثه ساعة، ثمّ قال: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفنا عنهم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم! خبّرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: «لقد حدّثتُ نفسي بإتياني الكوفة، ولقد كتبَت إليّ شيعتي بها وأشراف الناس، وأستخير الله».

فقال له ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك لما عدلتُ عنها.

ثمّ خشي أن يتّهمه، فقال له: أما إنّك لو أقمتَ بالحجاز، ثمّ أردت هذا الأمر هاهنا، لما خالفنا عليك، وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك.

فقال له الحسين: «إنّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تُستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش».

قال: فأقِمْ إن شئت، وتولّيني أنا الأمر، فتُطاع ولا تُعصي.

قال: «ولا أُريد هذا أيضاً».

ثمّ إنّهما أخفيا كلامهما، فالتفت الحسين إلي مَن هناك، وقال:«أتدرون ما يقول؟»، قالوا: لا ندري، جعلنا الله فداءك. قال: «إنّه يقول: أقِمْ في هذا المسجد، أجمعُ لك الناس».

ثمّ قال له الحسين: «والله لَئن أُقتَل خارجاً منها بشبرٍ أحبّ إليّ من أن أُقتَل فيها، ولئن أُقتَل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليّ من أن أُقتَل خارجاً منها بشبر، وأيمُ الله لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لَاستخرجوني حتّي يقضوا بي حاجتهم، واللهِ لَيعتدُنّ علَيّ كما اعتدت

اليهودُ في السبت».

فقام ابن الزبير وخرج من عنده، فقال الحسين: «إنّ هذا ليس شيءٌ من الدنيا أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّ الناس لا يعدلونه بي، فودّ أنّي خرجتُ حتّي يخلو له» ((1)).

سبط ابن الجوزيّ:

ولمّا بلغ ابن الزبير عزمه، دخل عليه وقال له: لو أقمتَ هاهنا بايعناك، فأنت أحقُّ مِن يزيد وأبيه. وكان ابن الزبير أسرَّ الناس بخروجه من مكّة، وإنّما قال له هذا لئلّا ينسبه إلي شيءٍ آخر ((2)).

الطبريّ صاحب (الذخائر):وعن بشر بن غالب، قال عبد الله بن الزبير يقول للحسين بن عليّ: تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟!

فقال الحسين: «لئن أُقتَل بموضع كذا وكذا، أحبّ إليّ من أن يُستحلّ بي»، يعني الحرم ((3)).

الذهبيّ:

إبن المبارك، عن بشر بن غالب: أنّ ابن الزبير قال للحسين: إلي أين تذهب؟ إلي قومٍ قتلوا أباك وطعنوا أخاك؟!

1- الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الإرب للنويري: 20 / 407.
2- تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 137.
3- ذخائر العقبي للطبريّ: 151.

فقال: «لئن أُقتَل أحبّ إليّ مِن أن تُستحلّ»، يعني مكّة ((1)).

إبن كثير:

ودخل ابن الزبير، فقال له: ما أدري ما تركنا لهؤلاء القوم، ونحن أبناء المهاجرين وولاة هذا الأمر دونهم! أخبرني ما تريد أن تصنع؟

فقال الحسين: «والله لقد حدّثتُ نفسي بإتيان الكوفة، ولقد كتب إليّ شيعتي بها وأشرافُها بالقدوم عليهم، وأستخير الله».

فقال ابن الزبير: أما لو كان لي بها مثل شيعتك ما عدلتُ عنها.

فلمّا خرج من عنده، قال الحسين: «قد علم ابن الزبير أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ الناس لم يعدلوا بي غيري، فودّ أنّي خرجتُلتخلو له» ((2)).

إبن الصبّاغ، الشبلنجيّ:

فبعد أن خرجوا [ابن عبّاس وجماعة] عنه جاء ابن الزبير، فجلس عنده ساعةً يتحدّث، ثمّ قال: أخبِرْني ما تريد أن تصنع؟ بلغني أنّك سائرٌ إلي العراق.

فقال الحسين: «نعم، نفسي تحدّثني بإتيان الكوفة، وذلك أنّ جماعةً من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إليّ كتباً يحثّونني علي المسير إليهم، ويعِدونني النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم، ووعدتُهم بالوصول

ص: 127

1- سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 197.
2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160.

إليهم، وأنا أستخير الله (تعالي)».

فقال له ابن الزبير: أما إنّه لو كان لي بها شيعةٌ مثل شيعتك، ما عدلتُ عنهم.

ثمّ إنّه خشي أن يتّهمه، فقال: وإنْ رأيتَ أنّك تقيم هنا بالحجاز، وتريد هذا الأمر، قمنا معك وساعدناك وبايعناك ونصحنا لك.

فقال له الحسين (عليه السلام) : «إنّ أبي حدّثني أنّ لها كبشاً به تُستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون ذلك الكبش، والله لَئن قُتلتُ خارجاً من مكّة بشبرٍ أحبّ إليّ من أن أُقتَل بداخلها، ولئن أُقتَل خارجهابشبرين أحبّ إليّ من أن أُقتَل بداخلها بشبرٍ واحد».

فقام ابن الزبير وخرج من عنده، فقال الحسين لجماعةٍ كانوا عنده من خواصّه: «إنّ هذا الرجل ـ يعني ابن الزبير ـ ليس في الدنيا شيءٌ أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّ الناس لا يعدلون بي ما دمتُ فيه، فيودّ أنّي خرجتُ منه لتخلو له» ((1)).

السيوطيّ:

فأمّا ابن الزبير، فلم يبايع ولا دعا إلي نفسه، فأشار عليه ابن الزبير بالخروج ((2)).

إبن حجر:

1- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.
2- تاريخ الخلفاء للسيوطيّ: 206.

ونهاه ابن الزبير أيضاً، فقال له: «حدّثني أبي أنّ لمكّة كبشاً به يُستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش».

ومرّ قول أخيه الحسن له: إيّاك وسفهاء الكوفة أن يستخفّوك، فيُخرجوك ويسلموك. فتندّم ولات حين مناص، وقد تذكّر ذلك ليلة قتله، فترحّم علي أخيه الحسن ((1)).

الدربنديّ (رحمة الله) :ولمّا بلغ عبدُ الله بن الزبير عزْمَ الحسين، دخل عليه وقال: يا ابن رسول الله، إنّك لو أقمتَ هاهنا، لعلّ الله يجمعنا بك علي الهدي، بايعناك، فإنّك أحقُّ من يزيد المعلِن بالفسق والفجور، وإنّي أتخوّف عليك إن خرجتَ لا يرعي فيك إلّاً ولا ذمّةً ولا قرابة ((2)).

*****

تضمّنَت هذه النصوص لقاءً حصل بين عبد الله بن الزبير والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وهي ربّما اتفقَت في بعض المضامين واختلفَت في مضامين أُخري، يمكن متابعتها من خلال العروض التالية:

العرض الأوّل: تعدّد اللقاء

يبدو أنّ ابن الزبير التقي الإمام (عليه السلام) عدّة مرّات، إذ أنّه كان في جملة مَن

1- الصواعق المُحرقة لابن حجر: 117.

2- أسرار الشهادة للدربنديّ: 245.

يدخلون علي الإمام (عليه السلام) .. «وكان يغدو ويروح إلي الحسين» ((1)).ويمكن استفادة تكرّر اللقاء من متابعة النصوص الّتي مرّت بنا، حيث أنّها تختلف في الظروف والمضامين _ أحياناً _ اختلافاً تامّاً.

وسيتّضح بعد قليلٍ من خلال الحديث عن وقت اللقاء ومكانه وغير ذلك أنّ النصوص تتحدّث عن عدّة لقاءاتٍ أو عدّة حوارات.

العرض الثاني: وقت اللقاء

ربّما أفاد ابن سعدٍ وغيره ممّن عدّ ابن الزبير في الداخلين علي الإمام (عليه السلام) أنّ أحياناً كثيرةً وأوقاتاً متعدّدةً جمعَت ابن الزبير بالإمام (عليه السلام) ، من دون تحديد وقتٍ علي وجه التحديد، غير أنّ نصوص هذا اللقاء الّذي نحن بصدد دراسته أشارت من خلال بعض العبارات إلي بعض الأوقات، وإن كانت عائمةً غائمةً غير محدّدةٍ بالضبط.

وربّما كانت جميعها تفيد _ بنحوٍ ما _ أنّ اللقاء كان بعد أن عزم الإمام (عليه السلام) علي الخروج إلي العراق، أو قُبيل خروجه، ويبيّن ذلك من سؤال ابن الزبير عن

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162.

الخروج إلي العراق: أتخرج إلي قومٍ قتلوا أباك؟ وقول الـدينوريّ: وبلغ عبـد الله ابن الزبير ما يهمّ به الحسـين ((1))، وقول الخوارزميّ: وبلغ ابن الزبيرأنّه (عليه السـلام) يريد الخروج إلي الكوفة ((2))، وقول أبي الفرج: فأزمعَ الشـخوص إلي الكوفـة، ولقيه عبد الله بن الزبير في تلك الأيّام ((3))، وقول القاضي النعمان: فلمّا همّ بالخروج من مكّة لقيه ابن الزبير ((4))، وما شابه ذلك من عبارات المؤرّخين.

فيما قال ابن الصـبّاغ والشـبلنجيّ أنّ اللقاء حصل بعـد أن خرج ابن عبّاسٍ وجماعةٌ من عند الإمام (عليه السـلام) ، فجاءه ابن الزبير وجلس عنده ((5)).

وقـد حدّدَت رواية الطبريّ وابن كثير عن الأسديَّين الوقتَ بيوم التروية عند ارتفاع الضـحي ((6))، وهو نفس يوم خروج سـيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة، كما صرّح به الخبر نفسه.

وقـد ورد في الحديث عن الإمام الباقر (عليه السـلام) أنّ الحسـين (عليه السـلام) خرج من مكّة قبل التروية بيوم، فشـيّعه عبد الله بن الزبير ((7)) وكلّمه.

1- الأخبار الطوال للدينوريّ: 243.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217.

3- مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: 72.

4- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143.

5- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

6- تاريخ الطبريّ: 5 / 384، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166.

7- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.

وهذه الأوقات المذكورة جميعاً متقاربة، ولا مانع من تكثّرها لتكرّر اللقاء.

العرض الثالث: مكان اللقاء

اشارة

يمكن استكشاف عدّة أماكن من جملة النصوص الواردة في المقام:

المكان الأوّل: عند الإمام الحسين (عليه السلام)

ربّما أفاد قول جملةٍ من المؤرّخين: «وأتاه ابن الزبير» ((1))، وقول آخرين: «ودخل عليه ابن الزبير» ((2))، وقال الدينوريّ: «فأقبل حتّي دخل عليه»، سيّما أنّه يعقب بعد نقل الكلام بقوله: «فقام ابن الزبير وخرج من عنده» ((3))، ويقول ابن كثير: «فلمّا خرج من عنده» ((4)).

وفي قول ابن الصبّاغ والشبلنجيّ، تمّ اللقاء بعد أن خرج ابن عبّاس وجماعة من عند الإمام (عليه السلام) جاء ابن الزبير ((5)).

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 315، تاريخ الطبريّ: 5 / 383، مروج الذهب للمسعوديّ: 3 / 65، الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الأرب للنويري: 20 / 407.
2- أُنظر: البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 137، أسرار الشهادة للدربنديّ: 245.
3- الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الأرب للنويري: 20 / 407.
4- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160.
5- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

تفيد هذه النصوص جميعاً أنّ ثمة لقاءٌ تمّ عند الإمام (عليه السلام) وفي دارته ومحلّ إقامته.

المكان الثاني: لحقه (عليه السلام) ابن الزبير

في (أمالي الشجريّ): إنّ ابن الزبير لحق الحسين بن عليّ (عليه السلام) ((1))، وفي حديث الإمام الباقر (عليه السلام) : «إنّ الحسين (عليه السلام) خرج من مكّة قبل التروية بيوم، فشيّعه عبد الله بن الزبير، فقال: ...» ((2)).

يبدو أنّ اللقاء حسب الحديث الشريف ومتن الشجريّ تمّ أثناء خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة، وهو في الطريق، فالتشييع إنّما يحصل عند المتابعة والمسايرة في طريق الخروج، وهو يفاد من «لحق» في النصّ الأوّل.

المكان الثالث: بين الحِجر والباب

الأسديّان: فإذا نحن بالحسين وعبد الله بن الزبير قائمَين عند ارتفاع الضحي فيما بين الحِجر والباب ((3)).

حدّد الأسديّان موضع اللقاء تحديداً دقيقاً، فهو قد حصل في المسجد

ص: 133

1- الأمالي للشجريّ: 1 / 174.
2- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.
3- تاريخ الطبريّ: 5 / 384.

الحرام فيما بين الحِجر والباب، وكانا قائمَين.

المكان الرابع: عند جمرة العَقبة

نجـد في رواية أبي سـعيد أنّ الإمام (عليه السـلام) كان جالساً مع جماعةٍ عند جمرة العقبة، فلقيه ابن الزبير ((1))، فيكون اللقاء قد حصل خارج المسجد الحرام، بل في مني خارج مدينة مكّة.

العرض الرابع: هل كان اللقاء بين جماعة، أو كان في خلوة؟

أفـادت بعض النصوص أنّ اللقاء جري علي مرأيً ومسـمع من جماعـة، كالّتي تقول أنّهما تحادثا ثمّ أخفيا كلامهما، ثمّ التفت الإمام (عليه السلام) إلي مَن هناك وعلّق علي كلام ابن الزبير ((2)).

وقد صرّح ابن الصبّاغ والشبلنجيّ بوجود جماعةٍ عنده من خواصّه ((3)).

وأفاد الأسديّان كأنّ الإمام (عليه السلام) وابن الزبير كانا يتحدّثان فيما بينهما في المسجد الحرام، فاقتربا منهما حتّي سمعا الكلام، ثمّ إنّهما أخفيا كلامهما

1- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143.
2- أُنظر: الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الأرب للنويريّ: 20 / 407، جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 315، تاريخ الطبريّ: 5 / 383، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160.
3- أُنظر: الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

وتناجيا دونهما ((1)).

فيما أفاد القاضي النعمان في خبر أبي سعيد أنّهما التقيا في جمرة العقبة، وكان الإمام (عليه السلام) جالساً مع جماعة، بَيد أنّ ابن الزبير خلا به ((2)).

وكذا هي رواية ابن قولويه عن أبي سعيد، باختلاف أنّ الإمام (عليه السلام) أقبل بوجهه إلي مَن معه وأخبرهم بما قاله ابن الزبير ((3)).

العرض الخامس: تحريض ابن الزبير علي بني أُميّة

قال ابن سعدٍ ومَن تلاه:

ولزم ابن الزبير الحجر، ولبس المعافريّ، وجعل يحرّض الناس علي بني أُميّة ((4)).

لقد نصّ المؤرّخ علي فعاليّات ابن الزبير ونشاطاته في مكّة، وصرّح بها

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 384، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166.
2- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143.
3- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.
4- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162.

بوضوح، وأخبر عن تحريضه الناس علي بني أميّة، وربّما دخل في هذا التحريض ما عرضه علي سيّد الشهداء (عليه السلام) وتكلّم به بين يديه، إذ أنّه لا يبعد عن تحريض الإمام (عليه السلام) علي بني أُميّة ويزيد، وهو يريد أن يصل إلي ما يروم بأيّ ثمنٍ كان وبأيّ وسيلةٍ توفّرت، فهو ثعلبٌ مراوغٌ وماكرٌ خبيث، لا يتورّع ولا يتحرّج، وإن تطلّب منه الأمر توظيف الدم الزاكي للوصول إلي مآربه الهابطة.

قال الشيخ ابن نما:

وكان عبد الله بن الزبير قبل موت يزيد يدعو الناس إلي طلب ثأر الحسين (عليه السلام) وأصحابه، ويغريهم بيزيد ويوثّبهم عليه، فلمّا مات يزيد (لعنه الله) أعرض عن ذلك القول، وبان بأنّه يطلب المُلك لنفسه لا للثأر ((1)).

*****

ولسنا نسمع من المؤرّخين القدماء منهم والمتأخّرين مثل هذا التصريح وهذا البيان والنصّ الواضح يفيد أنّ الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) قد مارس التحريض علي بني أُميّة في مكّة، أو التحريض علي شخص يزيد الخمور والفجور.ولا مجال لاستغفال المؤرّخ عن هذه النقطة بالخصوص، إذ أنّه لم يغفل عن ابن الزبير وهو النكرة المبهم الّذي لا قدر له ولا قيمة، وهو يعلم أنّ الناس لا

1- ذوب النضّار لابن نما: 78، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 356.

يأبهون به ما دام الإمام الحسين (عليه السلام) في مكّة، كما يعلم المؤرّخ وجميع مَن شهد أو روي أحداث تلك الأيّام.

فكيف يتنبّه الراوي والمؤرّخ إلي نشاط ابن الزبير، ثمّ يغفل عن نشاط سيّد الشهداء (عليه السلام) ويُغمِض النظر عن فعّاليات خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) وكلماته وبياناته وتصريحاته، وكان المؤرّخ يومها يتابع الإمام (عليه السلام) ويلاحقه في جميع حركاته وسكناته.

فلو كان الإمام (عليه السلام) قد حرّض أو جيّش العواطف والعقائد والمشاعر، أو حشّد الجماهير والناس ليزجّ بهم في مواجهةٍ كاسحةٍ ضدّ يزيد وبني أُميّة، لَرصدها المؤرّخ وأشار إليها، ولو إشارةً من بعيدٍ يمكن أن تلوح للمتأمّل والمتابع بدقّة.

العرض السادس: إصرار ابن الزبير علي خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة

كان ابن الزبير يغدو ويروح إلي الحسين (عليه السلام) ، ويشير عليه أن يَقدِم العراق، وقد فسّر المؤرّخ إصراره علي ذلك لحبّه أن تخلو له ساحة مكّة المكرمة،وصرّحت جملةٌ من المتون التاريخيّة بما قاله الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) مؤكّداً علي ذلك، فهو مفضوحٌ علي كلّ صعيد، فتراه يُصحِر بما فيه في فلتات لسانه، فيحثّ الإمام (عليه السلام) علي التوجّه نحو العراق، ثمّ يستدرك ويستبقيه في مكّة في نفس الحديث، ممّا يدعو المؤرّخ إلي تفسير ذلك باطمئنانٍ برغبته الأكيدة في تخلية الحجاز منه (عليه السلام) ، ولو لم يكن ذلك ظاهراً بجلاءٍ في كلامه وسلوكه وأسارير

وجهه، لاكتفينا بما قاله عنه الإمام (عليه السلام) حين قال:

- «ليس في الدنيا أحبّ إليه مِن أن أخرج من الحجاز، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء» ((1)).
- «وقد علم أنّ الناس لا يعدلونه بي ما دمتُ فيه، فيودّ أنّي خرجتُ منه لتخلو له» ((2)).

ومن كلام الإمام (عليه السلام) تنكشف نوايا ابن الزبير حتّي لو كانت كامنة، أو كان هو يتكلّف في إخفائها، وعلي فرض أنّها كانت مضمرةً وغير معلنة، فإنّ في ما فضحه به الإمام (عليه السلام) كفاية كافية وعليها الاعتماد.

وقد انجلي سبب إصراره من خلال ما بيّنه الإمام (عليه السلام) ، فهو يريد أن يستفردبالحجاز ومكّة، لعلمه أنّه لا يمكن أن يرفّ له شاربٌ أو يُرفع له طرفٌ مع وجود شمس الكونين مُشرقةً علي الكعبة والبيت الحرام ووديان مكّة وجبالها.

وبالرغم من كلّ ما تكلّفه من التظاهر بالزهد والعبادة، حتّي حاول هو ومَن ينسج علي منواله أن يخلعوا عليه لقب (حمام الحرم)، ورغم تبنّيه شعاراتٍ مغريةً للإطاحة بحكم الظلَمة من بني أُميّة، ورغم ادّعائه الشرف الّذي يعلو به _ حسب مزاعمه _ علي كلّ العرب، فإنّه لا يمكن أن يكون بحضور الإمام الحسين (عليه السلام) _ سيّد الكائنات وخامس أصحاب الكساء وسيّد شباب أهل

1- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160.
2- أُنظر: الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258، الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الإرب للنويري: 20 / 407.

الجنّة _ حتّي صرصوراً في بالوعات الكنيف المحيطة بالبيت الحرام.

ومن هوان الـدنيا علي الله أن يَري مثلُ ابن الزبير نفسَه بإزاء سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، ويري في ريحانـة النبيّ (صـلي الله عليه و آله) منافِساً له.

وسـيتّضح لنا بعد قليلٍ أن لا مجال لفرض المنافسة بين هذا العلج المتمرّد المتوثّب للظلم وارتكاب المآثم ونيل حطام الدنيا الهزيل، وبين حبيب الله الملاحَق الّذي يطلب لنفسه وأهله ورهطه مأويً يُبعِده عن مخالب القرود العادية المسعورة.

كما سـيتّضح الفرق بين ما يصـبو إليه ابن الزبير من توظيف البيت الحرام للوصول إلي الغاية الهابطة الرذيلة، وما يريده الإمام (عليه السلام) من حفظ الحرمات.. وغيرها من المطالب المتعلّقة بالمقام.

العرض السابع: خبر الزبيريّ

اشارة

قال مصعب: وأُخبرتُ عن هشام بن يوسف الصنعانيّ، عن معمّر قال: سمعتُ رجلاً يُحدّث، قال:

سمعتُ الحسين بن عليّ يقول لعبد الله ابن الزبير: «أتتني بيعةُ أربعين ألف رجل (يحلفون لي بالطلاق والعتاق) ((1)) من أهل الكوفة»، أو قال: «من أهل العراق».

1- تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2604، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161.

فقال له عبد الله بن الزبير: أتخرج إلي قومٍ قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟

قال هشام بن يوسف: فسألتُ معمّراً عن الرجل، فقال: هو ثقة.

(قال عمّي): وزعم بعض الناس أنّ ابن عبّاسٍ هو الّذي قال هذا ((1)).

ميّزنا خبر مصعب الزبيريّ عن غيره من الأخبار الّتي سنأتي عليها إن شاء الله؛ لما فيه من اختلافٍ معها في الصياغة والمضمون، ولما فيه من غرابة:

الغريبة الأُولي: الإسناد والتردّد

رغم أنّنا لا نرتكن إلي الإسناد في الروايات التاريخيّة، وقد بيّنّا قدره ومقدار الاستفادة منه وتوظيفه في بحث المدخل المطبوع في مقدّمة (مجموعة المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام))، ومقدّمة كتاب (بنت الحسين رقية (عليهما السلام))، غير أنّ الزبيريّ نفسه قد أشار إليه، فاضطرّنا إلي الوقوف عنده علي عجل.

ولو أغمضنا النظر عن الزبيريّ نفسه، وهو زبيريّ النسب والهوي، خبيثٌ شديد العداوة لأهل البيت (عليهم السلام) ، مراوغٌ خدّاعٌ مضلّلٌ في ما يرويه عن أهل البيت (عليهم السلام) ، كما يبدو واضحاً من مراجعة كتابه، وفي ذلك حاجزٌ منيعٌ دون الاستناد إليه.

فإنّ مَن يروي عنه الزبيريّ مجهولٌ لا يعرفه أحدٌ سوي مَن روي عنه،

1- أُنظر: نسب قريش لمصعب الزبيريّ: 239، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2604، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161.

وزعم أنّه ثقة، علي حدّ زعم هشام بن يوسف!

أضِفْ إلي ذلك، فإنّ الزبيريّ يروي أنّه زعم بعضُ الناس أنّ ابن عبّاسٍ هو الّذي قال هذا، فهو يتردّد في إثبات ذلك لابن الزبير، فلا ندري إن كان الحديث مع ابن الزبير أو مع ابن عبّاس!

هذا، بغضّ النظر عن تردّده في قوله: «من أهل الكوفة»، أو «من أهل العراق».

فلا يمكن الاعتماد عليه والحال هذه.

الغريبة الثانية: ابتداء الإمام (عليه السلام)

إبتدأ الراوي بقوله: (سمعتُ الحسين بن عليّ يقول لعبد الله بن الزبير)، ثمّ نقل كلام ابن الزبير تعقيباً علي ما قاله الإمام (عليه السلام) ، ممّا يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) كان هو المبتدئ بالكلام، فهو لم يروِ لنا إن كان ثمّة حوارٌ سابقٌ أو ملابسات سبقَت كلام الإمام (عليه السلام) ، ولم يرو لنا الظروف المحيطة بمجريات الحدث.

وصياغة الخبر علي هذا النحو يختلف تماماً ويخالف النصوص المذكورة في الباب جميعاً، إذ ليس فيها ما يفيد ابتداء الإمام (عليه السلام) بالحديث مع هذا الجرذ المتنافخ.

الغريبة الثالثة: القسَم بالطلاق والعتاق

ليس في متن الزبيريّ في كتابه المطبوع عبارة: (يحلفون لي بالطلاق والعتاق)، وإنّما جاءت في تاريخ ابن عساكر وابن العديم وابن كثير وغيرهم،

ص: 141

بَيد أنّ هؤلاء جميعاً إنّما يروون عن الزبيريّ.

وهذا القَسَم باطلٌ لا قيمة له، وليس هو قَسَماً يعتدّ به الإمام (عليه السلام) أو يرتضيه، وليس من أدبيّاته.

وإن كان هو حكايةٌ لما أقسموا به، فإنّه يكشف أنّ عدد الأربعين ألفاً المزعوم هنا كلّهم من أتباع العِجل والسامريّ، وليس فيهم شيعةٌ لأمير المؤمنين ولأبي عبد الله الحسين (عليهما السلام) ، بالمعني المصطلح للشيعيّ لا بالمعني اللغويّ.

الغريبة الرابعة: بيعة أربعين ألفاً!

ذكر الخبر عدداً هائلاً لم نسمع به في أخبار مكّة عند غيره، فربّما جاء شاذّاً عند البعض في عدد المبايعين في الكوفة أيّام تشرّفها بوجود المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) ، والوارد في أخبار مكّة وصول الكتب والرسل، وقد صرّح بعضهم بعددها، أمّا النصّ علي هذا العدد فهو غريبٌ عن سائر الأخبار الواردة في المقام.

ولو فرضنا بلوغ عدد المبايعين الّذين كتبوا إلي الإمام (عليه السلام) وهو في مكّة إلي هذا العدد، فإنّ الإمام (عليه السلام) لم يعتمد عليها، ولم يكن عزمه علي التوجّه إلي الكوفة مستنِداً إليها، كيف وقد أرسل أخاه وابن عمّه وثقته ليستجلي له الموقف ويحكي له مدي توافق ما جاءت به الكتب والرسل مع مواقف ذوي الحِجا والرأي منهم.

الغريبة الخامسة: جواب ابن الزبير

سنأتي بعد قليلٍ علي دراسة جواب ابن الزبير ضمن العروض المقبلة إن شاء الله (تعالي)، وإنّما نذكره هنا مفرداً لوقوعه ردّاً وجواباً علي ما استند إليه الإمام (عليه السلام) من بيعة الأربعين ألف الّذين حلفوا له بالطلاق والعتاق، فيكون حينئذٍ كلام ابن الزبير له مغزي ومفادٌ يتعلّق بظرف الكلام.

يبدو من خلال ملاحظة السياق أنّ ابن الزبير سأل الإمام (عليه السلام) مستنكراً حينقال: أتخرج إلي قومٍ قتلوا أباك وأخرجوا أخاك؟ فهو يستنكر علي الإمام (عليه السلام) ويتعجّب من فعله وعزمه علي الخروج إلي قومٍ ثبتت له خيانتهم وغدرهم.

وكأنّ النصّ يريد أن يُشعِر القارئ أنّ هذا الأمر البديهيّ الّذي أدركه ابن الزبير واستنكره علي الإمام (عليه السلام) خفيَ علي الإمام (عليه السلام) وهو العالم بالله، وفي ذلك ما يكفي للنفرة والقرف والتحسّس من تسريبات الزبيريّ!

*****

كيف كان، فإنّنا لا نريد إطالة المكث عند هذا الخبر المهلهل البائس، سيّما بعد أن تبيّن لنا أنّه مخدوشٌ عدّة خدوشٍ جارحةٍ تمنعه من النهوض.

العرض الثامن: عروض ابن الزبير

اشارة

تطالعنا النصوص باقتراحَين أساسيَّين متناقضَين تقدّم بهما ابن الزبير بين يدَي الإمام الحسين (عليه السلام) ، كلٌّ منهما يرسم موقفاً وصورةً تختلف عن الأُخري تماماً.

الاقتراح الأوّل: البقاء في مكّة

اشارة

عرض ابن الزبير علي الإمام الحسين (عليه السلام) أن يُقيم بمكّة، وزعم أنّه مستعدٌّ لمبايعته أو الانتصاب للأمر بنفسه علي أن يبقي في طاعة الإمام (عليه السلام) ، وغيرها من المزاعم الّتي سنأتي علي ذِكرها، إن شاء الله (تعالي).

بَيد أنّ جميع النصوص الّتي ذكرت هذا الاقتراح أشارت في ذيلها إلي أنّابن الزبير لم يكن جادّاً في ذلك، وإنّما تقدّم به ليدفع عن نفسه تهمة، وذكر البلاذريّ إضافةً تفرّد بها لتبرير فعلة ابن الزبير، فقال: إنّما أراد بذلك أن لا يتّهمه وأن يُعذَر في القول ((1)).

فلا ضرورة _ حينئذٍ _ لمناقشة تفاصيل اقتراحه للبقاء في مكّة ما دامه غير جادٍّ في كلامه، وإنّما أطلقه رياءً وسمعةً ومراوغةً ومكراً، غير أنّنا سنتناولها باختصار، من خلال الإيماءات التالية:

الإيماء الأوّل: الاقتراح غير جدّي

يبدو من خلال النصوص وفهوم المؤرّخين، والأهمّ من ذلك تصريح سيّد الشهداء وإمام الخلق أجمعين الإمام الحسين (عليه السلام) ، أنّ ابن الزبير قد اقترح علي الإمام (عليه السلام) البقاء في مكّة، سواءً كان علي مستوي الاستجارة والاحتماء بالحرم، أو من أجل تجميع الأنصار والأعوان والرجال وإعداد متطلّبات القيام، أو لأيّ غرضٍ أو دافعٍ كان، فهي جميعاً ذرائع يتذرّع بها ليُخرج نفسَه من دائرة الاتهام،

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 3 / 375.

ويُبعِد عن نفسه من خلال المراوغة والمكر والكذب والاحتيال ما هو معلومٌ منه بالبداهة، وهو تمنّيه خروج الإمام (عليه السلام) اليوم قبل الغد من مكّة، لتخلو له الساحة.

وهذا الأمر ممّا لا شكّ فيه بعد أن ظهر علي فلتات لسانه، وبان من سلوكهالملتوي، وفضحه موقفُه ولحن القول، حتّي عرفه المؤرّخ والراوي، ولا مراء ولا تردّد بعد أن أبدي كوامنه وأذاع خفيّاته وأظهر ما أضمره أعلمُ الخلق بالخلق بإذن الله (تعالي).

الإيماء الثالث: الصورة الأُولي للاقتراح: اقتراحُ كسائر الاقتراحات

اشارة

روي الدينوريّ صورةً لاقتراح ابن الزبير لا يبعد كثيراً عن سائر الاقتراحات الّتي تقدّم بها بعض الرجال يومها بين يدَي الإمام (عليه السلام) ، من قبيل المولي المكرّم ابن الحنفيّة وابن عبّاس، غير أنّه اقتراحٌ فيه شيءٌ من التحوير والاختلاف مع اقتراحات غيره.

فقد أقبل ابنُ الزبير حتّي دخل علي الإمام (عليه السلام) وقال له:

لو أقمتَ بهذا الحرم، وبثثتَ رسلك في البلدان وكتبت إلي شيعتك بالعراق أن يَقدِموا عليك، فإذا قوي أمرُك نفيت عمّال يزيد عن هذا البلد، وعلَيّ لك المكانفة والمؤازرة، وإن عملتَ بمشورتي طلبت هذا الأمر بهذا الحرم، فإنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار، لم يعدمك بإذن الله إدراك ما تريد، ورجوتُ أن تناله ((1)).

1- الأخبار الطوال للدينوريّ: 243.

وبهـذا رسم للإمام (عليه السـلام) خطّ ةً متكاملـةً بزعمه للاستيلاء علي مكّة وطلب الأمر، وتتلخّص الخطّة في النقاط التالية:1 _ أن يُقيم الإمام (عليه السلام) في الحرم المكّي.

2 _ أن يبثّ رسله في البلدان.

3 _ يكتب إلي شيعته بالعراق ليقدموا عليه.

4 _ بعد أن يقوي أمرُه في مكّة نتيجة اجتماع الناس من البلدان وشيعته من العراق، ينفي عمّالَ يزيد عنها.

5 _ يتعهّد ابن الزبير بالمكانفة والمؤازرة للإمام (عليه السلام) .

6 _ أن يعمل الإمام (عليه السلام) بمشورته، ويطلب هذا الأمر بالحرم، لأنّه مجمع أهل الآفاق ومورد أهل الأقطار.

7 _ حينئذٍ لا يُعدَم إدراك ما يريد بإذن الله، ويرجو ابن الزبير أن ينال الإمام (عليه السلام) الأمر.

تبدو هذه النقاط السبعة كأنّها خطّةٌ متكاملةٌ تقدّم بها ابن الزبير، والظاهر أنّه عمل بها هو نفسه بالفعل.

وهي تتركّز علي اتّخاذ مكّة الحرم الآمِن وكراً يجمّع من خلاله الرجال والسلاح، فيستولي عليها وينطلق منها إلي غيرها من البلدان.

ويمكن التوقّف عند هذه الخطّة البائسة من خلال مناقشاتٍ عجلي:

المناقشة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يحمي حُرمة الحرم

سنسمع بعد قليلٍ في ردود الإمام (عليه السلام) عليه ما يفضح خطّته ويكشف

زيف مـا ذهب إليه، فليس مكّـة البلـد الحرام موضـعاً يُتّخـذ وسـيلةً لطلب الـدنيا الّتي يلهث عليها ابن الزبير، إذ أنّ معني مكثه فيها انتهاك حرمتها وإراقـة الـدماء فيها، فلا ابن الزبير ولا يزيـد يقيمون لمكّـة والحرمات وزناً، ولا يهمّهم سوي تحقيق مآربهم الهابطـة الخسـيسة بأيّ ثمن.

والحال أنّ سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) يرعي حرمة الحرم، ويتجنّب أيّ عملٍ يمكن أن يؤدّي إلي انتهاك الحرمات.

المناقشة الثانية: دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة للاستئمان لا للتحشيد

ثمّة أمرٌ أقفل علي ابن الزبير وأشـباهه، وهو غرض الإمام (عليه السلام) من دخول مكّة، فإنّ ابن الزبير الّذي أعمي حبّ الدنيا بصرَه وبصيرته قد لا يمكنه أن يستشعر موقف الإمام (عليه السلام) ولا يُدرك الخطر المُحدِق به، فالإمام (عليه السلام) إنّما دخل مكّة مستأمناً، ولـم يتحرّك فيها حركاتٍ تحريضـيّةً واضحة، ولم يُجيّش فيها ولم يفعل أيّ فعلٍ فيه دلالاتٌ واضحةٌ علي وجود نيّةٍ عنده تشي بها التصريحات والمواقف والتحرّكـات، بحيث تفيـد أنّه يريـد أن يحـارب الحكم القـائم ويجابهه بالقتال من أجل الاستيلاء علي بلـدٍ من البلـدان أو سائر البلـدان، أو تقويض الحكم القائم وإقامة حكمٍ آخَر مكانه، أو أنّه يريد أن يحشّد الرجال ويجمع السـلاح والأموال وغيرها من المقاصد الّتي يدعوه إليها ابن الزبير ويخطّط لها وينسج علي منوالها.

المناقشة الثالثة: توظيف عنوان الإمام (عليه السلام)

ربّما كان عرض هـذه الخطّة أو عرض البيعـة ـ كما سـيأتي بعد قليل ـ يتوخّي من بعده ركوب الموجة وتوظيف اسم الإمام الحسـين (عليه السلام) ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله)، تماماً كما فعل بعد شهادته حين نادي بشعار الثأر لدمه.

أو أنّه يبايع ويؤازر ويكانف من أجل الحصول علي شـيءٍ في ظلّ حكم الإمام (عليه السـلام)، تماماً كما فعل أبوه وطلحة مع أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن لم يصل إلي ما يصبو إليه انقلب عليه كما انقلب أبوه!

المناقشة الرابعة: الفرق بين اقتراحه واقتراح غيره

يُلاحَظ في اقتراحات غير ابن الزبير الّتي كانت تدعو الإمام (عليه السلام) إلي البقاء في مكّة، أنّها لم تدعُه بصراحةٍ إلي توظيف مكّة لتجميع الرجال والاستيلاء عليها، وإنّما كانت تفيـد أنّ مكّة حرم الله الآمن، ويمكن أن يحمي وجود الإمام (عليه السـلام) من تعدّي الأعداء وقتله، وتمنحه الفرصة للتواصل مع مَن يمكن أن يكونوا له أنصاراً.

فهي باختصـارٍ كـانت تركّز علي حفظ شـخص الإمام (عليه السـلام) وحمايته واتّخاذ مكّـة مأمناً، فيما نري ابن الزبير يتّخـذها جُنّـةً وينوي الاستيلاء عليها وطرد واليها والانطلاق منها، فهو لا يكترث بحياة الإمام (عليه السـلام) ولا بحرمـة مكّـة، ولا يهمّه سوي السـلطان والقدرة والحكم، وإن أدّي ذلك إلي هتك حرمة البيت وسفك الدم الحرام فيه!

المناقشة الخامسة: سذاجة الخطّة

يبدو من بعض بنود الخطّة سذاجةً تحكي عقلاً مرتجّاً صرعَته مطامع الشهوات، فهو يريد أن يجمع شيعة الإمام (عليه السلام) _ حسب زعمه _ من الكوفة في مكّة، وهم عشرات الآلاف، ويكتب إلي البلدان، ويجمع مَن في مكّة ممّن اجتمع فيها من أهل الآفاق، وكأنّ هذه الآلاف المؤلَّفة الّتي ستقدم مكّة بالسلاح والعدّة ستصل خلال أيّامٍ قلائل وتتسرّب إلي مكّة كالنمل علي حين غفلةٍ من السلطة والوُلاة، وأنّ مكّة ستستوعب كلّ هذه الأعداد الهائلة، ويتمّ الأمر بسلاسةٍ وسهولةٍ ويُسرٍ من دون أيّ اعتراضٍ أو تعرّضٍ مِن قِبل عساكر المُلك وولاة السلطان!!

وكأنّ السلطان يعاني من الحاجة والعوز وقلّة العديد والعدّة والعيون والجواسيس.

وكأنّ ابن زيادٍ لم ينظم الصحراء جنداً وحرّاساً وخيلاً ورجالاً، بحيث لم يتركوا داخلاً أو خارجاً إلي الكوفة إلّا فتّشوه، وملأوا الفيافي والقفار ضجيجاً وعجيجاً، وازدحمَت بهم المشاتي والمصايف..

وهكذا يجتمع _ بالبساطة الّتي يصوّرها ابن الزبير _ شيعةُ الإمام (عليه السلام) في العراق، ويجتمع الناس من المشارق والمغارب، وكأن ليس في مكّة مخالفاً لهم، وكأنّها مُغلَقةٌ بأهلها لهم علي السلطان، ثمّ يطردون الوالي من مكّة..

إنّها أقرب إلي السخافة وقصص الخرافة من السذاجة.

وقد تبيّن فيما بعد ما فعلوا بمكّة جراء وجود ابن الزبير فيها!

الإيماء الرابع: الصورة الثانية للاقتراح: إنّك مطلوب

اشارة

لمّا همّ الإمام الحسين (عليه السلام) بالخروج من مكّة، لقيه ابن الزبير فقال:

يا أبا عبد الله، إنّك مطلوب، فلو مكثت بمكّة فكنت كأحد حمام هذا البيت واستجرتَ بحرم الله، لكان ذلك أحسن لك ((1)).

وقد ورد هذا المعني في حديثٍ عن الإمام الصادق (عليه السلام) : «ولو جئتَ إلي مكّة فكنت بالحرم» ((2))، وكذا ورد عن أبي سعيد عقيصا أنّ ابن الزبير دعا الإمام (عليه السلام) إلي أن يكون حمامةً من حمام الحرم والمسجد، وقد خلا به وناجاه دون مَن كان حاضراً، فأقبل الإمام (عليه السلام) بوجهه إليهم وقال: «إنّ هذا يقول لي: كُن حماماً من حمام الحرم» ((3))..

*****

يمكن التدقيق في مضامين النصّ من خلال بعض الالتفاتات:

الالتفاتة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يكشف ما يقوله ابن الزبير سرّاً

سمعنا في أكثر من نصٍّ أنّ ابن الزبير يختلي بالإمام (عليه السلام) ، رغم وجود غيرهما

1- شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145.
2- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.
3- أُنظر: كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145.

في المكان، أو أنّه يكلّمه علي مرأيً منهم ومسـمع، ثمّ يُخفي كلامه ويناجيه، وكأنّه يحاور الإمام (عليه السـلام) في موضوع سـرّيّ لا ينبغي للآخرين أن يسمعوه، بَيد أنّ الإمام (عليه السلام) سرعان ما يلتفت ويخبر الحاضرين بما جري بينهما من كلام.

فربّما كان من مكر ابن الزبير وخـديعته أنّه يحاول أن يسارّ الإمام (عليه السـلام) بين الملأ، ويريـد بـذلك أن يُوحي للناس أنّه علي اتّفاقٍ مع الإمام (عليه السلام) ، ولو في بعض الأُمور، وأنّ ثمّة اتفاقاتٌ وأسرارٌ بينهما.

وربّما تقوّل علي الإمام (عليه السـلام) فيما بعد بحجّة أنّه قد اختلي به وكلّمه سرّاً علي مرأيً من الناس، فيفتري علي الإمام (عليه السلام) ما يشاء من أجل خديعة الناس وتوظيف مقام الإمام (عليه السلام) ومنزلته عندهم.

فلمّا التفت الإمام (عليه السلام) وتكلّم بصوتٍ مرتفعٍ وأسمع مَن حوله ما يقوله ابن الزبير، فضحه وأبطل خطّته.

وربّما أراد الإمام (عليه السلام) أن يُفصِح للحاضرين عن محتوي المحادثة، كي يكشف لهم عن موقفه ونيّته والخطر المحدق به، فهو يدعوه للبقاء في مكّة، ومكّة لم تعُد حرماً آمناً له بعد أن بيّت له العدوُّ الغدر والاغتيال، وثبت ذلكوأخبر عنه الإمام (عليه السلام) نفسه.

الالتفاتة الثانية: الإمام (عليه السلام) مطلوب!

رغم أنّنا عرفنا أنّ دعوة ابن الزبير الإمام (عليه السلام) للمكث في مكّة دعوةٌ كاذبة، وهو يتمنّي خروج الإمام (عليه السلام) منها فوراً، غير أنّ هذا النصّ يفيد بوضوح أنّ ابن الزبير أيضاً يعلم أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوب، لذا يدعوه للمكث في مكّة ليكون

كأحد حمام الحرم الآمن المستجير بحرم الله، ليأمن علي حياته ويُبعد نفسه عن مخالب القرود العادية وجِرائها.

فهنا يظهر ابن الزبير مصيباً في تقدير ظرف الإمام (عليه السلام) والخطر المحدق به، غير أنّه لمّا كان ماكراً خدّاعاً مراوغاً كاذباً خبيثاً، يمكن أن نفهم موقفه من خلال منظار سوء الظنّ به وبسريرته العفنة الموبوءة.

فربّما كان يدعو الإمام (عليه السلام) للمكث في مكّة كي يتسنّي للعدوّ المتربّص الّذي أعدّ العدّة وأتقن الخطّة وأحكم الأمر لتنفيذ اغتيال الإمام (عليه السلام) في مكّة، وهذا ما صرّح به العدوّ وكشف عنه الإمام (عليه السلام) نفسه، وحينئذٍ يحقّق ابن الزبير ما يريد، وتخلو له مكّة كما يحبّ، ويتخلّص من الإمام (عليه السلام) كمنافسٍ _ حسب ما يزعم _ لا يعدله أحدٌ به.

وربّما كان يريد أن يوظّف حقيقةً كانت مخيّمة علي الأجواء، وواقعاً مفروضاً لا يتردّد في قبوله أحد، وهو أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوبٌ للسلطان الّذي سوف يسعي في قتل الإمام (عليه السلام) مهما كان، وأينما كان، وهذا ما يعرفهالإمام (عليه السلام) ويعرفه ابن الزبير وغيره من المراقبين، فجعل هذه الحقيقة الثابتة والواقع النافذ ذريعةً ينفي عن نفسه من خلالها اتّهامه بالرغبة في خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة.

وربّما كان يريد للإمام (عليه السلام) أن يبقي في مكّة ويمكث، ليكون له غطاءً شرعيّاً واجتماعيّاً ضافياً يمكنه توظيفه للوصول إلي مآربه.

كيف كان، فإنّه غير جادٍّ في اقتراحه علي الإمام (عليه السلام) المكث في مكّة، فلا

داعي للمكث معه من أجل تفسير موقفه ودوافعه ونوازعه.

والّذي يهمّنا هنا اعترافه أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوب..

الإمام (عليه السلام) مطلوب.. يتربّص به العدوّ ليقتله..

هذا اعترافٌ في غاية الأهميّة!

أجل، ما اقترحه وزعم أنّه ينجو بالإمام (عليه السلام) من خلال التزامه الحرم لم يكن صائباً؛ لما سنسمعه في ردّ الإمام (عليه السلام) ، إذ أنّ الإمام (عليه السلام) يعرف العدوّ وجرأته وإقدامه الوقح علي انتهاك الحرمات، والإمام (عليه السلام) لا يريد أن تُنتهَك حرمة البيت بدمه المقدّس الزاكي.

الإيماء الخامس: الصورة الثالثة للاقتراح: عرض البيعة

اشارة

بعد أن حاول ابن الزبير حثّ الإمام (عليه السلام) علي التوجّه إلي العراق، ثمّ خشي أن يتّهمه، عرض عليه أن يُقيم بمكّة، فيبايعه ويبايعه الناس إن أراد الأمر ثمّة، وإن فعل الإمام (عليه السلام) ذلك ما خالفه أحد.ثمّ ذكر حجّته في ذلك، وحشر نفسه مع الإمام (عليه السلام) وتكلّم بضمير الجمع، فقال:

فعلي ماذا نعطي هؤلاء الدنيّة ونطمعهم في حقّنا، ونحن أبناء المهاجرين، وهم أبناء المنافقين، والإمام الحسين (عليه السلام) أحقّ من يزيد وأبي يزيد؟ فليدعهم ويدعو أهل الحجاز إلي بيعته، فيجيبوه ويكونوا إليه سراعاً، ويتولّي هذا الأمر، فيؤازروه ويساعدوه وينصحوا له ويجمعوا له الناس، وأنّه يتخوّف علي الإمام (عليه السلام) إن خرج أن لا يرعي فيه إلّاً ولا

ذمّةً ولا قرابة ((1)).

*****

هذا مجمل ما تضمّنته نصوص اقتراح عرض البيعة، ويمكن أن نشير إلي مؤدّي هذا الاقتراح من خلال الإشارات التالية:

الإشارة الأُولي: مكر ابن الزبير

لقد تقدّم ابن الزبير بهذا الاقتراح والإمام (عليه السلام) أثقل الناس عليه، وقد غمّه مكانه بمكّة، لأنّ الناس ما كانوا يعدلونه بالحسين، فلم يكن شيءٌ يُؤتاه أحبَّ إليه من شخوص الحسين عن مكّة ((2))، وكان هذا الكلام مكراً من ابن الزبير، لأنّه لا يحبّ أن يكون بالحجاز أحدٌ يناويه ((3)).

فلابدّ إذن أن يكون اقتراحه موبوءً سقيماً، ربّما كان ظاهره أنيق، بَيد أنّ باطنه بشعٌ شنيعٌ قبيحٌ كريه، ينسجم مع خبث ابن الزبير ومراوغته ودناءته.

1- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 3 / 375، تاريخ الطبريّ: 5 / 383، نفَس المهموم للقمّي: 169، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166، مروج الذهب للمسعوديّ: 3 / 65، نفَس المهموم للقمّي: 167، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزيّ: 137، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258، أسرار الشهادة للدربنديّ: 245.

2- أُنظر: مروج الذهب للمسعوديّ: 3 / 65، نفَس المهموم للقمّي: 167.

3- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217.

الإشارة الثانية: اشتراط البقاء في مكّة

لقـد أكّـد ابن الزبير في أكثر من نصٍّ من النصوص هـذا الاقتراح علي الإمام (عليه السـلام) أن يبقي في مكّة ويطلب الأمر فيها، ويدعو ابن الزبير وأهل الحجاز للبيعة، ولا يخرج منها، وتفيد بعض السياقات أنّه شرطٌ لازمٌ للنجاح وتحقّق البيعة.

الإشارة الثالثة: دوافع البيعة

ذكر ابن الزبير جملـةً من الـدوافع والحجـج الّتي تؤهّل الإمام (عليه السـلام) ـ بزعمه ـ لطلب الأمر من مكّـة والـدعوة إلي البيعـة، بيد أنّه عرضـها بخبثٍ ومكرٍ مفضوحَين، إذ أنّه حشر نفسه مع الإمام (عليه السلام) في تلك الحجّة، فجعل نفسه كالإمام (عليه السلام) في كونه من أبناء المهاجرين، وأنّ أُولئك هم أبناء المنافقين، وأنّ الأمر حقّهم، ولا ينبغي أن يسكتوا عنه فيطمع الآخرون بهذا الحقّ، ولا معني لأن يُعطوا الدنيّـة.. ثم عرّج علي الإمام (عليه السـلام) وقال: إنّ الإمام الحسـين (عليه السـلام) أحقّ من يزيد وأبي يزيد، وبما أنّ عوامل تأهيل الإمام (عليه السلام) مشتركةٌ بينه وبين ابن الزبير، فابن الزبير أحقّ من يزيد وأبي يزيد أيضاً، هكذا في حساب ابن الزبير!

ونسـي هـذا الغبيّ المتهالك علي الـدنيا أنّ الميزان الّـذي قـدّم فيه نفسه ـ كما في هذا المتن بالفحوي وفي غيره بالنصّ ـ مبنيٌّ علي تقديم المهاجرين وأبنائهم علي غيرهم، وهو نفسه ميزان السـقيفة الّذي اغتصـبوا بذريعته الخلافة من أمير المؤمنين (عليه السـلام) ، والردّ عليه هو نفسه الردّ علي أُولئك، وإذا كانت الهجرة والقرابة ملاك، فالإمام الحسين (عليه السلام) أحقّ بها وأَولي، ولا مجال لمثل ابن الزبير أن يدسّ

أنفه فيه.

الإشارة الرابعة: وعود ابن الزبير

قدّم ابن الزبير حزمةً من الوعود، إن قَبِل الإمام (عليه السلام) رأيه ومكث في مكّة وأعلن منها طلبه الأمر، وهي:

1 ـ لا يخالفه أحدٌ في مكّة.

2 ـ يُسرعوا إليه ويجيبوه ويبايعوه.3 ـ يجمع له الناس.

4 ـ يؤازره وينصحه ويساعده.

ونحن لا نريد هنا المكث مع هذا الأحمق، ففي ردّ الإمام (عليه السلام) ـ الّذي سيأتي بعد قليلٍ ـ كفاية، غير أنّنا ننكزه هنا نكزةً خفيفةً من خلال تذكيره بما يجري في مكّة، وهو يعيش فيها ويصبح ويمسي مع الإمام (عليه السلام) ، ويري خذلان الناس وانشغالهم عن سيّد الخلق، ويري هدوء الإمام (عليه السلام) واجتنابه التحريض والدعوة إلي البيعة والمطالبة بالملك..

فربّما أقدم علي ما أقدم عليه ليتّخذ من اسم الإمام (عليه السلام) وعنوانه سُلّماً يصعد به علي أكتاف الناس.

الإشارة الخامسة: خوفه علي الإمام (عليه السلام) إن خرج

ذكر العلّامة الدربنديّ (رحمة الله) أنّ ابن الزبير أعرب عن تخوّفه علي الإمام (عليه السلام) إن خرج أن لا يرعي فيه إلّاً ولا ذمّةً ولا قرابة.

ص: 156

ربّما لا يبعد هذا الكلام كثيراً عمّا ذكرناه في الإيماء الرابع حين حذّر الإمامَ (عليه السلام) من الإقدام علي قومٍ قتلوا أباه وغدروا أخاه، فهو يحذّر هنا من جرأة العدوّ وبطشه، وأنّه لا يرعي في الإمام (عليه السلام) إلّاً ولا ذمّة، إن خرج!

والسياق يشهد أنّ المقصود بالخروج هنا هو الخروج إلي العراق، وبهذا يكون كلامه هنا يشبه كلام المعترضين الآخرين من جهة.

ويمكن أن يُردّ عليه بما سيأتي من كلام الإمام (عليه السلام) ، ويقال له:إن كان العدوّ لا يرعي في الإمام (عليه السلام) إلّاً ولا ذمّةً ولا قرابة، والإمام (عليه السلام) مطلوباً له علي كلّ حال، فإنّه سيقدم علي قتله وسفك دمه المقدّس الزاكي، وينتهك بذلك الحرمات، وهذا ما يأباه الإمام (عليه السلام) ، فالخروج حينئذٍ أصلح وأوفق، وكلام ابن الزبير هراءٌ أجوف، وخطأٌ فاضح، وخطلٌ وخبلٌ وطيشٌ وزلل.

الإيماء السادس: دعوة الإمام (عليه السلام) للبيعة مع ابن الزبير

بعد أن اقترح ابن الزبير علي الإمام (عليه السلام) الإقامة في مكّة علي أن يُبايع له ويجمع له الرجال، فردّ عليه الإمام (عليه السلام) وأخبره أنّه مقتولٌ لا محالة، وهو يريد الخروج من مكّة لئلّا يُقتَل بها، ولو أنّه قُتل خارجها بشبرٍ أحبّ إليه، عاد ابن الزبير ليقترح علي الإمام (عليه السلام) من جديدٍ أن يبقي في مكّة ويولّيه الأمر، غير أنّه يبقي في طاعة الإمام (عليه السلام) !

فقال له ابن الزبير: فأقِمْ إن شئت، وتولّيني أنا الأمر، فتُطاع ولا تُعصي.

فقال: «وما أُريد هذا أيضاً» ((1)).

هـذا العرض ينمّ عن مـدي جرأة هـذا الجرذ الواطي والثعلب المتوحّشالمـاكر، فهو يعرض علي إمام الخلق أن يولّيه الأمر، إذ أنّه يري نفسـه الأفضل والأشرف، حسب زعمه البائس في حديثٍ مع ابن عبّاس وغيره من المواطن.

وهـذا النمط من العروض الخاطئـة الآثمة لا ترقي إلي مسـتوي الهراء والسـخافة والحماقة والخلل والخطل والخرق، وهي دون حدّ الركاكة التافهة والخساسة، فلا يُؤبَه بها، ولا يُلتفَت إليها، ولا تستحقّ النقاش والمكث عندها!

بَيد أنّنا نشـير هنا إلي أمرٍ قد يلوح من ردّ الإمام (عليه السلام) بقوله: «وما أُريد هذا أيضاً»، إذ يردّ الإمام (عليه السلام) علي العرضَين في آنٍ واحد، بالإضافة إلي ردّ العرض الأوّل حين اقترح علي الإمام (عليه السـلام) أن يبايعه هو ويجمع له الرجال، فالإمام (عليه السـلام) يردّ كِلا العرضَين معاً.

فلاـ يقبل منه البيعـة، ولا يقبل أن يولّيه الأمر، ولو كان الإمام (عليه السـلام) يريـد الخروج بالمعني المصـطلح لكان في بيعـة ابن الزبير له مغنم، وفي وعده بجمع الرجال فرصة، وفي بقائه في مكّة واتّخاذها منطلقاً وجهٌ تسوّغه متطلّبات العمل

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 384، نفَس المهموم للقمّي: 169، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166، الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 407.

والإعداد للخروج علي الحاكم.

والحال أنّ الإمام (عليه السـلام) رفض أيّ نوعٍ من أنواع النشاط في مكّة المكرمـة، ولو علي مسـتوي الدعوة إلي البيعة، أو توظيف الآخرين للانتصاب وتسخير الفرصة وجمع الرجال وحشد الطاقات واغتنام الفرص.

ردّ الإمام (عليه السلام)

اشارة

لقد ردّ الإمام (عليه السلام) علي ابن الزبير عدّة ردودٍ وردت في النصوص علي مجمل اقتراحاته، يمكن متابعتها من خلال الأجوبة التالية:

الجواب الأوّل: القتل خارج مكّة أحبّ إليه (عليه السلام)

اشارة

لقد ردّ الإمام (عليه السلام) علي اقتراح ابن الزبير:

إنّ أباه (عليه السلام) قد حدّثه أنّ بها كبشاً يستحلّ حرمتها، وأنّه لا يحبّ أن يكون ذلك الكبش ((1)).

ولئن يُقتَل خارجاً من مكّة بشبرٍ أحبّ إليه مِن أن يُقتَل فيها أو داخلاً فيها بشبر، ولئن يُقتَل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليه من أن يُقتَل خارجاً منها بشبر ((2)).

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 384، نفَس المهموم للقمّي: 169، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

2- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 3 / 375، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145.

وأخبره:

إنّه (عليه السلام) لا يستحلّها ولا تستحلّ به، ولئن يُقتَل بالطفّ أو علي تلٍّ أعفر أحبّ إليه من أن يُقتَل في الحرم ((1)).وأقسم له بالله وقال:

وأيمُ الله، لـو كنتُ في جُحر هامّـةٍ من هـذه الهوامّ لَاستخرجوني حـتّي يقضوا فيّ حـاجتهم، وواللهِ لَيعتـدُنّ علَيّ [خ ل: لَيعتـدوا فيّ] كما اعتدت اليهود في السبت ((2)).

*****

هذا الجواب الأوّل هو الجواب الأساس الوارد في أكثر المتون ردّاً علي ابن الزبير، وهو ردٌّ علي جميع الاقتراحات بكلّ أبعادها ومغازيها.

كما أنّه يُعدّ ردّاً يكشف عن موقف الإمام (عليه السلام) وظروفه والحوادث المحيطة به في مكّة المكرمة.

وسنتبيّن ذلك من خلال التلميحات التالية:

التلميح الأوّل: أهميّة الردّ

لقد جاءت اقتراحات ابن الزبير _ كما رأيناها قبل قليل في الإيماءات السابقة _ علي كلّ صـعيد، فهو قد اقترح علي الإمام (عليه السـلام) أن يبقي في مكّة

1- أُنظر: كامـل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.

2- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 385، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145.

مستأمناً، ويكون من حمام الحرم يأكل من رزق الله ويعبد الله ولا يهيجه هائجٌ ولا يهيج هو أحداً.واقترح عليه أن يدعو الإمام (عليه السلام) أهلَ الحجاز للبيعة، ويدعو شيعته من العراق، ويكتب إلي البلدان، ويطلب الأمر ويستولي علي مكّة، وينطلق منها إلي باقي الأصقاع، فيزيل حكم الطاغوت الأُمويّ ويقطع الشجرة الملعونة، ويقذف القرود المتدلّية علي أعوادها إلي جهنّم والنيران، ويتربّع علي تخت السلطنة ويحكم الناس.

واقترح عليه بكلّ جرأةٍ وجسارةٍ ونذالةٍ وحقارةٍ أن يدعو لولاية ابن الزبير، علي أن يكون ابن الزبير سامعاً له ومطيعاً.

وبعبارةٍ أُخري: إنّ ابن الزبير وفّر من خلال اقتراحاته كلّ ما يمكن أن يفكّر به المتأمّل في حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) ومدّة إقامته في مكّة، بل جميع مراحل حركته من المدينة إلي كربلاء، علي فرض أنّ الإمام (عليه السلام) كان قد نوي الخروج ب-- (المعني المصطلح)، أو القيام بحركةٍ هجوميّةٍ بهدف التغيير في أيّ مجالٍ من مجالات التغيير، أو عزم علي أيّ قصدٍ سوي قصد الدفاع عن نفسه وحماية أهله وشخصه المقدّس، والابتعاد عن مجال الخطر القطعيّ الجزميّ.

فقد عرض علي الإمام (عليه السلام) البيعة، وقدّم له خطّة العمل، وأعلن نصرته له واستعداده لتجميع الرجال، وما إلي ذلك ممّا مرّ معنا قبل قليل.

فجاء جواب الإمام (عليه السلام) واضحاً لائحاً بيّناً جليّاً صريحاً، يفهمه مَن يقرأه من دون تحميل كلام الإمام (عليه السلام) ما لا يحتمل، والتكلّف والتعسّف في التأويل،

والالتفاف علي الصورة الواضحة وَلَيِّ عنق النصّ من أجل حشره فيالسوابق الذهنيّة المفترضة والمفروضة علي حركة الإمام (عليه السلام) بعيداً عن تصريحاته وبياناته.

ربّما كان هذا الجواب من أجلي الأجوبة الّتي يمكن من خلالها أن يفهم المتلقّي حركة الإمام (عليه السلام) ومغزي تنقّلاته من المدينة إلي مكّة إلي كربلاء، ومقاصده وأهدافه من جميع تلك الرحلات الّتي أبكت السماوات والأرضين، ومَن فيهنّ، ومَن بينهنّ..

ويكشف عن مدي مظلوميّة ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وجليل رزئه وعظيم مصيبته وغربته، فهو غريبٌ يوم كان في مكّة، عاني خذلان الناس وانصرافهم عنه والتخلّي عنه، ليكون طعام سيوف الحاقدين والمارقين والمنافقين.

وغريب، إذ يقول ويأبي الناس أن يسمعوا ما يقول، ينصتوا إلي ما يقوله ويزعمه ابن الزبير ويروّج له، ليعرض الإمام (عليه السلام) كما يعرضه قرود الشجرة الملعونة في صورة (الخارجيّ) الّذي يريد المُلك والسلطان، وغيرها من الأهداف والمقاصد المفترضة له، سواءً أرضيَ وأصحر عنها الإمام (عليه السلام) ، أو صرّح بغيرها أو بضدّها!

فلو أصغينا بقلبٍ منفتحٍ لحظةً لما يقوله الإمام (عليه السلام) في مقام الردّ علي اقتراحات ابن الزبير، وهو يعلم أنّه منافقٌ مراوغٌ دجّالٌ مكّار، غير أنّه أعذر له ولنا ولجميع من بلغه كلام الإمام (عليه السلام) ، ليقول كما سنسمع بعد قليل:

إنّه لا يريد شيئاً ممّا يدعوه إليه ابن الزبير، وإنّما هو محاصرٌ مطلوبٌ للقتل،

قـد هجم عليه القوم وعلي عياله وأهله ورهطه، وهو يريـد الـدفاع عن نفسه، إنّه لا يريـد سوي الـدفاع عن نفسه مقابل هجوم العدوّ علي بيت النبيّ (صـلي الله عليه و آله) وعزمه علي إبادة آل الله واستئصال شأفتهم واجتثاث كلّ ما يتعلّق بالشـجرة المباركـة الثابتـة الأصل المنتشـرة الفروع في السماء.

ولو كان الإمام (عليه السلام) يريد شيئاً ممّا يدعوه إليه ابن الزبير، أو أنّه يبيّت أمراً يريد أن يجمع له الرجال، لكان في بيعة ابن الزبير مغنم!

التلميح الثاني: البقاء في مكّة يعني القتل قطعاً

تأكيد الإمام (عليه السـلام) علي ما حدّثه به أبوه (عليه السلام) ، وعزمه الأكيد، وتعبيره بشتّي العبارات وفنون البيان علي أنّه إن يُقتَل خارجاً من مكّـة بشبرٍ أحبّ إليه من أن يُقتل فيها أو يُقتل داخلاً فيها بشبرٍ أو باع، بل أن يُقتَل خارجاً منها بشبرين أحبّ إليه من أن يُقتل خارجاً منها بشبر، وهكذا..

فإنّ هذا كلّه يؤكّد أنّ الإمام (عليه السلام) يُخبر عن ظروف إقامته في مكّة المكرمة، وأنّه إن بقي فيها فإنّه مقتولٌ لا محالة، وهذا الإخبار ليس إخبـاراً غيبيّـاً محضـاً، وإنّما هو قراءةٌ للأحـداث والحوادث وسـلوكيّات العـدوّ وفعاليّاته، فهو بالتالي إخبارٌ عن عزم العـدوّ ـ الّـذي لا يقبل المراجعة والرجوع ـ علي قتل الإمام (عليه السلام) ، وسعيه الحثيث و إعداده العدّة الكافية والخطط اللازمة لتنفيذ ذلك.

وهو ـ عاقبةً ـ بيانٌ لسبب خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة المكرمة، والدافع الأصليّ والأساس والأوّل لهجرته منها ورحيله عنها.

وبكلمة:

إنّ الإمـام (عليه السـلام) يُعلِن من خلالـل مـا عبّر عنه بـأنّ القتـل خـارج مكّـة ولو بشبر أحبّ إليه من القتل فيها، أنّه ملاحَقٌ مطلوب الـدم محاصَر، لا يتردّد العدوّ طرفة عينٍ في الإقدام علي جريمته أينما كان، ولو في البيت الحرام!

فهو مهدَّدٌ قد أحدق به الخطر من كلّ جانبٍ ومكان، ولابدّ له أن يخرج عنها؛ ليحفظ حرمة الحرم، ولئلّا يقع القتل فيه..

فهو في موقف الـدفاع عن نفسه وأهله، والـدافع الأصـليّ الّـذي يدعوه لمغادرة حرم الله الآمن هو حماية الحرم وحماية دمه المقدّس من أن يُراق في الحرم.

التلميح الثالث: حماية حرمة الحرم

إنّ لله حرمـاتٍ ومشـاعر أمر بتعظيمهـا وحفظهـا وحمايتها، والإمام (عليه السـلام) هو الحامي والحافظ لحـدود الله وحرماته، وفعله وقوله وتقريره سـنّة يسـتنّ بها الخلق، فإذا بقي في الحرم حتّي يُقتَل، وهو يقدر علي الخروج منه ولو بشبر، صار فعله حكماً يأخذه المتشـرّعة، هذا من جهة.

ومن جهـةٍ ثانية، فإنّ الإمام (عليه السـلام) هو الكمال المطلق في عالم المخلوقات، خلقه الله كاملاً لا يعتريه النقص بتاتاً، فهو العالـم بالله الّذي يعرف حدود الله، ويعلم ما يعني الحرم وحرمة الحرم.

أمّا الأوباش والأوغاد والسـفلة والنفعيّين أمثال ابن الزبير ويزيـد وأشـباههممن الطواغيت والمجرمين، فإنّهم لا يرعون لله حرمة، ولا يأبهون إلّا بما تمليه عليهم حقارتهم ودناءتهم وشهواتهم ولذّاتهم الهابطة، ولا يرون حريماً أبعد من

الوحل المنتن والقاع المظلم المعتم الّذي يتقلّبون فيه.

لقد قال الإمام (عليه السلام) قولاً وفعل فعلاً يعجز عن القيام به إلّا سيّد الشهداء (عليه السلام) وخامس أصحاب الكساء ومَن استثناهم الله معه من المعصومين (عليهم السلام) ، فخرج من مكّة، وهي بلده ومنبت شجرته، والبلد الآمن الّذي يأمن فيه كلّ شيء، لئلّا تهتك حرمة البيت!

وأطلقها صريحةً واضحةً بجزمٍ وحزمٍ وثباتٍ وقوّة: «لا نستحلّها ولا تستحلّ بنا»، فهو لا يستحلّها، ولا يفتح المجال لغيره أن يستحلّها به.

ما أعظم حرمات الله، وما أعظم مَن تتشرّف به الحرمات، وهو حريمها وحاميها!

وما أحقر وأحطّ وأخسّ وأدني وأذلّ وأردأ وأقبح وأبشع أعداءه، من أمثال ابن الزبير ويزيد، الّذين استباحوا أعظم الحرمات، وكلّ الحرمات..

التلميح الرابع: التعريض بابن الزبير

لقد حدّث الإمام عن أبيه (عليهما السلام) ، وهما أصدق الخلق: أنّ بمكة كبشاًيستحلّ حرمتها، وقال: إنّه لا يحبّ أن يكون ذلك الكبش ((1))، فأشار لابن الزبير بإشارةٍ لائحةٍ معرِّضاً به ((2))، ومحذّراً له من التورّط في استباحة الحرم، بَيد

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 384، نفَس المهموم للقمّي: 169، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 166، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

2- أُنظر: المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 27 _ بتحقيق السيّد علي أشرف، مدينة المعاجز للبحرانيّ: 245، بحار الأنوار: 44 / 185، العوالم للبحرانيّ: 17 / 54.

أنّه لا يُبصِر، وقد أعماه هواه الّذي اتّخذه إلهاً من دون الله.

التلميح الخامس: ذكر البديل عن القتل في الحرم

ذكر الإمام (عليه السلام) بدائل بإزاء قتله في الحرم، وأنّها أحبّ إليه، فقال: لئن يُقتل بالطفّ، أو علي تلٍّ أعفر، أحبّ إليه مِن أن يُقتل بالحرم، ولئن يُدفن بشاطئ الفرات، أحبّ إليه من أن يُدفن بفناء الكعبة ((1)).

والظاهر أنّ المواضع الثلاث المذكورة كلّها تشير إلي موضعٍ واحدٍ بعينه، فشاطئ الفرات هو نفسه الطفّ، وهما اللذان عبّر عنهما ب-- (تلٍّ أعفر).

والأعفر: الرمل الأحمر، والعفر من الظباء الّتي تعلو بياضها حمرة ((2)).

فيكون التلّ الّذي أشار إليه الإمام (عليه السلام) موصوفاً ب-- (أعفر)، أي: أنّ رملهأحمر، أو تعلوه الحمرة، وهي صفة تربة كربلاء إلي يوم الناس هذا.

فهي _ إذن _ إشارةٌ إلي كربلاء العراق.. الأرض الموعودة الّتي امتزجَت بها الدماء الزاكيات، وهو نفس ترجيحه وحبّه أن يُدفن بشاطئ الفرات علي أن يُدفن بفناء الكعبة.

فكأنّ الإمام (عليه السلام) يقول لابن الزبير: أن أُقتَل بالعراق أحبّ إليّ مِن أن أُقتل في مكّة، وأن أُدفن بكربلاء أحبّ إليّ من أن أُدفن بفناء الكعبة.

1- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.

2- أُنظر: لسان العرب: عَفَر.

وفي ذلك تعريضٌ بابن الزبير من جهة، وبيانٌ واضحٌ وتصريحٌ يُعلِن فيه الإمام (عليه السلام) أنّ بقاءه في مكّة يعني قتله الحتميّ فيها.

بمعني: أنّ القتل يلاحقه، وأنّه سيُقتَل لا محالة، والعدوّ لا يتراجع عن ذلك، تماماً كما فعل مع جدّه رسول الله (صلي الله عليه و آله) وأبيه أمير المؤمنين وأُمّه الصدّيقة الطاهرة وأخيه الحسن وأبنائه الأئمّة الهداة (عليهم السلام) ، بَيد أنّه إن بقي في مكّة فسوف تُهتَك به حرمتها، فأحبّ أن يخرج إلي العراق _ حيث الأرض الموعودة _ ثمّ فلْيكن القتل، فإنّه لا يخاف الموت.

وإن شئت فقل:

إنّ القوم قد اختاروا قتل الإمام (عليه السلام) ، وعزموا عليه عزماً أكيداً لا يقبل التردّد، واختار الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) المكان _ بغضّ النظر عن العامل الغيبيّ _ وفق ما أسفرت عنه مجريات الأحداث ومسيرة الحوادث، بعد أن خذله أهل الأمصار جميعاً بما فيها مكّة والمدينة، وبعد أن أعلنت له ثُلّةٌ منالديّانين القليل استعداد النصرة والذبّ عنه والدفاع عن آل الله، كما وعده سرابٌ متموّجٌ مهزومٌ مهزوزٌ كاذبٌ غدّارٌ تمثّل بمن كاتبه ووعده النصرة والدفاع، ثمّ نكص وانقلب علي عقبيه، واختار أولاد البغايا علي أبناء الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) .

التلميح السادس: لو كنتُ في جُحر هامّةٍ لَاستخرجوني!

اشارة

لقد قال الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) لابن الزبير كلاماً قاله لغيره أيضاً، فقد سمعنا في هذا المقطع من النصّ خطاب الإمام (عليه السلام) ، وهو يقسم بالله ويقول:

«وأيمُ الله، لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لَاستخرجوني، حتّي يقضوا فيّ حاجتهم» ((1)).

وكان قد قاله لأخيه محمّد ابن الحنفيّة أيضاً..

وقد رُوي بأسانيد: إنّه لمّا منعه (عليه السلام) محمّد ابن الحنفية عن الخروج إلي الكوفة، قال: «واللهِ ـ يا أخي ـ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوني منه، حتّي يقتلوني» ((2)).كما قاله لابن عمّه عبد الله بن جعفر في كتابٍ له:

«فواللهِ ـ يا ابن عمّ! ـ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوني حتّي يقتلوني، وواللهِ لَيعتدُنّ علَيّ كما اعتدَت اليهود في يوم السبت، والسلام» ((3)).

ورُوي عنه أنّه قال (عليه السلام) :

«واللهِ لا يدَعوني حتّي يستخرجوا هذه العلقة من جوفي» ((4)).

ص: 168

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 385، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145، الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 407، المناقب لابن شهرآشوب: 4 / 94.

2- بحار الأنوار: 45 / 98، المنتخب للطريحيّ: 2 / 735، أسرار الشهادة للدربنديّ: 243، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 234، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 251.

3- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، الفتوح لابن أعثم: 5 / 115.

4- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من كتاب الطبقات لابن سعد: 50 الرقم 280، تاريخ الطبريّ: 5 / 393، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 216، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 169، الإرشاد للمفيد: 2 / 77، إعلام الوري للطبرسيّ: 231، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 375، العوالم للبحرانيّ: 17 / 225، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 247، أسرار الشهادة للدربنديّ: 251، وسائل المظفّري لليزديّ: 441، نفَس المهموم للقمّي: 185، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 188، وسيلة الدارين للزنجانيّ: 62، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 269، أعيان الشيعة للأمين: 1 / 595، لواعج الأشجان للأمين: 87، مثير الأحزان للجواهري: 40.

وقال لابن عبّاس:

«هيهات هيهات يا ابن عبّاس! إنّ القوم لم يتركوني، وإنّهم يطلبونني أين كنت، حتّي أُبايعهم كرهاً، ويقتلوني، واللهِ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لاستخرجوني منه وقتلوني، واللهِ إنّهم ليعتدونعلَيّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت» ((1)).

وقد ورد خلال فترة حركته من مكّة حتّي اختاره الله وقبضه إليه باختياره الكثير من البيانات بنفس المعني، وإن اختلفت المواقف والعبارات، غير أنّها جميعاً تؤدّي نفس المؤدّي، وسنأتي عليها في محلّها، إن شاء الله (تعالي).

لذا اقتضي المكث عندها _ ولو علي عجلٍ _ لإلقاء عدّة نظراتٍ سريعةٍ عليها:

ص: 169

1- أسرار الشهادة للدربنديّ: 246، مدينة المعاجز للبحرانيّ: 243، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 247، وسائل المظفّري لليزديّ: 436، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 157.

النظرة الأولي: وضوح الكلمة

إنّها كلمةٌ _ وهو لا ـ ينطق عن الهوي، وكلّ كلمةٍ منه شرعٌ ودِين _ قالها سيّد الشهداء (عليه السلام) في أكثر من موقف، ومع أكثر من شخص، وقد ورد مضمونها ومعناها ومؤدّاها في مواطن كثيرةٍ خلال رحلة الشهادة، فهي ليست كلمةً قد صدرت في ظرفٍ خاصٍّ وأجواء خاصّةٍ وموقف خاصٍّ يمكن أن تُأوّل ويُلوي عنقها، وتُحمّل علي محامل صعبة، ويُفرض عليها فهمٌ خاصٌّ ينبثق من السوابق الذهنيّة للمتلقّي.

إنّها كلمةٌ تُعَدّ مفتاحاً كبيراً وباباً يلج منه المتابع لحركته _ فداه العالمين _،ويفهم من خلالها موقفه والمشهد الّذي تحرّك فيه..

هي كلمةٌ واضحةٌ جليّةٌ بيّنةٌ سافرةٌ باديةٌ ساطعةٌ صارخةٌ لامعةٌ مُشرقةٌ مضيئةٌ صريحةٌ نيّرة، لا خفاء فيها ولا غموض ولا إبهام ولا استتار ولا إضمار ولا غمغمة ولا عتمة..

كلامٌ صدر من مالك اللغة والمتصرّف بها وسيّد البلاغة وأمير الفصاحة، بألفاظٍ سهلةٍ جزلةٍ سلسةٍ ميسّرةٍ مأنوسةٍ مألوفةٍ غير عسيرةٍ ولا صعبةٍ ولا معقّدةٍ ولا مستغلقةٍ ولا مستعصية، وإنّما قريبة المنال قريبة من الفهم لمن يعرف مفردات اللغة وتركيباتها، ولو بأدني مستوي!

ومهما قلنا وكتبنا عن هذه الكلمة وأهميّتها، فإنّنا نجزم أنّنا لا نبلغ، ولا يبلغ أحدٌ من العالمين إلّا مَن استثناهم الله.

سيّما أنّها وردت في المصادر التاريخيّة عند المتقدّمين والمتأخّرين،

ص: 170

وشهدت لها كلمات الإمام (عليه السلام) الأخري ومواقفه وسيَر الحوادث ومجريات الأحداث.

النظرة الثانية: القسَم

إنّ الإمـام (عليه السـلام) أصـدق الخلق، وإذا قـال فهو لا يقول إلّا الحقّ، ولا ينطق عن الهوي، فإذا أقسم فهو يُقسِم كما يُقسِم الله في كتابه الكريم، فليس قسـمه لبيان صدقه كما قد يضطرّ الإنسان العادي إلي ذلك، وإنّما هو يقسم للتأكيد ولإقناع النفوس الّتي قد لا ترضخ لكلامه ولا تسكن إلي بيانه لما فيها مِن غشٍّ ودغلٍ وخبّ، أو لبيان التحقّق للقلوب الواعية الّتي تسلّم بمقاله..

والقسم هنا بلفظ الجلالة، وليس ثمّة قسمٌ أعظم منه!

فلا مجال للشكّ والتردّد والوسوسـة والتكهّن والالتباس والتوهّم والريبـة والمراء في ما يريـد أن يقول، ولا مجال للتأويل والتخمين والتكلّف فيما صرّح به.

فالكلام واضح، قد ورد في المصادر القديمة كما ورد في مصادر المتأخّرين من الفريقين، والمتكلّم معصوم، وقد أقسم علي ما يقول.

ولولا أهميّـة المقسَم عليه لما أقسم الإمام (عليه السـلام) ، وهو لا يصدر منه الفضول، حاشاه! فلمّا أقسم (عليه السـلام) علمنا أنّ الموضوع في غاية الأهميّة، وعرفنا ضرورة التأمّل فيه والأخذ به، وإمعان النظر في مؤدّاه، والسعي لإدراك مغزاه.

النظرة الثالثة: لو كنتُ في جُحر هامّة!

هوامّ الأرض هي حشراتها وما يدبّ عليها دبيباً، وهي تتّخذ حُفَراً في

الأرض ربّما كانت ضيّقةً وعميقة، ولها مسارب تحت الأرض، وهي مظلمةٌ ومستترة، وليس لها إلي وجه الأرض سوي ما يسمح لها بالمرور.

وهي تملأ الأرض شرقاً وغرباً، ولا تكاد بقعةٌ من بقاع الأرض ولا صقعٌ من الأصقاع ولا بلدٌ من البلدان تخلو منها، بل ربّما لا يخلو منها دارٌ ولا بيتٌ ولا غرفة، وهي تملأ الصحاري والفيافي والجبال والسهول والوديان والأنهار والبحار والمحيطات، وتنتشر علي وجه البسيطة، وعلي ما فوقها من أشجارونباتات، وغيرها من المواضع الّتي يمكن أن تكون في الأرض..

والبحث عن شيءٍ في جحور الهوامّ يعني المستحيل، فضلاً عن العثور عليه.. الاحتمالات لا تُحصي، والمواضع لا تُدرَك، والظروف المحيطة لا تسمح..

هذه هي الصورة الّتي رسمها سلطان المظلومين (عليه السلام) لعدّوه الّذي يطارده ويطلبه!

إنّه سيفعل المستحيل..

إنّه سيُقدِم علي ما يطلب من الدم الزاكي والرأس المقدّس مهما كان الثمن.. سوف لا ولن يتهاون ويتراجع ويسكن ويهدأ ما لم يحقّق ما يريد..

إنّه سيبحث عنه في غياهب الأرض وظلمات البحار وفي أطباق الثري، ويركب الأهوال والأمواج، ويغوص في دياجير المحيطات، ليصطاد الصيد السماويّ المقدّس الدامي..

فإلي أين سيذهب سيّد الشهداء (عليه السلام) وقد خذله سكّان الأرض إلّا الديّان

القليل الموجود في العراق فقط؟!

يا غريب الغرباء، يا ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وقرّة عين الوصيّ (عليه السلام) وثمرة فؤاد الزهراء (عليها السلام) وصنو السبط الأكبر (عليه السلام) ، يا أبا الشهداء.. أتضيق الدنيا علي ابن محمّدٍ حتّي لا سماء تُظِلّه ولا أرض تُقِلّه؟!!

ليست اليمن، ولا شعف الجبال، ولا التنقّل من بلدٍ إلي بلدٍ والترحال، ولاالتوغّل في أكناف الصحاري وأعماق القفار الّتي اقترحها عليه مَن اقترح، بل ضرب الإمام (عليه السلام) جُحر هوامّ الأرض مثلاً.. لا شيء منها تحميه ولا تأويه ولا تدفع عنه عادية القرود المسعورة والعسلان المترصّدة به، لتملأ منه أكراشاً جوفاً وأجربة سُغباً..

فإنّه إن كان في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ.. هكذا بالتنكير: «جُحر، هامّة».. لتشمل أيّ جُحرٍ وأيّ هامّةٍ من هذه الهوامّ جميعها دون استثناء، علي كثرة عددها الّذي لا يُحصيه إلّا الله في الإمام المبين.. فإنّهم سيلاحقونه ويستخرجونه!

يستخرجونه.. لا أنّه يخرج عليهم!!!

النظرة الرابعة: حتّي يقضوا فيّ حاجتهم!

حتّي يقضوا فيّ حاجتهم..

أخبر الإمام (عليه السلام) أنّ لهم حاجةً فيه.. إنّها حاجة.. مطلب.. ضرورةٌ تعوزهم.. لا يستغنون عنها ولا يكلّون ولا يملّون في طلبها، ولا يرضون بالبديل عنها!

حاجتهم المتجذّرة في أعماقهم.. تماماً كالحاجة إلي الأكل حينما يسغب الحيوان المفترس..

حاجتهم فيّ!

وقد فسّـرت باقي النصوص هذه الحاجة.. لَاستخرجوني منه حتّي يقتلوني، فقتله هي حاجتهم وضرورتهم الملحّة الّتي لا يمكنهم أن يتخلّوا عنها، ولا أن يتوانوا في ملاحقتها..غير أنّ هـذا القتل ليس هو وحده الحاجة، وإنّما الانتقام والتشـفّي، وإطفاء نيران الحقد والعداوة والبغضاء والشحناء والحسد، كما يشهد له نصّ ابن سعدٍ ومَن تلاه..

«واللهِ لا يدَعوني حتّي يستخرجوا هذه العلقة من جوفي» ((1))..

ص: 174

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من كتاب الطبقات لابن سعد: 50 الرقم 280، تاريخ الطبريّ: 5 / 393، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 216، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 169، الإرشاد للمفيد: 2 / 77، إعلام الوري للطبرسيّ: 231، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، بحـار الأنوار للمجلسـيّ: 44 / 375، العـوالم للبحرانيّ: 17 / 225، الدمعـة الساكبـة للبهبهانيّ: 4 / 247، أسـرار الشهادة للدربنديّ: 251، وسائـل المظفّري لليزديّ: 441، نفَس المهمـوم للقمّي: 185، مقتل الحسـين (عليه السلام) لبحر العلوم: 188، وسيلة الـدارين للزنجانيّ: 62، معالي السـبطين للمازنـدراني: 1 / 269، أعيان الشـيعة للأمين: 1 / 595، لواعج الأشـجان للأمين: 87، مثير الأحزان للجواهري: 40.

فهم لا يكتفون باستخراجه لقتله فحسب، وإنّما يُمعِنون في التشفّي وإظهار العداوة والأحقاد والضغائن باستخراج العلقة المقدّسة مسكن إرادة الله مِن جوفه!

مطلوبٌ قلبه _ قلب العالم ومركز العلم الإلهيّ والأسماء الحسني، ومعدن التوحيد والدين والتشريع ونبع الحياة _، تماماً كما طلبت هند كبد عمّهالحمزة (عليه السلام) وقلبه!

التلميح السابع: تمثيل الاعتداء عليه باعتداء بني إسرائيل

اشارة

بعد أن أقسم الإمام (عليه السلام) علي ما ذكره من ملاحقتهم له، وأنّهم يطلبونه علي كلّ حالٍ وفي كلّ مجالٍ حتّي يقضوا فيه حاجتهم ويقتلونه، ويستخرجوا العلقة المقدّسة من جوفه، ضرب لهم مثلاً باعتداء بني إسرائيل واليهود في اعتدائهم في السبت أو علي السبت، وأنّهم سيعتدون عليه تماماً مثل اعتداء أُولئك..

«وأيمُ الله، لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هذه الهوامّ لَاستخرجوني، حتّي يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله لَيعتدُنّ علَيّ [خ ل: لَيعتدوا فيّ] كما اعتدَت اليهودُ في السبت» ((1)).

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 385، شرح الأخبار للقاضي النعمان: 3 / 143 و145، الكامل لابن الأثير: 3 / 275، نهاية الإرب للنويري: 20 / 407، المناقب لابن شهرآشوب: 4 / 94.

وسوف نحاول استجلاء ما في هذا التمثيل والتشبيه من دلالاتٍ ومعانٍ من خلال الجلوات التالية:

الجلوة الأُولي: حديث الإمام السجّاد (عليه السلام)

ورد في تفسير الإمام العسكريّ (عليه السلام) :

«وقال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) :كان هؤلاء قوماً يسكنون علي شاطئ بحر، نهاهم الله وأنبياؤه عن اصطياد السمك في يوم السبت.

فتوصّلوا إلي حيلةٍ ليُحلّوا بها لأنفسهم ما حرّم الله، فخدّوا أخاديد، وعملوا طرقاً تؤدّي إلي حياض، يتهيّأ للحيتان الدخول فيها من تلك الطرق، ولا يتهيّأ لها الخروج إذا همّت بالرجوع منها إلي اللُّجج.

فجاءت الحيتان يوم السبت جاريةً علي أمان الله لها، فدخلَت الأخاديد، وحصلت في الحياض والغدران.

فلمّا كانت عشيّة اليوم همّت بالرجوع منها إلي اللجج لتأمن صائدها، فرامت الرجوع فلم تقدِر، وأُبقيَت ليلتها في مكانٍ يتهيّأ أخذها يوم الأحد بلا اصطياد، لاسترسالها فيه وعجزها عن الامتناع لمنع المكان لها.

فكانوا يأخذونها يوم الأحد، ويقولون: ما اصطدنا يوم السبت، إنّما اصطدنا في الأحد. وكذب أعداء الله، بل كانوا آخذين لها بأخاديدهم الّتي عملوها يوم السبت، حتّي كثر من ذلك مالهم وثراؤهم، وتنعّموا بالنساء وغيرهنّ لاتّساع أيديهم به.

وكانوا في المدينة نيفاً وثمانين ألفاً، فعل هذا منهم سبعون ألفاً، وأنكر

عليهم الباقون، كما قصّ الله (تعالي): (واَسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِيكَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) _ الآية ((1)).

وذلـك أنّ طائفـةً منهم وعظوهم وزجروهم، ومن عـذاب الله خوّفوهم، ومن انتقـامه وشديـد بـأسه حـذّروهم، فأجابوهم عن وعظهم: (لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ) بـذنوبهم هلاك الاصـطلام، (أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً)، فأجابوا القائلين لهم هذا: (مَعْذِرَةً إِلَي رَبِّكُمْ)، هذا القول منّا لهم، (مَعْذِرَةً إِلَي رَبِّكُمْ) إذ كُلّفنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن ننهي عن المنكر ليعلم ربُّنا مخالفتنا لهم وكراهتنا لفعلهم، قالوا: (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ((2))، ونعظهم أيضاً لعلّهم تنجع فيهم المواعظ، فيتّقوا هذه الموبقة، ويحذروا عقوبتها.

قـال الله (عزوجـل) : (فَلَمَّا عَتَوْا)، حادوا وأعرضوا وتكبّروا عن قبولهم الزجر، (عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) ((3))، مُبعَدين عن الخير مُقصَين.

قال: فلمّا نظر العشرة الآلاف والنيف أنّ السبعين ألفاً لا يقبلون مواعظهم، ولا يحفلون بتخويفهم إيّاهم وتحذيرهم لهم، اعتزلوهم إلي

1- سورة الأعراف: 163.
2- سورة الأعراف: 164.
3- سورة الأعراف: 166.

قريةٍ أُخري قريبةٍ من قريتهم، وقالوا: نكره أن ينزل بهم عذاب الله ونحن في خلالهم.

فأمسوا ليلة، فمسخهم الله (تعالي) كلّهم قردةً خاسئين، وبقي باب المدينة مغلَقاً لا يخرج منه أحدٌ ولا يدخله أحد.

وتسامع بذلك أهل القري، فقصدوهم وتسنّموا حيطان البلد، فاطّلعوا عليهم، فإذا هم كلّهم رجالهم ونساؤهم قردةٌ يموج بعضهم في بعض، يعرف هؤلاء الناظرون معارفهم وقراباتهم وخلطاءهم، يقول المطّلع لبعضهم: أنت فلان! أنتِ فلانة! فتدمع عينه، ويومئ برأسه بلا أو نعم.

فما زالوا كذلك ثلاثة أيّام، ثم بعث الله (عزوجل) عليهم مطراً وريحاً فجرفهم إلي البحر، وما بقي مسخٌ بعد ثلاثة أيّام، وإنّما الّذين ترون من هذه المصوّرات بصورها فإنّما هي أشباهها، لا هي بأعيانها، ولا مِن نسلها.

ثمّ قال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) :

إنّ الله (تعالي) مسخ هؤلاء لاصطياد السمك، فكيف تري عند الله (عزوجل) يكون حال مَن قتل أولاد رسول الله (صلي الله عليه و آله) وهتك حريمه! إنّ الله (تعالي) وإنْ لم يمسخهم في الدنيا، فإنّ المعدّ لهم من عذاب الله في الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ.

فقيل له: يا ابن رسول الله، فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث، فقال لنا بعض النصّاب: فإن كان قتل الحسين (عليه السلام) باطلاً فهو أعظم مِن صيدالسمك في السبت، أفما كان يغضب الله علي قاتليه كما غضب علي

صيّادي السمك؟!

قال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) : قل لهؤلاء النصّاب:

فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي مَن كفر بإغوائه، فأهلك الله (تعالي) مَن شاء منهم كقوم نوحٍ وفرعون، ولم يُهلِك إبليس وهو أَولي بالهلاك، فما باله أهلك هؤلاء الّذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المخزيات، ألا كان ربّنا (عزوجل) حكيماً بتدبيره وحكمه فيمن أهلك وفيمن استبقي؟

فكذلك هؤلاء الصائدون للسمك في السبت، وهؤلاء القاتلون للحسين (عليه السلام) ، يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أَولي بالصواب والحكمة، (لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ) ((1)).

ثمّ قال عليّ بن الحسين (عليهما السلام) :

أما إنّ هؤلاء الّذين اعتدوا في السبت لو كانوا حين همّوا بقبيح أفعالهم سألوا ربّهم بجاه محمّدٍ وآله الطيّبين أن يعصمهم من ذلك لَعصمهم، وكذلك الناهون لهم لو سألوا الله (عزوجل) أن يعصمهم بجاه محمّدٍ وآله الطيبين لَعصمهم، ولكنّ الله (تعالي) لم يُلهمهم ذلكولم يوفّقهم له، فجرت معلومات الله (تعالي) فيهم علي ما كان سطره في اللوح المحفوظ.

وقال الباقر (عليه السلام) : فلمّا حدّث عليّ بن الحسين (عليهما السلام) بهذا الحديث، قال

1- سورة الأنبياء: 23.

له بعض مَن في مجلسه: يا ابن رسول الله، كيف يُعاقب الله ويوبّخ هؤلاء الأخلاف علي قبائح أتي بها أسلافهم، وهو يقول (عزوجل) : (وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَي) ((1))؟!

فقال زين العابدين (عليه السلام) :

إنّ القرآن نزل بلغة العرب، فهو يُخاطِب فيه أهل هذا اللسان بلغتهم، يقول الرجل التميميّ قد أغار قومه علي بلدٍ وقتلوا مَن فيه: أغرتُم علي بلد كذا وكذا، وقتلتم كذا، ويقول العربيّ أيضاً: نحن فعلنا ببني فلان، ونحن سبينا آل فلان، ونحن خربنا بلد كذا، لا يريد أنّهم باشروا ذلك، ولكن يريد هؤلاء بالعذل، وأُولئك بالافتخار أنّ قومهم فعلوا كذا.

وقول الله (تعالي) في هذه الآيات إنّما هو توبيخٌ لأسلافهم، وتوبيخ العذل علي هؤلاء الموجودين، لأنّ ذلك هو اللغة الّتي بها أنزل القرآن، فلأنّ هؤلاء الأخلاف أيضاً راضون بما فعل أسلافهم، مصوّبون ذلك لهم، فجاز أن يُقال لهم: أنتم فعلتم، أي: إذ رضيتم بقبيح فعلهم» ((2)).

الجلوة الثانية: المطلوب من اليهود

نهي الله اليهود عن صيد الحيتان يوم السبت، فالمطلوب منهم هو اجتناب صيد السمك في هذا اليوم بالذات، فاحتالوا علي الأمر الإلهيّ، فحبسوا الأسماك

1- سورة الأنعام: 164.
2- تفسير الإمام العسكريّ (عليه السلام) : 266.

يوم السبت واصطادوها يوم الأحد، حتّي كثر من ذلك مالهم وثراؤهم وتنعّموا بالنساء وغيرهنّ.

فهم حلّلوا ما حرّم الله، وانتهكوا الحرمات من أجل هذه الشهوات، وأخرجوا السمك من الماء العذب الزلال، ليقعوا هم في مستنقعات الرذيلة والضلال، وينقلبوا قردةً وخنازير نتيجة طمعهم بالشهوات واللذائذ الهابطة.

وما كان عليهم أكثر مِن أن ينتظروا يوماً في الأُسبوع، غير أنّهم فعلوا!

يبدو أنّ سيّد الشهداء (عليه السلام) إنّما ضرب المثل بهم ليُعرِب لمن يلقي السمع وهو شهيدٌ أنّ هؤلاء سيفعلون ولا يتخلّفون، ويتحقّق منهم القتل الّذي يسعون إليه بكلّ ما أُوتوا ولو بارتكاب ما لا يمكن أن يُرتكَب.فكما أنّ اليهود قد تحقّق منهم الفعل بالخارج بأيّ وسيلة، كذلك سيتحقّق الفعل من هؤلاء الأوباش الأوغاد بأيّ وسيلةٍ كانت.

الجلوة الثالثة: براءة الحيتان

نهي الله اليهود عن اصطياد الحيتان يوم السبت، فجاءت الحيتان يوم السبت جاريةً علي أمان الله لها، وكانوا قد عملوا حيلةً فهيّأوا لها طرقاً تؤدّي إلي حياض، إذا دخلت فيها الحيتان من تلك الطرق لا يتهيّأ لها الخروج إذا همّت بالرجوع منها إلي اللجج.

فالحيتان لم يكن لها أيّ دورٍ في تأليب اليهود واستفزازهم، وإنّما كانت تمشي في أمان الله وعلي بركة الله، وتسير سيرتها اليوميّة العاديّة الرتيبة، واليهود هم الّذين عملوا الحيلة وأحلّوا الحرام واعتدوا عليها، وحبسوها ومنعوها من أن

تعود إلي اللجج، وترجع من حيث جاءت، وكلّما حاولَت الرجوع وجدَت الطرق مسدودةً في وجهها.

وهذا ما حدث تماماً مع سيّد الشهداء وإمام السعداء الحسين بن عليّ (عليهما السلام) ، بل زادت هذه الأُمّة التعيسة علي اليهود، فلاحقت الإمام (عليه السلام) من المدينة وحاصرته بذريعة التخيير بين البيعة ومناولة القرود وبين القتل (الذلّة والسلّة)، وطالما حذّرهم وخوّفهم هو ومَن معه وقال لهم: دعوني أذهب في أرض الله العريضة، فأبوا، وملؤوا الدنيا جيوشاً وعساكر غصّت بهم الصحراء المترامية، فمنعوه وأبوا إلّا أن يقتلوه، وقد اختصر ابن الأَمة الفاجرة فعلهم الّذيأشبه فعل اليهود في سدّ الأبواب والإطباق علي الأرجاء والآفاق بقوله:

الآن وقد علقت مخالبنا به

يرجو النجاة، ولات حين مناصِ

وسيأتي تفصيل ذلك في محلّه، إن شاء الله (تعالي).

الجلوة الرابعة: قلب الموازين وتحليل الحرام

لقد نهاهم الله وأنبياؤه _ وليس نبيّاً واحداً _ عن اصطياد السمك في يوم السبت، فدعَتهم نوازعهم الآثمة، ورغباتهم الخسيسة، وشهواتهم الرذيلة، وأنفسهم الحقيرة، وطباعهم اللئيمة، وحقارتهم الساقطة، إلي الاحتيال علي الأمر الإلهيّ، فعمدوا إلي ما فعلوا، وقلبوا الموازين في أنفسهم، وجعلوا الحرام حلالاً بزعمهم، فانتكسوا وارتكسوا وانغمسوا في الخطيئة، وعلقوا بأوحال النذالة والمثالب وسوءات الذنوب..

تماماً كما فعلَت هذه الأمّة مع إمامها وقائدها وسـيّدها وابن سيّدها، إذ قلبوا الموازين، وحلّلوا لأنفسهم ما حرّمه الله منه، ونادوا على رؤوس الأشهاد أنّهم يقتلون رجلاً خرج عن الدين وتمرّد على سلطان زمانه، وهو خليفة رسول الله! فأحلّوا قتله وأباحوا دمه، وسبوا حريمه.

بل زادت هذه الأُمّة في شقائها وبؤسها وتعاستها ونكدها على أُولئك الملعونين من اليهود، إذ أنّ اليهود اقتصروا على صيد الحيتان المحرّمة طلباً للـدنيا، حيث كانت دنياهم وثراؤهم في صـيدها، وعدَتْ هذه الأُمّة على ابن نبيّها فقتلته، وهو لا يريد من دنياهم شـيئاً ولم يتعرّض لها بشيء!

الجلوة الخامسة: الاعتداء في الزمن الحرام

إنّما حرّم الله الصـيد على اليهود يوم السـبت، فجعل للسـبت حرمةً دون سائر الأيّام، وقد اعتدت اليهود على السـبت وفي السبت، فلم ترعَ للزمن حرمته، وارتكبت فيه المآثم.

وقد انتهكت هذه الأُمّة المتعوسة المنحوسة حُرمة الزمن الحرام والفعل الحرام، ولم ترعَ لله حرمةً في رسول الله (صلي الله عليه و آله) .

قال الإمام الرضا (عليه السلام) :

«إنّ المحرم شـهرٌ كـان أهلُ الجاهليـة يحرّمون فيه القتال، فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهُتكَت فيه حرمتُنا، وسُبيَ فيه ذرارينا ونساؤنا، وأُضـرمَت النيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرعَ لرسول الله (صلي الله عليه و آله) حرمةٌ في أمرنا.

إنّ يوم الحسين (عليه السلام) أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كربٍ وبلاء، أورثَتنا الكربَ والبلاء إلي يوم الانقضاء ...» ((1)).

الجلوة السادسة: غضب الله لاصطياد السمك!

إنّ الله مسخ هؤلاء اليهود قردةً وخنازير، ثمّ بعث عليهم مطراً وريحاًفجرفهم إلي البحر لاصطيادهم السمك، فكيف تري عند الله (عزوجل) يكون حال مَن قتل أولاد رسول الله (صلي الله عليه و آله) وهتك حريمه؟!

إنّ الله غضب لفصيل ناقة صالح، وقد قال أبو الشهداء (عليه السلام) عند قتل رضيعه: «اللّهمّ لا يكون عليك أهون من فصيل ناقة صالح».

إنّ الله يُمهِل، ولا يهمل! فهو إن لم يمسخهم في الدنيا، فإنّه قد أعدّ لهم من العذاب في الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ، فإنّ في النار لَمنزلةٌ لم يكن يستحقّها أحدٌ من الناس إلّا قاتل الحسين بن عليّ ((2))، وهو في تابوتٍ من نارٍ عليه نصف عذاب أهل الدنيا، وقد شُدّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكّس في النار حتّي يقع في قعر جهنّم، وله ريحٌ يتعوّذ أهلُ النار إلي ربّهم من شدّة نتنه، وهو فيها خالدٌ ذائق العذاب الأليم مع جميع مَن شايع علي قتله، كلّما نضجت جلودهم بدّل الله (عزوجل) عليهم الجلود حتّي يذوقوا العذاب الأليم، لا يفتّر عنهم ساعة، ويسقون من حميم جهنّم، فالويل لهم من عذاب الله (تعالي)

1- الأمالي للصدوق: 128 المجلس 27 ح 2، بحار الأنوار: 44 / 284 ح 18.
2- أُنظر: كامل الزيارات لابن قولويه: 78 الباب 25.

في النار ((1)).

فكما أعدّ الله للمؤمن مفاجآتٍ يوم يري من النعيم ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سـمعَت ولا خطر علي قلب بشـر، فإنّه أعدّ لقتلة الإمام الحسـين (عليه السلام) من العذابوالنكال ما لا يعلمه إلّا الله ومن أطلعه الله، والدنيا لا تسع الانتقام لثار الله مهما بلغ، فقد ورد عن عيص بن القاسم قال:

ذُكر عند أبي عبد الله (عليه السلام) قاتلُ الحسين (عليه السلام) ، فقال بعض أصحابه: كنت أتمنّي أن ينتقم الله منه في الدنيا!

قال: «كأنّك تستقلّ له عذاب الله! وما عند الله أشدّ عذاباً وأشدّ نكالاً منه» ((2)).

الجلوة السابعة: التوسّل بمحمّدٍ وآل محمّد

لقد عصـي اليهود وارتكبوا ما سخط الله به عليهم وعذّبهم بالمسخ والهلاك والاستئصال، بَيد أنّ ثمّة عروةٌ وثقي جعلها الله لهم، لو تمسّكوا بهـا وتوسّلوا إلي الله لَعصـمهم فكـان لهم سبيـل نجـاة! فلو كانوا حين همّوا بقبيـح أفعالهم سألوا ربّهم بجاه محمّدٍ وآل محمّدٍ الطيّبين، لحجزهم الله عن ركوب المعصية وسدّدهم وهداهم.

وقد ورد في أحاديثنا أنّ الأنبياء كانوا يحدّثون الأُمم السابقة بمحمّدٍ وآله

1- أُنظر: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) : 2 / 47 الباب 31.

2- ثواب الأعمال للصدوق: 216.

ويعرّفونهم لهم، تماماً كما أخبر القرآن الكريم عن عيسي حين بشّر برسولٍ يأتي من بعده اسمه أحمد..

فتعساً وترحاً وبؤساً وشقاءً ولعنةً تغدو ولا تروح لأُمّةٍ عدت علي سبيلنجاتها ونجاة الأُمم فردمته، وتوثّبت علي محمّدٍ وآل محمّدٍ حتّي قتلته وقتلتهم، وفصمت العروة الوثقي بينها وبين ربّها وباريها!

الجلوة الثامنة: سيبعث عليهم مَن ينتقم منهم

لقد عاقب الله ووبّخ الأخلاف علي قبائح أتي بها أسلافهم؛ لرضاهم بفعلهم، وافتخارهم بما فعلوا، وتصويبهم لهم، فصحّ أن يُنسَب الفعل إليهم إذا رضوا بقبيح أفعالهم.

وسيبعث الله علي قتلة غريب الغرباء (عليه السلام) وذراريهم الراضين بفعل أسلافهم سيفه البتّار، الّذي تتطاير من شفرتيه حمم النار، ويومض من اهتزازه انتقام الملِك المنتقم الجبّار، يوم يخرج وليّ الدم والثأر (عجل الله تعالي فرجه الشريف) ، وهو قريبٌ بإذن الله، وإن رأوه بعيداً! أليس الصبح بقريب؟

الجلوة التاسعة: الإمام (عليه السلام) مُعتديً عليه

ربّما كان في الجلوات السابقة ما يفيد هذا المعني بوضوح، ولا ضرورة للتكرار، بَيد أنّ أهميّة الموضوع من جهة، وتصريح سيّد الشهداء (عليه السلام) من جهةٍ أُخري، دعا لإفراد العنوان.

لقد استعمل الإمام لفظ (الاعتداء) مرّتين، أحدهما حين تكلّم عن فعل

اليهود، والأخري حين أخبر عمّا سيفعله جزماً حتماً هؤلاء الأشقياء المبعَدين، وبهذا أكّد علي أنّ الإمام (عليه السلام) معتديً عليه، من دون أن يقدم هو علي شيءٍ يسوغ لهم هذا الاعتداء.والمعتدي هو مَن ظلم ظلماً جاوز فيه القَدْر ((1))، فقد ظلموا الإمام (عليه السلام) وتجاوزوا فيه القدر، وهو مظلومٌ معتديً عليه!

صلّي الله عليك يا مظلوم، يا ابن أوّل مظلومٍ وأوّل مَن غُصب حقّه!

الجلوة العاشرة: خلاصة الجلوات

يمكن تلخيص مؤدّي الجلوات السابقة بالقول:

إنّ الإمام (عليه السلام) أخبر عن كونه مظلوماً، لم يقدِم علي أيّ عملٍ ضدّ القوم ولا استفزاز لهم، وقد سلك طريقه في الحياة كما تجري الحيتان في المياه علي أمان الله، فحاصروه، حتّي أخرجوه من مدينة جدّه وبيت ربّه، وسدّوا عليه الطرق، وضيّقوا عليه وأطبقوا عليه الآفاق، وكانوا يطلبونه ويلاحقونه، فلمّا علقت مخالبهم به واطمأنّوا أنّهم مانعوه من الرجوع إلي (اللُّجج) وإلي أرض الله الوسيعة، أجّلوه عشية اليوم التاسع، تماماً كما كان اليهود يتربّصون بالحيتان إلي يوم الأحد، فأحاطوا به وأسروه وتكاثروا واعتدوا عليه، وقتلوه من غير جُرم، وسينتقم الله منهم في الدنيا والآخرة!

1- أُنظر: لسان العرب: عَدَوَ.

التلميح الثامن: فحوي الردّ

ربّما يكون ثمّة تكراراً إن أردنا اختصار ما مرّ معنا في التلميحات السابقة،وربّما كان التكرار في مثل هذه المواضع نافعاً؛ إذ أنّ المادة فيها فروعٌ وتشعّباتٌ كثيرة، وربّما يعسر علي الذهن متابعتها جميعاً بتسلسلٍ سلس، فيحتاج إلي وقفةٍ تجعله يلملم خيوط البحث ويستخلص النتيجة.

علاوةً علي ذلك، فإنّ المقصود من البحث ربّما يكون غير مألوفٍ لذهنٍ مُثقَلٍ بالسوابق المفارقة لما يتوخّاه هذا البحث، والنتائج الّتي يريد الخروج بها، فربّما نازع التكرار السوابق وجاذبها، وسبّب لها اهتزازاً يسمح للفكرة الجديدة أن تفتح لنفسها مجالاً بين أكداس الخزين الفكريّ والذهنيّ.

مع ذلك، فإنّنا نحاول تجانب التكرار من خلال إضافة بعض الجديد، والإشارة إلي الفحوي الأخير الّذي نريد التنويه به.

إنّ كلّ ما سمعناه من سيّد الشهداء (عليه السلام) هنا في مقام الردّ علي ابن الزبير ـ بغضّ النظر عن غيره من كلامه الشريف ـ لا يشي بوجود موقفٍ خاصٍّ عند الإمام (عليه السلام) سوي الإخبار عن عزم القوم علي قتله، وسعي الإمام (عليه السلام) الجادّ في إنقاذ حرمة الحرم لئلّا تنتهك به، وأنّهم قاتلوه علي كلّ حالٍ وفي كلّ تقدير.

وربّما شهد لذلك تأكيد الإمام (عليه السلام) علي حبّه الابتعاد عن الحرم ولو بمقدار شبرٍ أو شبرين، ليتبيّن أنّ الدافع الأصليّ لخروج الإمام (عليه السلام) من مكّة إنّما هو حماية حرمتها، أمّا الجهة الّتي سيتوجّه إليها، فهذا أمرٌ آخَر سنأتي علي تفصيله في محلّه إن شاء الله.

*****

لم نسـمع من الإمـام (عليه السـلام) شـعاراتٍ مرفوعـة، ولا تحريضاً علي أحـدٍ من السـلطان وأزلامه، ولا تجييشَ الرجال ودعوتهم للبيعة للانقضـاض علي غابـة القرود واقتلاعها من أعواد المنابر، ولا أيّ هـدفٍ آخَر مُعلَنٍ أو مُلوَّحٍ به من قريبٍ أو بعيـد، سوي ما ذكرنا من حماية حرمة البيت والابتعاد عنه، لأنّ العدوّ يُلاحقه ويتوثّب لتقطيعه وسفك دمه الزاكي واستخراج العلقة المقدّسة من جوفه.

ولم نسـمع منه ـ إلي حين حـديثه مع ابن الزبير ـ كلمـةً واحدةً أو موقفاً واحداً أو إشارةٍ أنّه ينوي الخروج بـ-- (المعني المصـطلَح)، وتنمّ عن تبييت حركةٍ خاصّةٍ بأهدافٍ معيّنةٍ مسبقاً تقصد عفاريت السـلطة وحياتهم وكيانهم وسـلطانهم، وتسعي لجمع الرجال والسلاح والمال والتخطيط من أجل تحقيق ذلك.

الجواب الثاني: فضح ابن الزبير

اشارة

بعد أنّ حثّ ابنُ الزبير الإمامَ (عليه السـلام) علي الخروج إلي العراق، وأكّد له أن لو كان له بها مثل شيعة الإمام (عليه السلام) ما عدل بها، ثمّ خشيَ أن يتّهمه فاقترح عليه الإقامة في مكّة، علي التفصيل الّذي مضي قبل قليل..

قال الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) :

«ها، إنّ هذا ليس شيءٌ يُؤتاه من الدنيا أحبّ إليه مِن أن أخرج من الحجاز إلي العراق، وقد علم أنّه ليس له من الأمر معي شيء، وأنّ

ص: 189

الناس لم يعدلوه بي، فودّ أنّي خرجتُ منها لتخلو له» ([(1)]).

ربّما لا يُعدّ هذا جواباً مباشراً لابن الزبير، إذ أنّ الإمام (عليه السلام) قال هذا الكلام لمن حوله، فربّما سمع ابن الزبير أو لم يسمع، وليس هذا يهمّنا كثيراً، وإنّما اعتبرناه جواباً بلحاظ أنّ الإمام (عليه السلام) أخبر عن كذب ابن الزبير فيما يدّعيه ويزعمه، كما سنلاحظ من خلال الدلالات التالية:

الدلالة الأُولي: تكذيب ابن الزبير في الدعوة للبقاء

لقد طرح ابن الزبير خيار البقاء في مكّة علي الإمام (عليه السلام) ، وهو يُضمِر خلاف ما يُعلِن، فأخبر الإمام (عليه السلام) _ وهو أعلم الخلق بالخلق، وهو العالم بالله _ أنّ ابن الزبير يكذب في مقاله ودعوته الإمام (عليه السلام) للبقاء، بل هو يتمنّي عكس ذلك تماماً، وليس شيءٌ يُؤتاه من الدنيا أحبّ إليه من أن يخرج من الحجاز.

بعد أن كشف الإمام (عليه السلام) ما انطوي عليه هذا الخادع المكّار، فلو أنّه أقسم بالله ألف ألف مرّةٍ وهو بين الركن والمقام لَما صدق في قسمه، وهو كاذبٌ في دعوته ومزاعمه.

الدلالة الثانية: تكذيبه في دعواه البيعة للإمام (عليه السلام) وإسناده

سمعنا ابن الزبير يَعِدُ الإمام (عليه السلام) إنْ هو مكث في مكّة أن يبايعه ويدعو له الرجال، وينصح له ويؤازره، وغيرها من الوعود التي مرّت معنا قبل قليل..

1- جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 315، تاريخ الطبريّ: 5 / 383، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

فلمّا أخبر الإمامُ (عليه السلام) أنّ ابن الزبير لا شيء أحبّ إليه من الدنيا من خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة لتخلو له، عرفنا أنّ ابن الزبير كاذبٌ لا يُعدّ صادقاً، ولا يفي بما يَعِد، وهو لا يريدها ـ وفق تصوّراته وفهمه ـ للإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) ، وإنّما يخدع ويمكر ويكذب، وهو من الأفّاكين!

الدلالة الثالثة: الدافع الّذي يلهث له ابن الزبير

عرفنا من كلام الإمام (عليه السلام) وهو يُعلِن أنّ أحبّ شيءٍ عند ابن الزبير من الدنيا هو خروج الإمام (عليه السلام) لتخلو له مكّة، لأنّه يعلم أن لا يأبه به أحدٌ مع وجود الإمام (عليه السلام) ، فمعني الأمر الّذي يطلبه ابن الزبير ويتحدّث به ويزعم أنّه أحقّ به من غيره لأنّه من أبناء المهاجرين وغيرها، إنّما هي الدنيا ليس إلّا!

إنّ ابن الزبير يلهث دالعاً لسانه يتمنّي أن يلحس بقايا مقاعد مَن سبقه من الأُمويّين حصراً، ولا يبتغي بعد أن ينال دنياه آخرةً ولا عدلاً، ليس له شعاراتٌ أو أهدافٌ دينيّة أو اجتماعيّة ينحو من خلالها إلي بسط العدل ورفع الحيف والجور والظلم من المجتمع، وإنّما يطمع في المُلك، ويخطّط للوصول له، لأنّه يري الدنيا فيه.

الدلالة الرابعة: موقع ابن الزبير عند الناس

لقد شهد الإمام (عليه السلام) علي ابن الزبير أنّه يعلم علم اليقين أنّ وجود الإمام (عليه السلام) يمحو وجوده عند الناس، وأنّ أحداً منهم لا يعدله بالإمام (عليه السلام) ولا ينظر إليه ولا يكترث به، فلا مجال للمقارنة والمقايسة بين نور الله وبين عتمة

ابن الزبير.

وبهذا ردّ الإمام (عليه السلام) علي جميع مزاعم ابن الزبير حين يحشر نفسه مع الإمام (عليه السلام) ، فيقرنه في كلامه بنفسه، ويزعم أنّهما من أبناء المهاجرين، وأنّ حقّهما ثابتٌ لا يخالفهما عليه أحد.

كما ردّ الإمام (عليه السلام) علي ابن الزبير حين تنافخ شرفاً وتفاخر بشرفه الذاتي، وشرفه بمن تشرّف به هو والخلق أجمعين، فلا شرف له ولا وجود له حتّي في ميزان الناس، بغضّ النظر عن موازين الدين والإسلام.

فالإمام (عليه السلام) لا يُقاس به أحد، فمَن هذا اللُّكَع الضئيل حتّي يقرن نفسه بالإمام (عليه السلام) ، ويقايس فعله بفعله؟!!

الدلالة الخامسة: لا أهداف مقابل أهداف ابن الزبير

لقد ذكر الإمام (عليه السلام) مقاصد ابن الزبير وما أحبّه، وتمنّيه خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من الحجاز لتخلو له، بَيد أنّه لم يعقّب علي ذلك بما ينويه هو وما يقصده ويريده، ولم يذكر الفرق بين أهدافه وشعاراته _ مثلاً _ وأهداف ابن الزبير وشعاراته، ودعوة ابن الزبير ودعوته، وهكذا.. وإنّما خصّ بالذكر ابن الزبير وما ينتابه من مشاعر ويضمره من تمنّيات، والحال أنّ باطل ابن الزبير يحسن أن يواجه بالحقّ الّذي سيقابله وينتصب بإزائه.

يبدو واضحاً أنّ الإمام (عليه السلام) لم تكن لديه أيّ دعوةٍ أو شعاراتٍ أو أهدافٍ ينوي الإعلان عنها إلي تلك اللحظة، وكان ظرفهما وموقفهما ودوافعهماتختلف تمام الاختلاف، ولا تلتقي في أيّ موضع!

فابن الزبير يلهث وراء الدنيا وزخارفها وسفاسفها وبهارجها، فيخطّط لطرح نفسه كبديل، ويدعو للبيعة، ويتوثّب لنيل الأمر.. والإمام (عليه السلام) مُلاحَقٌ مطلوبٌ للقتل، يستعجل الخروج من مكّة لئلّا تُهتَك بدمه الزاكي حرمة البيت!

الدلالة السادسة: يطلب الأمر ولو بقتل الإمام الحسين (عليه السلام)

لقد حثّ ابن الزبير الإمام (عليه السلام) علي الخروج إلي العراق، وزعم أن لو وجد فيها شيعةً كما كانوا للإمام (عليه السلام) لما تردّد في الذهاب فوراً، وكان يودّ لو يخرج الإمام (عليه السلام) إلي العراق، كما أخبر عنه الإمام (عليه السلام) نفسه: «أحبّ إليه مِن أن أخرج من الحجاز إلي العراق»، وهو يعلم أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوبٌ مقتولٌ لا محالة، وأنّ خروجه إلي قومٍ قتلوا أباه وطعنوا أخاه وغدروا به _ حسب كلام ابن الزبير نفسه _ سيؤدّي إلي قتله جزماً، وهو مع ذلك يتمنّي خروج الإمام (عليه السلام) لتخلو له مكّة!

فابن الزبير لا يمتنع حتّي من أن يري ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) مقتولاً إذا ما تحقّق له ما يريد، بل سيكون قتل الإمام (عليه السلام) باعث فرحٍ وابتهاجٍ عنده، لأنّه لا يقلّ عداوةً وبغضاً وحقداً علي الإمام (عليه السلام) من بني أُميّة، كيف وهو الآن يحسده ويراه حاجزاً دون تحقيق ما يروم!

الجواب الثالث: السكوت

ذكر الخوارزميّ، علي نحو الحكاية والنقل بالمعني لا علي نحو الإخبارونقل الرواية:

إنّ ابن الزبير قال كلامه مكراً، لأنّه لا يحبّ أن يكون بالحجاز أحدٌ يناويه، فسكت عنه الإمام (عليه السلام) وعلم ما يريد ((1)).

يبدو أنّ ما ذكره يتّفق مع ما ذكره غيره من المؤرّخين، باختلاف أنّ الخوارزميّ هنا لم يذكر جواباً للإمام (عليه السلام) سوي السكوت، والسكوت جوابٌ في مثل هذه الموارد، لذا أفردناه عن غيره من المتون.

والسكوت هنا ليس بمعني الإقرار، وإنّما بمعني الامتهان والاحتقار والازدراء والاستخفاف والاستصغار والاستهانة والإهانة، ويشهد لذلك تعقيب الخوارزميّ نفسه بقوله: «وعلم ما يريد» من المكر والحيلة وتمنّي خروج الإمام (عليه السلام) كي لا يبقي في الحجاز مَن يناويه.

ولطالما سكت أمير الكلام وسيّد الفصاحة عن كثيرين، لأنّهم لا يستحقّون الجواب أحياناً لسخف عقولهم، أو لأنّهم يعاندون ويكابرون، أو لأيّ سببٍ يعرفه الإمام (عليه السلام) وهو معدن الحكمة.

بَيد أنّ السكوت في مثل هذه الموارد يكشف لنا عن مستوي ابن الزبير واستحقاقه، ودناءته وحقارته وخبله، وخطل دعوته، وزلل مقاله، وكذب مدّعاه، وتفاهته وحماقته وطيشه وغبائه ونزقه، وهو أهون من أن يكون جاهلاًفيردّ عليه الإمام (عليه السلام) بالسلام، فسكت عنه حتّي ما عاد يستحقّ الجواب من إمام الحِلم والخلُق السامي ومعدن الرحمة والمداراة وإمام الخلق أجمعين.

ص: 194

1- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217.

الاقتراح الثاني: التحذير من التوجّه إلي العراق

اشارة

قـد تبـدو مضامين النصوص الآتيـة تحذيراً وليس اقتراحاً، بَيد أنّنا أدرجناها تحت عنوان الاقتراحات؛ باعتبار أنّ المؤدّي والنتيجة تفيد النهي عن الخروج إلي العراق والمكث في مكّة المكرمة، كما ورد في متن ابن حجر.

وقد وردت نصوص العنوان كأنّها تحكي سببين للتحذير والنهي، سنأتي علي الإشارة إليها فيما يلي:

السبب الأوّل: لقد حضر الحجّ وتدَعْه!

روي ابن قولويه ومَن تلاه، بسندٍ عن الإمام أبي جعفرٍ الباقر (عليه السلام) قال:

«إنّ الحسـين (عليه السـلام) خرج من مكّة قبل التروية بيوم، فشـيّعه عبدُ الله بن الزبير، فقال: يا أبا عبد الله، لقد حضـر الحجّ وتدَعْه وتأتي العراق؟» ((1)).

وهذا النصّ الشـريف يمتاز عن غيره كونه مرويّاً عن الإمام المعصوم (عليه السـلام) في كتاب (كامل الزيارات) الشريف لابن قولويه الطيّب الطاهر الثقة المعتمَد.

ومضـمونه يشترك مع آخَرين تكلّموا في محضـر الإمام (عليه السـلام) بنفس الكلام، وقد أتينا علي ذكر بعضها مفصَّلاً فيما مضي في كتاب لقاء الفرزدق، فلا حاجة للإعادة في تناول ما جاء هنا بالتفصيل، ونكتفي بالإشارة السريعة.

*****

1- كامل الزيارات لابن قولويه: 72، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 85، العوالم للبحرانيّ: 17 / 313 - 318، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 120، نفَس المهموم للقمّي: 168.

حدّد الإمام (عليه السلام) يوم خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وذكر أنّ ابن الزبير خرج يشيّع سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وقال له ما قال بعد أن رأي الإمام الحسين (عليه السلام) قد حسم الأمر وخرج، وتحقّق ما كان يتمنّاه، ويفرك يديه ويمطّ كتفيه ويلحس أنفه بلسانه ويملأ عطفيه جذلان مسروراً بخلوّ الحجاز له وخروج مَن لا يُنظَر إليه بوجوده منها.

ويبدو واضحاً من السياق أنّه يسأل مستنكِراً مستغرباً، كأنّه لا يصدّق أنّ الإمام (عليه السلام) يخرج بهذه السرعة والعجلة غير المتوقّعة، فهو وإن كان أحبّ شيءٍ إليه من الدنيا أن يري الإمام (عليه السلام) خارجاً عنها، غير أنّ المفروض أن لا يتعجّل الإمام (عليه السلام) فيخرج قبل الموسم، والناس تتّجه إلي المشاعر لأداء النسُك، وما هي إلّا أيامٌ قلائل حتّي ينتهي الموسم، وينفضّ الحجيج ويفيض كلٌّ إلي بلده، وللإمام (عليه السلام) أن يخرج.

فهو إن كان لا يريد أن يدعو الناس ولا ينوي جمع الرجال ولا تحشيد مَن يمكن تحشيده ولا التحريض علي الأُمويّين، فهو في أمان _ وفق المتعارف _،فلا هو له شغلٌ بالسلطان، ولا السلطان سيتعرّض له _ وفق القواعد والأُصول _، فليُتمَّ حَجَّه ويُؤدّي نُسُكَه، ثمّ يذهب حيث شاء.

غير أنّ الإمام (عليه السلام) قد أفصح في غير موضعٍ أنّه إن بقيَ تلك الأيّام القلائل فإنّهم يغتالونه، أو يأخذونه أخذاً، لذا اقتضي التعجيل والخروج من مكّة فوراً، وهو القائل: «لئن أُقتَل خارج مكّة بشبرٍ أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل فيها».

فخروج الإمام (عليه السلام) متعجّلاً أيّام الموسم نفسه يستحثّ العاقل للتأمّل،

ليعلم علم اليقين أنّ سبب خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة إنّما هو اجتناب هتك حرمة البيت بدمه المقدّس الزاكي، بل ربّما كان الأمر واضحاً لكلّ مَن مرّ سريعاً علي هذا المشهد، وسمع بهذا الموقف الّذي صرّح أبو عبد الله (عليه السلام) بسببه.

نكتفي هنا بهذا القدر، ونحيل علي التفصيل المذكور في محلّه.

السبب الثاني: التحذير من الذهاب إلي قومٍ قتلوا أباه وطعنوا أخاه

اشارة

ورد في المصادر:

أنّ ابن الزبير لحق الحسين بن عليّ (عليه السلام) ، فلقيه حين توجّه إلي العراق، فقال: أين تريد؟ قال: العراق. قال إنّك تأتي قوماً قتلوا أباك وطعنوا أخاك!

وسأله _ في بعض النصوص _ مستنكِراً فقال:

- أين تذهب؟! إنّك تذهب إلي قومٍ قتلوا أباك وطعنوا أخاك!فنهاه ((1)).
- وأعرب عن رأيه فقال: وأنا أري أنّهم قاتلوك.

وفي بعض النصوص تأكيدٌ في صيغة الجملة: ولا أراهم إلّا قاتليك ((2)).

فأجابه الإمام (عليه السلام) : «وأنا أري ذلك» ((3)).

ص: 197

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: 117.

2- المناقب لمحمّد بن سليمان: 2 / 262 الرقم 727.

3- المناقب لمحمّد بن سليمان: 2 / 262 الرقم 727، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 219، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 161، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 203، تهذيب ابن بدران: 4 / 329، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 197، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 27 _ بتحقيق: السيّد علي أشرف، مدينة المعاجز للبحرانيّ: 245، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 185، العوالم للبحرانيّ: 17 / 54، ذخائر العقبي للطبريّ: 151، الصواعق المحرقة لابن حجر: 117، الأمالي للشجريّ: 1 / 174.

هذا هو مجمل ما ورد في نصوص هذا الاقتراح، ويمكن تناوله من خلال اللمحات التالية:

اللمحة الأُولي: وقت اللقاء

يبدو واضحاً أنّ هذا اللقاء إنّما تمّ أثناء خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة ومسيره إلي العراق، حيث لحق به ابن الزبير وسأله: أين تريد؟ فهو لقاءٌ بعدانطلاق الركب الحسينيّ وأثناء حركته.

يعني أنّه لقاءٌ في وقت بلوغ ابن الزبير الذروة في الفرح والسرور والاستبشار والابتهاج، وسكون جيّاشات الأماني في أعماقه.. إنّها الساعة المنتظرة الّتي هي أحبّ شيءٍ إليه من الدنيا، فربّما كان لسانه وقلبه المنخور ينطقان معاً، فيظهر علي لسانه هذا السؤال، ويستحثّه في قلبه علي استعجال الرحيل، لتخلو له الحجاز.

اللمحة الثانية: التحذير من أهل العراق!

كان سؤال ابن الزبير سؤالاً استنكاريّاً علي الإمام (عليه السلام) ، وكأنّه يعجب من عزم الإمام (عليه السلام) علي المسير إلي قومٍ قتلوا أباه وطعنوا أخاه.

وهو بهـذا القـدر موقفٌ كسائر المواقف الأخري الّتي سـجّلها لنا التاريـخ عن المعترضـين علي الإمام (عليه السـلام) ، حيث أكّد الجميع للإمام (عليه السـلام) علي أنّ أهل الكوفة أهل غدر، وأنّهم قتلوا أمير المؤمنين (عليه السـلام) وطعنوا الإمام المجتبي (عليه السلام) وغدروا به وخانوه، فهو لم يكشف سـرّاً ولم يتوصّل بفكره وحساباته الخاصّـ ة لتشـخيص ميـدان الكوفـة وتقـديراته، وإنّما هي حقيقةٌ واضـحةٌ للعيان يشهدها كلّ ذي عينين.

وابن الزبير وغيره يعلمون علم اليقين أنّ هذه الحقيقة ليست غائبةً عن الإمام (عليه السلام) بتاتاً _ بغضّ النظر عن علم الإمامة _؛ إذ أنّ سيّد الشـهداء (عليه السـلام) عالجهم بنفسه، وعركهم ولفظهم بعد أن عجمهم، وقاسـي منهم ما قاساهأبوه (عليه السـلام) ، وعاني منهم ما عاناه أخوه (عليه السـلام) ، لأنّه كان معهم تلك الأيّام، ورأي ما جري عليهما (عليهما السلام) بعينه ولمسه بيده، فلا يكون ابن الزبير أعرف بهذه المعلومة من الإمام (عليه السلام) !

فلا يمكن حمل تنويه ابن الزبير علي إعلام الإمام (عليه السلام) ، وإطلاعه علي ما لا يعلم ولا يدري.

ولا يمكن حمل كلامه علي محاولـة ردع الإمام (عليه السـلام) عن المسـير إليهم، وهو الّذي يرجو خروج الإمام (عليه السـلام) ساعةً قبل أُخري، لتخلو له الحجاز.

إلّا أن يُقال: إنّه إنّما أصحر عن ذلك ليدفع التهمة عن نفسه، أو أنّه نافق وكذب، والنفاق والكذب من طباعه.

فلا يبعد حمل ما قاله علي اللوم ومحاولة تخطئة الإمام (عليه السلام) ، ليزعم أنّه

أعرف بتقدير الوضع، وأنّه نهي الإمام (عليه السلام) فلم ينته، وأنّه علي مستويً من بُعد النظر واستشراف المستقبل وقراءة الأحداث ومعرفة الناس.

وفات هذا العلج الغبيّ أنّ الإمام (عليه السلام) يعرف ذلك كلّه، كما تجلّي في ردّه (عليه السلام) علي ابن الزبير في هذا المقام.

والإمام (عليه السلام) لم يقصد عسكر السلطة المتمركز في الكوفة، ولا أصحاب الكتب والرسائل المتكاثرة الواردة إليه، ولم يشيّد علي مزاعمهم موقفاً، ولم يحسب لهم حساباً يؤهّلهم للاعتماد عليه من قِبل الإمام (عليه السلام) .

وقد ذكرنا ذلك مراراً، ونعيد هنا باختصار:إنّ آفاق الأرض قد سُدّت، والأرجاء قد أرتُجت، والأبواب قد أُوصدت، والبلدان قد أُغلقت في وجه وجه الله وريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، فليس له سوي التوجّه نحو العراق، وهو يعلم أنّهم قتلوا أباه (عليه السلام) ، وأنّهم طعنوا أخاه (عليه السلام) ، وأنّ هذه الكتب والرسائل الّتي وصلته من أكثرهم إنّما هي زيفٌ متموّج، وزبدٌ متكاثف، وسرابٌ كاذبٌ سرعان ما يذوب ويختفي، بل ينقلب عليه، غير أنّ ثمّة القليل الديّانون المتواجدون في العراق المنتظرون قدومه لينصروه ويدفعوا عنه وعن عياله، فقصدهم.

اللمحة الثالثة: أنا أري أنّهم قاتلوك

يبدو من المقدّمة الّتي قدّمها ابن الزبير أنّ ما يراه جازماً هو نتيجةً لتلك المقدّمات، فهو يرتّب ما يراه علي أنّهم قتلوا أباه وطعنوا أخاه، فسيكون مآل أمره مآلهم، وعاقبته عاقبتهم، وأنّهم سيقتلوه تماماً كما قتلوا مَن كان قبله.

ونحن لا نريد مناقشة ما قاله ابن الزبير، وإثبات خطأ تقديراته ضـمن الظروف وسـيَر الأحداث في تلك الفترة، وما يعتقده ابن الزبير نفسه، إذ أنّه كان يتمنّي أن يكون له أنصارٌ مزعومون منـدفعون كما كان للإمام (عليه السـلام) ، لينطلق إليهم بجناحَين مسـرعاً، ففي حساب من يريد الخروج والتوثّب علي السلطان يكتفي بالكتب والرسائل والمظاهر الّتي يُعلنها الأنصار والأشياع.

غير أنّ مجريات الأحـداث وسـياقات حركـة يزيـد القرود وأذنابه وولاته وجميع المؤشّـرات كانت تفيـد بوضوح أنّ القوم لا يقبلون بأقلّ من استخراجالعلقة المقدّسة من صدره، خزانة علم الله وأسراره..

فهو لم يكشف سـرّاً، وإنّما سوابق أهل الكوفة وتاريخهم، ووحشـيّة العدوّ واسـتعجاله في قتل سـيّد الشهداء (عليه السلام) وتوفيره جميع ما يلزم لذلك، يدلّان علي ما ذكره ابن الزبير، وهو ليس استنتاجاً فاض به غباؤه الّذي يخاله عبقريّة!

لكن يبقي المهمّ هنا، أنّ حتميّة القتل الّذي ينتظر سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) في العراق كان أمراً واضـحاً لائحاً للجميع، حتّي لمثل ابن الزبير!

اللمحة الرابعة: تنويهٌ هامّ

لابدّ من التنويه هنا إلي ما ننوّه إليه دائماً:

إنّ دراسـتنا تعتمـد تماماً علي سـياقات وضوابط البحث التاريخيّ، بغضّ النظر عن العامل الغَيبيّ، مع اعتقادنا التامّ بالعامل الغيبيّ، غير أنّنا نريد أن نصل إلي ما نصّت عليه الأحاديث الشريفة والروايات المنيفة بلغة الغَيب من خلال حوادث التاريخ والظروف الموضوعيّة الخارجيّة الّتي أدّت إلي تحقّق

العامل الغيبيّ.

فقول الإمام (عليه السلام) : «وأنا أري ذلك»، فيه إخبارٌ غيبيّ، غير أنّنا يمكن أن نفسّره من خلال مجريات الأحداث، علي وزان إخبار غير الإمام العالم بالله، فهو حينئذٍ يُخبِر عن واقعٍ متنجّزٍ ضمن الظروف القائمة والحسابات الجارية.

اللمحة الخامسة: «وأنا أري ذلك»

ردّ الإمام (عليه السلام) هنا يفيد أنّ ما يُخبِر به ابن الزبير ليس غائباً عنه، وهو بقوّة ماقاله لغيره حين كان يقول: «لا يخفي علَيّ الأمر».

فلا يظنّن ابنُ الزبير أنّه يعلم شيئاً قد خفيَ علي الإمام (عليه السلام) ، ولا يزعمنّ فيما بعد أنّه قد حذّر الإمام (عليه السلام) والإمام لم يقبل منه لأنّه لم يقتنع بكلام ابن الزبير، وبهذا قد سدّ علي ابن الزبير وأمثاله باب التخطئة، وحجزهم عن التطاول بالكذب والافتراء عليه، وسلخ عنهم بزّة ما يتزيّنون به زوراً وزيفاً من أزياء العلم والمعرفة والحنكة والتدبير، حين يتظاهرون أنّهم كانوا يعلمون النتيجة وأنّها غابت عن الإمام (عليه السلام) .

إنّ الإمام (عليه السلام) يري ذلك أيضاً، ويعلم ذلك أيضاً، حتّي بموازين العامّة الّتي يمكن لأيّ فردٍ تحكيمها والنظرة الدقيقة الفاحصة للأحداث وما تتعقّبها وتنتجها.

اللمحة السادسة: التأكيد علي أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوب

ليس من شأن مَن يبيّت للخروج بالمعني المصطلح ويخطّط له، أن يُعلِن

عن قتله الأكيـد قبل الانطلاق إلي بلـدٍ يضمّ أنصاره المنـدفعين الّـذين تغلي مراجلهم وتتأجّج عواطفهم بنيران الغضب العارم علي النظام القائم، وتتوقّد جمرات التطلّع إلي مستقبلٍ ينشر فيه الربيع خضاره وثماره علي الحياة الاجتماعيّة، وما إلي ذلك..

فهو حين يعلن عن ذلك جازماً قاطعاً، وأنّه يراه ويعتقده، إنّما يعلن عن محاصرته الّتي اكتملت كالحلقة، وملاحقته الّتي لا تفتر من قبل أزلام السلطةوأوغاد الولاة، وعساكر الحقد والضغينة والحسد المعتدية الغاشمة.

لك الله يا ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وخامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) ..

نبَتْ به المدينة.. ولم تعُد مكّة حرماً آمناً له، حتّي استعجل الخروج أيّام الموسم لئلّا يُغتال بها..

ثمّ هو يعلم أنّه أينما حلّ وارتحل فإنّهم سيقتلونه، ولو كان في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض، ولو ذهب إلي العراق فإنّه يعلم أنّه يُقتَل هناك..

فالقضيّة قضيّة (القتل) الّذي عزم عليه العدوّ عزماً أكيداً، وليس للإمام (عليه السلام) سوي خيار الدفاع عن نفسه وعن أهل بيته!

أمّا كون الإمام (عليه السلام) قد خرج إلي القتل، وأقدم عليه هو مِن خلال إعلانه الهجوم علي السلطان وطلبه للمحاربة، فهو كلامٌ لا ينهض مع مجموع كلمات الإمام (عليه السـلام) وبياناته وتصـريحاته طيلـة فترة حركته من المدينـة إلي يوم عاشوراء، لِما قد أتينا علي بيانه مفصّـلاً ومقتضباً فيما مضي من دراسات.

كما أنّ استنقاذ الأُمّة وإخراجها من سباتها ومعالجة شللها النفسيّ وازدواج

الشخصـيّة لا يلزم منه سـفك دم الإمام (عليه السلام) ، حاشا لإمام الخلق أن يقدم علي عملٍ انتحاريّ، سيّما أنّ نوع القتل لا يستنقِذ، وإنّما جعل الحجّة ونصب الإمام (عليه السـلام) مِن قِبل الله هو الّذي يسـتنقذ العباد من الجهالة وحيرة الضـلالة، وقد أتينا علي بيان ذلك بشيءٍ من التفصيل في جملة الدراسات السالفة، سيّما في كتابَي (ظروف الخروج من المدينة) و(لقاء الفرزدق).

تعليقات:

التعليقة الأُولي: رواية ابن حجر في (الصواعق)

قال ابن حجر:

وسـبب مخرجه [يعني الإمام الحسـين (عليه السـلام)] أنّ يزيـد لمّا اسـتخلف سـنة ستّين، أرسل لعامله بالمدينـة أن يأخـذ له البيعة علي الحسين، ففرّ لمكّة خوفاً علي نفسه.

فسـمع به أهـلُ الكوفـة، فأرسـلوا إليه أن يـأتيهم ليبـايعوه، ويمحو عنهم مـا هم فيه من الجَور، فنهاه ابن عبّاسٍ وبيّن له غـدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه، فأبي، فنهاه أن لا يذهب بأهله، فأبي، فبكي ابن عبّاسٍ وقال: واحبيباه، واحسيناه!

وقال له ابن عمر نحو ذلك، فأبي، فبكي ابن عمر، وقبّل ما بين عينيه، وقال: أستودعك الله من قتيل.

ونهاه ابن الزبير أيضاً، فقال له: «حدّثني أبي أنّ لمكّة كبشاً به يستحلّ حرمتها، فما أُحبّ أن أكون أنا ذلك الكبش».

ص: 204

ومرّ قول أخيه الحسن له: إيّاك وسفهاء الكوفة أن يستخفّوك، فيُخرجوك ويُسلموك، فتندم، ولات حين مناص. وقد تذكّر ذلكليلة قتله، فترحّم علي أخيه الحسن ((1)).

*****

المقدار الّذي يهمّنا من مقال ابن حجرٍ هنا هو ما يخصّ ابن الزبير، موضوع الدراسة، حيث اختصر كلام ابن الزبير بقوله: ونهاه ابن الزبير أيضاً.

و(أيضاً) هذه إشارةٌ إلي المعارضين الآخَرين الّذين نهوا الإمام (عليه السلام) عن الخروج من مكّة والتوجّه نحو العراق، كالعبدَين ابن عبّاس وابن عمر، وغيرهما.

وقد نقلنا عبارته بما هو أوسع من موقف ابن الزبير؛ لأنّ ما حكاه عن ابن الزبير لم يكن مفصولاً عمّا سبق ولحق، بقرينة وحدة السياق وتتابع النواهي، وذكر المعترضين وقوله (أيضاً).

فهو يريد أن يُوصِل فكرةً تفور وتغلي مثل عيون الكبريت العفنة في كوامنه، فحشّد لها حطباً من كذبه ليوقد نار الفتنة والكذب والخديعة والتضليل علي نفسه في الدنيا والآخرة.

ونحن لا نريد إطالة المكث عند فقاعات هذه العين الكدرة الّتي تُزكم الأُنوف، وتمتشط الأرواح بأمشاطٍ كالسفود إذا انتزع من الصوف المبلول، إذ

1- الصواعق المحرقة لابن حجر: 196.

أنّنـا أتينـا علي ذِكر بعضـها ومناقشـته عنـد ذِكر مـا ذكره سـبط ابن الجوزيّوغيره من نـدم الإمـام (عليه السـلام) وتـذكّره نهي ابن عبّـاسٍ له، والاستشهاد بما نسبوه إلي أمير المؤمنين (عليه السلام) : كأنّه ينظر من وراء ستر رقيق، وفي غيرها من المواضع من مجمل دراستنا.

لـذا سـنكتفي هنـا بالإشارة السـريعة إلي خُبثٍ ما في صـياغة عبارته وترتيب الأحـداث، فهو يحاول من خلال ترتيب أقوال وأفعال مَن نهي الإمام (عليه السـلام) والاقتصار علي قول (فأبي) في تقرير موقف الإمام الحسـين (عليه السلام) ، وختمها بما يزعم أنّ الإمام الحسن (عليه السـلام) قاله لأخيه سـيّد الشهداء (عليه السلام) ، إثبات ما يروم هو وأسياده من تخطئة الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنّ جميع أهل الحـلّ والعقـد ومَن يسـمّونهم الوجهـاء والعقلاء قـد نهوا الإمام (عليه السـلام) ، ولـم يكن لـدي الإمام (عليه السـلام) جوابٌ سوي أنّه أبي وخالفهم، ثمّ ندم علي مخالفته لهم!!!

وقـد ورد الحـديث عن أهـل البيت (عليهم السـلام) في مـا يخصّ كلمـات الإمام الحسن (عليه السـلام) وحـديثه عن كربلاء أخيه الإمام الحسين (عليه السلام) ومصائبه وما يجري عليه وبكائه عليه، وقولته المشهورة المعروفة:

«لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ...».

وقد كذّب ابن حجر نفسه حين روي ردّ الإمام الحسين (عليه السلام) علي ابن الزبير، وتأكيده أنّه لا يحبّ أن يكون الكبش الّذي تستحلّ به حرمة الحرم، حيث أبان الإمام الحسـين (عليه السـلام) اضطراره إلي الخروج من مكّة، وأنّه مطاردٌ مطلوبٌ مقتول، علي التفصيل الّذي أتينا علي بيانه في أكثر من موضع.

ص: 206

ويبدو من خلال تعليل ابن حجرٍ وغيره ممّن نقل هذه العبارة أو ما يقرب منها، أنّه يريد أن يفسّر خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة بـدعوة الكوفيّين له واعتمـاده علي كتبهم ورسـلهم ووعودهم، وأنّه يطلب الأمر علي وزان مَن يطلبه في زمانه من قبيل الأُمويّين وابن الزبير، والعياذ بالله.

ويشهد لذلك ما نقله الشاميّ في (سبل الهدي والرشاد)، قال _ وهو يروي أحداث وصيّة الإمام الحسن (عليه السلام) وشهادته _ :

قـال في آخرهـا: أبي الله (عزوجـل) أن يجعـل فينـا أهـلَ البيت مع النبوّة والخلافـة المُلك والـدنيا، فإيّاك وطاعتها، وإيّاك وأهل الكوفـة أن يستخفّوك فيُخرجوك، فتندم حيث لا ينفع الندم.

ثمّ رفع طرفه إلي السـماء وقال: اللّهمّ إنّي احتسـبتُ نفسـي عنـدك، فإنّي لم أصب بمثلها، فارحم صـرعتي وأُنسـي في القبر وحـدتي وارحم غربتي، يا أرحم الراحمين ((1)).

وغزل صاحب (السيرة الحلبيّة) بنفس المغزل البائس، فقال:

ثمّ لمـا قُتل الحسـين، أي: لأنّ الحسـين أرسل إليه أهل الكوفـة أن يأتيهم ليبايعوه، فأراد الـذهاب إليهم، فنهاه ابن عبّاس، وبيّن له غـدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه الحسن.

ونهاه ابن عمر وابن الزبير، فأبي إلّا أن يذهب، فبكي ابن عبّاسٍ وقال: واحبيباه! وقال له ابن عمر: أستودعك الله من قتيل.

1- سبل الهدي والرشاد للصالحيّ الشاميّ: 11 / 70.

وكان أخوه الحسن قال له: إيّاك وسفهاء الكوفة أن يستخفّوك، فيُخرجوك ويُسلموك، فتندم، ولات حين مناص. وقد تذكّر ذلك ليلة قتله، فترحّم علي أخيه الحسن ((1)).

وسنأتي علي مناقشة ذلك مفصّلاً في موضعه..

ولكن، لا ندري كيف يسوّغ هؤلاء المؤرّخون قتل سيّد الشهداء (عليه السلام) ، ويبرّرون لمن حاربه فعله بعد أن ندم الإمام (عليه السلام) ليلة قتله ـ علي فرض المحال وصحّة ما صدر عنهم من مقال ـ، فإن كان قد ندم قبل ليلةٍ من قتله، فلماذا أصرّوا علي قتله، وهو ابن بنت النبيّ (صلي الله عليه و آله) وريحانة الرسول وسيّد شباب أهل الجنّة؟!!

التعليقة الثانية: ابن الزبير يسأل مسائل شرعيّة!

ورد في رواية الشجريّ في (الأمالي) أنّ ابن الزبير عقّب كلامه مع الإمام (عليه السلام) بتقديم بعض الأسئلة الشرعية:

فسأله عن المولود، متي يجب عطاؤه؟

وسأله عن الرجل يُقاتل عن أهل الذمّة فيُؤسر، كيف يكون فكاكه؟

وسأله عن الشرب قائماً؟

وسأله عن الصلاة في جلود الميتة ((2)).

1- السيرة الحلبيّة: 1 / 270.
2- الأمالي للشجريّ: 1 / 174.

من العجيب أنّ مثل ابن الزبير الّذي يزعم في نفسه ما يزعم، ويريد أن يطلب الأمر ويحكم الناس باسم الدين وشريعة سيّد المرسلين (صلي الله عليه و آله) ، يكون جاهلاً في مثل هذه المسائل الّتي هي في صلب عمله، ومن ضرورات حياته اليوميّة.

ولا ندري كيف كان هؤلاء الجهلة الأغبياء ينتصبون، ويحاولون الإقلاع من قاعهم المظلم العفن، مع جهلهم وقلّة علمهم ـ علي أفضل الفروض ـ؟!

وكيف كانت أنفسهم تنازعهم للتوثّب علي الأمر، وفي الأُمّة مَن هو أعلم منهم، وهم محتاجون إليه؟!

لكنّها سيرة الأوائل الّذين تركوا قول النبيّ (صلي الله عليه و آله) : «عليٌّ أقضاكم، وعليٌّ أعلمكم، وأنّكم تحتاجون إليه ولا يحتاج إليكم»، بعد روايتهم ذلك وأكثر عن النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، فجري عليها مَن جاء بعدهم، وسوّغها لهم من نظّر وقدّر وفكّر، فحمد الله الّذي قدّم المفضول علي الفاضل لمصلحةٍ اقتضاها!!! ((1))

الاقتراح الثالث: الخروج إلي العراق

اشارة

كان ابن الزبير يغدو ويروح إلي الإمام الحسين (عليه السلام) ، ويشير عليه أنيقدم العراق! ويقول: ما أدري ما تركنا هؤلاء القوم وكفّنا عنهم ونحن أبناء المهاجرين وأُولي الأمر منهم.

ص: 209

1- أُنظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: 1 / 3 مقدّمة المؤلف.

وسأل الإمام الحسين قائلاً: خبّرني بما تريد أن تصنع؟ فقال الإمام: واللهِ لقد حدّثتُ نفسي وعزمتُ علي إتيان الكوفة، فإنّ شيعتي بها، وأشراف أهلها قد كتبوا إليّ في القدوم عليهم، وأستخير الله.

فقال ابن الزبير: وفّقك الله، أما لو أنّ لي بها مثل أنصارك، ولو كان لي بها مثل شيعتك، ما عدلتُ بها ولما أقمت بمكانك يوماً واحداً، فما يمنعك من شيعتك وشيعة أبيك؟ فواللهِ لو أنّ لي مثلهم ما وجّهت إلّا إليهم ولَذهبت إليهم. فقوّي عزمه.

وفي (الفصول المهمّة):

نعم، نفسي تحدّثني بإتيان الكوفة، وذلك أنّ جماعةً من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إليّ كتباً يحثّونني علي المسير إليهم، ويعدونني النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم، ووعدتُهم بالوصول إليهم، وأنا أستخير الله (تعالي) ((1)).

فعاد ابن الزبير ليدفع التهمة عن نفسه، فاقترح علي الإمام البقاء في مكّة، علي التفصيل الّذي مرّ معنا قبل قليل، فقال الإمام:

«ما شيءٌ من أمر الدنيا يُؤتاه أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز، لأنّه قد علم أنّه ليس له معي من الأمر شيء» ((2)).

1- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

2- أُنظر: جُمل من أنساب الأشراف للبلاذريّ: 5 / 315، تاريخ ابن خيّاط: 178، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقاتل الطالبيّين لأبي الفرج: 72، مروج الذهب للمسعوديّ: 3 / 65، نفَس المهموم للقمّي: 167، ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 28 / 203، مختصر ابن منظور: 12 / 190، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 4 / 170، تاريخ الخلفاء للسيوطي: 206، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 160، الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 186، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

*****

هـذه خلاصـة الأقـوال ومؤدّي الأخبـار في الاقـتراح الثالث، وكان بعض ما ورد حواراً دار بينهما، وكانت بعض ردود الإمام (عليه السـلام) يمكن أن تكون ردّاً علي هـذا الاقتراح أيضاً، من قبيل تأكيد الإمام (عليه السـلام) علي أن يُقتَل خارج مكّة بشبرٍ أحبّ إليه من أن يُقتَل فيها، بَيد أنّنا لم نذكرها هنا لأنّنا أتينا علي ذكرها قبل قليل، فلا نعيد.

ويمكن اختصار ما ورد في نصوص هذا الاقتراح من خلال الإنارات التالية:

الإنارة الأُولي: مكر ابن الزبير!

لم يكن ابن الزبير صادقاً ولا مخلصاً ولا ناصـحاً في ما تقدّم به من اقتراحٍ علي الإمام (عليه السـلام) ، سواءً أكان في اقتراحه المكث والبقاء في مكّة، أو المسير إلي العراق والتعجيل في الخروج من مكّة.

ص: 211

فهو علي فرض اقتراحه البقاء، فقد صـرّح سـيّدُ الشهداء (عليه السلام) بكذبه، واتّفق المؤرّخون علي ما شهد به سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأنّه كان كاذباً في زعمه، وكان يتمنّي خروج الإمام (عليه السـلام) سـريعاً عاجلاً، لأنّه لا يطيق وجود الإمام (عليه السـلام) وهو يعلم أن لا أحد يلتفت إليه مع إشراق مكّة بنور غرّة سيّد شباب أهل الجنّة الإمام الحسين (عليه السلام) .

وهو في هـذا الاقتراح ماكرٌ مخادعٌ مراوغٌ لا يُؤمن، ولا يصدر إلّا عن سـريرةٍ خبيثةٍ تحيك الشـرّ وتقذفه أين ما كان، فهو لا يريد للإمام (عليه السـلام) خيراً ولاـ يناصـحه فيمـا يقول، وإنّمـا يهيّئ لما تصـبو إليه نفسه الأمّارة بالسوء والفحشاء، إذ لو خرج الإمام (عليه السـلام) لارتاح وسـكنت نفسه الشـرّيرة وطـار فرحـاً حين تخلو له الحجـاز، ويشـهد له قول الإمام (عليه السـلام) : «ما شـيءٌ من أمر الـدنيا أحبّ إليه من خروجي عن الحجاز، لأنّه قد علم أنّه ليس له معي من الأمر شيء».

فهو غير ناصحٍ ولا مخلص للإمام (عليه السلام) علي كلّ حال.

الإنارة الثانية: قد يصدق ابن الزبير!

أجل، قد يصدق ابن الزبير في ما يزعمه من أنّه إن كان له أنصارٌ وشـيعةٌ فيالعراق لَعجّل المسير إليهم، لأنّه يفتقر إلي مَن يقبله ويقيم له وزناً، فهو وفق تصوّراته ومتبنّياته يبحث عن أنصار يخرجون معه لتحقيق مآربه الدنيويّة، ومثل هؤلاء يطمعون بأيّ ناعق.

فهو بلحاظ حثّ سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ومحاولة تقوية عزمه ـ فيما يزعم ـ، غير مخلصٍ ولا صادق، ولكن باعتبار أُمنياته الشخصيّة ومطامعه قد يصدق،

بحيث لو كان له أنصارٌ وشيعةٌ يستجيبون لدعوته ويقبلون مبايعته لَسارع إليهم مسارعة الغربان علي الجيف، والضباع والثعالب علي الفطائس.

الإنارة الثالثة: دواعي الحثّ

لقد كان ابن الزبير يغدو ويروح إلي الإمام (عليه السلام) ، ويشير عليه أن يقدم العراق ((1))، فهو لم يكتفِ بمرّةٍ أو مرّتين، وإنّما كان يُكثِر التردّد علي الإمام (عليه السلام) يحثّه علي الخروج إلي العراق، رغم علمه _ حسب ما يزعم _ أنّه إن قدم العراق يُقتل.

بَيد أنّه كان يذكر في بعض حديثه الدوافع والمسوّغات الّتي تدعوه إليالاقتناع بالعراق ومحاولاته لإقناع الإمام (عليه السلام) .

فمن جهة:

كان يري نفسه ويري في الإمام (عليه السلام) _ المقارنة منه، وليس للمقارنة معنيً هنا _ مِن أبناء المهاجرين وأُولي الأمر منهم، فهما _ كما يتوهّم ابن الزبير _ أحقّ بالأمر من يزيد، وهو صحيحٌ في الإمام (عليه السلام) ، وغلطٌ فادحٌ وزورٌ وقحٌ ودعويً فجّةٌ ممجوجةٌ تافهةٌ في ابن الزبير.

ص: 213

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 56، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 207، تهذيب ابن بدران: 4 / 328، مختصر ابن منظور: 7 / 138، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2608، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 415، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 341، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 162.

ومن جهةٍ أُخري:

فـإنّه يري أنّ للإمام (عليه السـلام) أنصاراً وشـيعةً يلحّون عليه للقـدوم عليهم، وهـذا ما يتمنّاه ابن الزبير، لـذا كان يعجب من الإمام (عليه السـلام) ويقول أنّه لو كان مكان الإمام (عليه السلام) لما تأخّر عنهم يوماً واحداً، وكان يعجب من الإمام (عليه السلام) ويستنكر عليه أنّه ما يمنعه من شيعته وشيعة أبيه!

وكان يزعم أنّه لو كان عنده ما للإمام (عليه السلام) في العراق لما توجّه إلّا إليهم، ولما تردّد في اختيار الوجهة الّتي سيتوجّه إليها.

وهذه الدوافع كلّها وفق موازين من يرنو للخروج بالمعني المصـطلح تُعَدّ موازيناً موفّقةً وحساباتٍ صـحيحة، لأنّ مَن يريد مقارعة السـلطان ومحاربة ولاته والاستيلاء علي مقدّراته يحتاج إلي أشـياع وأنصار، فلمّا لم يتهيأ له هذا الجمهور في مكّة، وتهيّأ في العراق والكوفة علي وجه التحديـد، فمن الأوفق والأصوب أن ينطلق نحوهم، قبل أن تخبو جـذوة التمرّد وتخفت جمرة الناسالمتوقّـدة، ويختنق أزيز غليان المراجل الفوّارة في أمواج هيجـان النـاس الثـائرة علي الواقع الرديء، وقبـل أن يتحوّل ألق الآمال اللائحـة في أُفق التغيير إلي رمادٍ يقضـي علي تلألؤ الشعارات المرفوعة من قبل الزبد المتراكم ضدّ الولاة والحاكم.

فهي فورة الناس وسورتهم، وهيجان العواطف الجيّاشة، وانتفاضة الجمهور الملتهبة الّتي قد تسـكن وتخمد وتنطفئ وتختفي بعد الاضطرام والتأجّج والثوران والهيجان لمجرّد حملةٍ كابحةٍ قامعةٍ من عساكر السلطان، وللوقت دوره في مثل هذه الأحيان.

فما يحتاجه ابن الزبير من أجل الوصول إلي المنال المنشود هو الأنصار والأشـياع، والبيئـة الّتي يمكن أن تسـتجيب له، فيناغيها ويخـدعها، وتناغيه فيغالبها، حتّي يركب أمواجها العارمة، ويصعد علي مناكبها فيرتقي ما يريد.

فهو ينطلق من دوافعه ونوازعه وبواعثه ومحركاته وأهدافه وغاياته وتصوّراته ومآلاته الّتي يرسمها لنفسه..

أمّا سـيّد الشهداء (عليه السلام) _ وحاشا سيّد الكائنات وأشرف الخلق بعد مَن استثناهم الله _ فليس في حسابه كلّ أوهام ابن الزبير، وليس في حركته ودوافعه شيءٌ ممّا يزوّقه ابن الزبير وينمّقه ويزخرفه لنفسه الدنيئة..

والفرق بين الحركتين بُعد المشـرقين، بل لا مشترك بينهما يمكن أن يجعلهما موضعاً للدراسة في نفس المحور.فسيّد الشهداء (عليه السلام) مطاردٌ ملاحقٌ مطلوب، قد هدروا دمه الزاكي المقدّس الّذي سـكن الخلد، في موقف الدفاع عن نفسه وأهله، لا يخطّط لشيءٍ ممّا يخطّط له مَن يريد الخروج علي السلطان والانقضاض علي الحكم والاستيلاء علي زمام المُلك!

الإنارة الرابعة: الأسباب الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام)

قال الإمام (عليه السلام) في مقام الردّ علي سؤال ابن الزبير أنّ نفسه المقدّسة تحدّثه أن يأتي الكوفة، أو أنّه عزم علي إتيان الكوفة، وقال:

«فإنّ شيعتي بها وأشراف أهل الكوفة كتبوا إليّ بالقدوم عليهم، وأستخير الله».

ص: 215

يبدو جليّاً لمن تأمّل النصّ أنّ الإمام (عليه السلام) قال: «شيعتي بها وأشراف أهل الكوفة كتبوا إليّ بالقدوم»، وفي نصّ ابن الصبّاغ: «جماعة من شيعتنا وأشراف الناس».

فميّز الإمام (عليه السلام) بين شيعته وبين الأشراف الّذين كتبوا إليه، وذكر الشيعة بياء النسبة، فنسبهم إليه، ولم يقل: إنّ لي فيها شيعة، أو أشياع، أو ما شاكل، وإنّما هم شيعةٌ خاصّون منسوبون إليه موجودون هناك!

فربّما كان الإمام (عليه السلام) يقصد من هذه النسبة، وعزلهم وفصلهم عن الأشراف الّذين كاتبوا، الإشارةَ إلي القليل الديّان الّذين وقفوا معه وذبّوا عنه وعن حرم وحريم الله ورسوله (صلي الله عليه و آله) ، ولم يقصد الزبد الطافح علي السطح يومذاك ممّنبايع ثمّ نكث وانقلب علي عقبيه.

وهؤلاء القلّة الديّانون هم الّذين قصدهم الإمام (عليه السلام) ، ويمّم نحوهم وتوجّه إليهم، وهم الّذين وعدوه النصرة والقيام معه وبذل أنفسهم وأموالهم، ووعدهم الإمام (عليه السلام) بالوصول إليهم.

وأمّا الأشراف الّذين كاتبوه، والمنضوون تحت أرديتهم، فإنّهم رغم ما يعلم منهم الإمام (عليه السلام) ، بَيد أنّهم أعلنوا النصرة والقيام معه وبذل أنفسهم وأموالهم في ظاهر دعواهم، فهم غير محسوبٍ عليهم، ولا معتدّ بهم بعد أن ضمن الإمام (عليه السلام) أُولئك الأطياب الأطهار من شيعته المخلصين الأبرار، وهو يعرفهم ويعلم مآلهم وعاقبتهم، بيد أنّهم في حساب مثل ابن الزبير معدودون، وفي الحسابات الظاهريّة المنظورة للجميع معدودون أيضاً، لذا كان الإمام (عليه السلام) يذكرهم لمن

سأله وكلّمه وحاوره، ومنهم ابن الزبير الّذي يتمنّي مثل هؤلاء المكاتبين.

الإنارة الخامسة: سبب التوجّه نحو العراق، لا سبب الخروج من مكّة

لا يخفي أنّ الإمام (عليه السلام) هنا ذكر سبب التوجّه نحو العراق دون غيره من البلدان، ولم يذكر سبب خروجه من مكّة، وفرقٌ كبيرٌ بين الأمرين!

فسبب خروجه من مكّة وتعجّل الخروج منها _ كما ذكرنا وسيأتي _ إنّما هو تجنّب أن يغتاله العدوّ في مكّة أو يأخذه أخذاً.

فهو يريد الخروج من مكّة علي كلّ حال، ليبتعد عنها ولو شبراً واحداً، أمّااختياره العراق دون غيره من البلدان، فكان لما ذكره من شيعته ومكاتبة أشراف الكوفة له.

الإنارة السادسة: الاستخارة

بالرغم من الأسباب الّتي ذكرها سيّد الشهداء (عليه السلام) للتوجّه نحو العراق، بَيد أنّه أكّد له أنّه سيقدم بعد الاستخارة.

فكأنّ هذه الأسباب الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) ليست هي العامل الوحيد، وهو يستخير ربّه ليقضي له، وقد خار الله له أن يتوجّه نحو كربلاء، وقلبُ الإمام (عليه السلام) مسكنُ إرادة الله وخيرته، وقد أتينا علي بحث الاستخارة في بحث ظروف الخروج من المدينة، فلا نعيد.

الإنارة السابعة: غباء ابن الزبير وجهله!

من غباء ابن الزبير _ وأمثاله _ وجهله وعدم معرفته بالرجال ولا برجال

ص: 217

الحقّ وأهل الولايـة الواجبـة المفروضـة، أنّه يتوهّم ويخال أنّه يمكنه أن يؤثّر علي الإمام (عليه السـلام) العالـم بالله والمسدَّد بروح القدُس، ويمكنه أن يقوّي من عزمه أو يزعزع إرادته ويفـلّ من تصـميمه، ويرجعه عمّا أزمع عليه، بحيث يكون كلامه مؤثّراً في الإمام (عليه السـلام) ومؤثّراً في موقفه..

إنّ ابن الزبير لو تطـاول مـا تطاول، واختال وتباهي، وتبختر وتجبّر، وتعجرف وتكبّر، وشـمخ وتغطرس وتنافـخ، وبلغ بغروره الخيلاء والزهو والصـلف، لا يسـتطيع أن ينظر إلي طرف أنفه، ولو نظر فإنّه لا ينظر إلّا بعينٍحولاء عوراء لا تميّز، والإمام (عليه السـلام) هو الإمام العالـم بما كان وما يكون وما هو كائنٌ بإذن الله وقدرته وفضله وفيضه ولطفه.

فليس لابن الزبير أن يكون له مطمعٌ بالإمام (عليه السـلام) ، وهو إنّما يجرؤ ويتحامل علي الإمام (عليه السـلام) بصـلافةٍ وصـفاقةٍ وانعـدام حياء، لأنّه جاهلٌ مغرورٌ بذيءٌ سـفيهٌ سليطٌ فاحشٌ طويل اللسان، أعمَتْه أمانيه وشهواتُه ونزعاته وهواه في السلطة ونيل الحكم عن كلّ رشدٍ ورزانةٍ ورصانةٍ وسدادٍ وصـحوةٍ وصواب، فكان هذا المغرور المعجَب بنفسه الشـرّيرة يتوهّم أنّه يمكنه أن يقول الصـحيح في حضـرة الفرقان الّذي به يميّز الله الحقّ من الباطل والصـحيح من الخطأ والسـقيم، أو أنّه يمكن أن يشير عليه بالصواب، أو يؤثّر علي عزمه فيقوّيه أو يضعفه، ويثبّته أو يزعزعه.

العرض التاسع: ابن الزبير يلحق الإمام!

رغم أنّنا ذكرنا فيما مضـي من خلال ما ورد في المتون التاريخيّة أنّ ابن الزبير لحق الإمام (عليه السـلام) والتقاه وكلّمه، بَيد أنّنا نريد الإشارة هنا إلي نكتةٍ مهمّة، وهي:

إنّ الإمام (عليه السـلام) لم يقصـد ابن الزبير ولم يستشـره ولم يكترث به، بل إنّ ابن الزبير هو الّذي لحق الإمام (عليه السـلام) ، وهو الّذي بـادر بالعروض والاقتراحات، حاله حال الآخرين ممّن التقي الإمام (عليه السـلام) وقصـده بقصـد النصـح، أو بقصـد الاعتراض،أو بقصـد الاستفسار والاستيضاح، أو بأيّ قصدٍ أو لأيّ غرضٍ آخَر.

فالإمام (عليه السلام) لم يحتجْ أحداً، ولم يستشر أحداً، ولم يطلب من أحدٍ شيئاً في هذا المجال، ولم ينتظر أحداً، أو يبني علي قول أحد.

وهذه المعلومة بنفسها نافعةٌ ومؤثّرةٌ جدّاً في فهم تحركات الآخَرين وفضولهم، ومغزي اقتراحاتهم وعروضهم، وتحركات سيّد الشهداء (عليه السلام) ووضوح المشهد كاملاً بين يديه.

ويفيد أيضاً غربة الإمام (عليه السـلام) غريب الغرباء، ومقدار ابتعاد أُولئك عن مسـتوي إدراكهم لموقف سـيّد الشـهداء (عليه السلام) ، وما يجري عليه من ملاحقاتٍ ومضايقاتٍ وتهديدٍ حقيقيّ لحياته العزيزة الّتي هي أعزّ شيءٍ في الخلق.

ص: 219

بين عبد الله بن جعفر والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام)

اشارة

ذكرت المصادر عدّة مواقف أو محاولاتٍ لعبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) حين أزمع الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) علي الخروج من مكّة متوجّهاً نحو العراق، ربّما يجد المتابع فيها شيئاً من التداخل نتيجة عرض المؤرّخ وطريقة نقله وصياغته للأخبار، ويمكن أن نقسّم النصوص الواردة فيها إلي أقسام:

ص: 221

القسم الأوّل: كتاب عبد الله بن جعفر للإمام الحسين (عليه السلام)

اشارة

نجد في نصوص هذا القسم نوعين:

أحدهما: اقتصر علي حكاية الخبر مقتضباً.

والآخر: ذكر شيئاً من التفصيل، كالموضع الّذي كتب منه الكتاب، ونصّ الكتاب وجواب سيّد الشهداء (عليه السلام) .

إبن سعدٍ ومَن تلاه:

وكتب عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ إليه كتاباً يحذّره أهل الكوفة، ويناشده الله أن يشخص إليهم.

فكتب إليه الحسين: «إنّي رأيتُ رؤياً، ورأيت فيها رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وأمرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، ولست بمُخبرٍ بها أحداً حتّي أُلاقي عملي» ((1)).

ص: 223

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:14 / 209، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 140، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 343، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.

الطبريّ، النويريّ، ابن كثير:

قال أبو مخنف: حـدّثني الحارث بن كعب الوالبيّ، عن عليّ بن الحسـين ابن عليّ بن أبي طالب قال: لمّا خرجنا من مكّـة، كتب عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب إلي الحسين بن علي مع ابنَيه عون ومحمّد:

أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفتَ حين تنظر في كتابي، فإنّي مشفقٌ عليك من الوجه الّذي توجّه له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكتَ اليوم طُفئ نور الأرض، فإنّك علَم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجل بالسير، فإنّي في أثر الكتاب، والسلام ((1)).

إبن أعثم:

وانتقل الخبر بأهل المدينة أنّ الحسين بن عليّ يريد الخروج إلي العراق، فكتب إليه عبد الله بن جعفر:

بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن عليّ من عبـد الله بن جعفر، أمّا بعـد، أُنشـدك الله أن لا تخرج عن مكّة، فإنّي خائفٌ عليك من هذا الأمر الّـذي قـد أزمعتَ عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنّك إن قُتلت أخاف أن يُطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدي وأمير المؤمنين، فلا

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.

تعجلْ بالمسير إلي العراق، فإنّي آخذٌ لك الأمان مِن يزيد وجميع بني أَميّة علي نفسك ومالك ووُلدك وأهل بيتك، والسلام.

قال: فكتب إليه الحسين بن عليّ:

«أمّا بعد، فإنّ كتابك ورد علَيّ، فقرأته وفهمت ما ذكرت، وأُعلمك أنّي رأيتُ جدّي رسول الله (صلي الله عليه و آله) في منامي، فخبّرني بأمرٍ وأنا ماضٍ له، لي كان أو علَيّ، واللهِ ـ يا ابن عمّي ـ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوني ويقتلوني، واللهِ ـ يا ابن عمّي ـ ليعدينّ علَيّ كما عدَت اليهودُ علي السبت، والسلام» ((1)).

الخوارزميّ:

واتّصل الخبر بالمدينة، وبلغهم أنّ الحسين عزم علي الخروج إلي العراق، فكتب إليه عبد الله بن جعفر الطيّار:بسم الله الرحمن الرحيم. للحسين بن عليّ من عبد الله بن جعفر، أمّا بعد، فإنّي أُنشدك الله أن تخرج من مكّة، فإنّي خائفٌ عليك من هذا الأمر الّذي قد أزمعتَ عليه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، فإنّك إن قُتلتَ خفتُ أن يُطفأ نورُ الله، فأنت علَم المهتدين ورجاء المؤمنين، فلا تعجلْ بالمسير إلي العراق، فإنّي آخذٌ لك الأمان من يزيد ومن جميع بني أُميّة لنفسك ولمالك وأولادك وأهلك، والسلام.

فكتب إليه الحسين:

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 115.

«أمّا بعد، فإنّ كتابك ورد علَيّ، فقرأته وفهمت ما فيه، اعلمْ إنّي قد رأيتُ جدّي رسول الله (صلي الله عليه و آله) في منامي، فأخبرني بأمرٍ أنا ماضٍ له، كان لي الأمر أو علَيّ، فو الله _ يا ابن عمّ _ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوني حتّي يقتلوني، وواللهِ لَيعتدُنّ علَيّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، والسلام» ((1)).

الشيخ المفيد:

وألحقه عبدُ الله بن جعفر بابنيه عَون ومحمّد، وكتب علي أيديهما إليه كتاباً يقول فيه:

أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفت حين تنظر في كتابي، فإنّيمشفقٌ عليك من الوجه الّذي توجّهتَ له أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وإن هلكتَ اليوم طُفئ نور الأرض، فإنّك علَم المهتدين ورجاء المؤمنين، ولا تعجل بالمسير، فإنّي في أثر كتابي، والسلام ((2)).

إبن الأثير:

قال: وأدرك الحسينَ كتابُ عبد الله بن جعفر مع ابنيه عَون ومحمّد، وفيه:

أمّا بعد، فإنّي أسألك بالله لمّا انصرفتَ حين تقرأ كتابي هذا، فإنّي

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216.

مشفقٌ عليك من هذا الوجه أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، إن هلكتَ اليوم طُفئ نور الأرض، فإنّك علَم المهتدين ورجاء المؤمنين، ولا تعجلْ بالسير، فإنّي في أثر كتابي، والسلام ((1)).

ابن شهرآشوب:

وكتب إليه عبد الله بن جعفر من المدينة في ذلك، فأجابه:

«إنّي قد رأيتُ جدّي رسول الله في منامي، فخبّرني بأمرٍ وأنا ماضٍ له، لي كان أَم علَيّ، واللهِ ـ يا ابن عمّ ـ لَيعتدينّ علَيّ كما يعتدياليهود يوم السبت». وخرج ((2)).

ابن الصبّاغ، الشبلنجيّ:

ثمّ إنه وردَت علي الحسين (عليه السلام) كتبٌ من أهل المدينة، من عند عبد الله ابن جعفر علي يدَي ابنيه عَون ومحمّد، ومن سعيد بن العاص ومعه جماعةٌ من أعيان المدينة، وكلٌّ منهم يشير عليه أن لا يتوجّه نحو العراق ولا يأتيه ولا يقربه، فليس له فيه مصلحة، وأن يُقيم بمكّة.

هذا كلّه والقضاء غالبٌ علي أمره، فلم يكترث بما قيل له، ولم يلتفت إلي ما كُتب إليه، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً ((3)).

ص: 227

1- الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 256.
2- مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 322 ـ بتحقيق: السيّد علي جمال أشرف.
3- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 187، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

إبن عبد ربّه، الباعونيّ:

وأرسل عبد الله بن جعفر ابنيه عَوناً ومحمّداً ليردّا حسيناً، فأبي حسين أن يرجع، وخرج ابنا عبد الله بن جعفر معه ((1)).

السماويّ:

ومرّ بوادي العقيق، ثمّ سار منه، فأرسل إليه عبدُ الله بن جعفر ابنيه،وكتب إليه بالرجوع، فلم يمتنع ((2)).

*****

يمكن أن نتابع ما ورد في هذه النصوص من خلال التذكير بعدّة أُمور:

التذكير الأوّل: ميزة نصّ ابن الصبّاغ

لقد امتازت جملةٌ من النصوص بالاختصار والاقتصار علي ذِكر أصل خبر الكتاب، وفي بعضها ذِكرٌ لجواب الإمام (عليه السلام) .

وامتاز من بين هذه النصوص المختصرة متنُ ابن الصبّاغ والشبلنجيّ، وهو ما سنقف عنده قليلاً، ونترك الباقي إلي حين الحديث عن باقي المتون لاشتراكها في المضامين.

يلفت الانتباه تعبير ابن الصبّاغ، إذ أنّه أفاد أنّ جماعةً هم الّذين كتبوا إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) ، منهم: سعيد بن العاص، وجماعة من أعيان المدينة، وعبد

1- العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 377، جواهر المطالب للباعونيّ: 2 / 264.

2- إبصار العَين للسماويّ: 6.

الله بن جعفر (رضي الله عنهما) .

فمَن هم هؤلاء الأعيان الّذين أشار إليهم؟

وذكر مؤدّي رسائلهم وكتبهم، واختصرها باتّفاقهم علي أمرٍ واحد، إذ كان كلٌّ منهم يشير عليه أن لا يتوجّه نحو العراق ولا يأتيه ولا يقربه، فليس له فيهمصلحة، وأشار عليه الجميع أن يقيم بمكّة!

رغم أنّنا لم نجد هذا الجوّ الّذي يصوّره ابن الصبّاغ عند غيره، حيث أنّ النصوص الأُخري لا تفيد أنّ جماعةً من أعيان المدينة أيضاً كتبوا في تلك الفترة، فربّما أراد ابن الصبّاغ أن يجمع كلّ مجريات الأحداث والمكاتبات في تلك الفترة، فكان من بين مَن كاتب جماعة.

وعلي العموم، فإنّ هجوم مَن يسمّونهم الأعيان والوجهاء وأصحاب الرأي واجتماعهم علي مكاتبة الإمام (عليه السلام) ، وتحذيره من التوجّه نحو العراق، يروم التوصّل إلي نتيجةٍ طبيعيّةٍ يخرج بها المتلقّي للخبر التاريخيّ، يوحي إليه عدم اكتراث الإمام (عليه السلام) بآراء العقلاء وأصحاب الرأي والأعيان، وإصراره علي المضيّ في الطريق الّذي أجمع الناس علي خطئه!!

ومن الغريب أنّ أحداً لم يُشِر إلي أنّ الإمام (عليه السلام) هو سيّد العقلاء وتاجهم _ بغضّ النظر عن الإمامة _، وهو أعرف بالمجتمع الكوفيّ والعراقيّ منهم جميعاً، وقد مارسهم وعالجهم.

والأغرب أنّ أحداً منهم لم يلتفت إلي الظروف المُحدِقة بالإمام (عليه السلام) والمخاطر الحقيقة المتنجّزة المحيطة به، ولم يصغُ أحدٌ منهم _ أو لم يرد ذلك _ إلي

ما يكرّره الإمام (عليه السلام) وتشهد به مجريات الأحداث من لزوم قتل الإمام (عليه السلام) قطعاً جزماً إن هو بقيَ في مكّة أو مكث فيها، ولو لأيّامٍ قلائل حتّي ينقضيالموسم.

وفوق ذلك كلّه، أن يصرخ هؤلاء جميعاً _ والكلام هنا لا يشمل عبد الله ابن جعفر (رضي الله عنهما) ! _ وينفخوا في نفس مزمار السلطة والسلطان، ويسعوا عن علمٍ أو عن غير علمٍ في ترويج ما يريد يزيد الخمور الترويج له، ويشاركوا في إقناع الإمام (عليه السلام) بما يحقّق غرض الأُمويّين وجرائهم المسعورة لتأخير الإمام (عليه السلام) في مكّة، ليتسنّي لهم اغتياله أو أخذه دون ضجيج، والقضاء عليه بسهمٍ غاربٍ في إحدي المشاعر، بل حتّي في المسجد الحرام.

إنّهم جميعاً ينظرون ويفهمون حركة الإمام (عليه السلام) وفق المنظار الأُمويّ، ويلوّنون حركته بالصبغة الّتي يريد القرد المسعور يزيد أن يصبغه بها، فيحسبون وفق حساباتهم وحسابات السلطة يومها، فيجدونه خارجيّاً متمرّداً _ والعياذ بالله، ونستغفر الله _ يقصد جماعةً خادعةً خاذلةً غدّارة، لها تاريخها في الانقلاب علي الحقّ وأهله ومعاداة أهل البيت (عليهم السلام) ، فيحذّرونه منهم، ويدفعون احتمالات الفشل أمامه.

وهم وِفق هذا التصوّر لا ـ يرون أنفسهم علي خطأٍ ولا يشكّون في صوابهم وصدقهم في ما يقولون، إن كانوا غير مشغّلين مِن قِبل العدوّ المسعور الّذي يتوثّب لملء أكراشه الجوفاء، المتعطّش للولوغ في الدماء الزاكية تشفّياً وثأراً للدماء العفنة.

ولو أنّ هؤلاء الأعيان _ كما يسمّونهم _ قد أنصتوا إلي سيّد الشهداء (عليه السلام)

لحظـة، وقبلوا منه كلامه وتفسـيره للخروج من المدينـة ومكّـة، لاقتضـي الواجب أن يكاتبوا يزيـد ويصـرفونه عن نيّته المشؤومة، ويحذّرونه العواقب الوخيمة الّتي تترتّب علي تهوّره وتمرّده وعزمه الأكيد وعتوّه علي الله ورسوله وأبناء رسوله (صلي الله عليه و آله) ..

فلو لم تكن مصلحة الإمام (عليه السلام) في إتيان الكوفة، فهل كانت في البقاء في مكّة؟!

إنّ في الكوفة قوماً يدفعون عنه، ويبذلون كلّ شـيءٍ في الذبّ عنه وعن أهل بيته، ولو كانوا قليلاً، وليس هذا القليل متوفّرٌ يومها لا في مكّة ولا في أيّ موضعٍ من أصقاع الأرض، فضلاً عن هتك حرمة البيت الآتي علي كلّ حال إن مكث الإمام (عليه السلام) فيه.

نكتفي هنا بهذا القدر، لنتابع مع باقي النصوص..

التذكير الثاني: انتشار خبر خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة في المدينة!

أفاد ابن أعثم والخوارزميّ وغيرهما ممّن تأخّر عنهما أنّ خبر خروج سـيّد الشهداء (عليه السلام) اتّصل بالمدينة وانتقل الخبر بينهم، وبلغهم أنّ الإمام الحسين (عليه السلام) عزم علي الخروج إلي العراق.

فكيف انتشر هذا الخبر؟

هل انتشر من خلال عيون السلطة وجواسيسهم الّذين كتبوا لوالي مكّة

والمدينة حينها (الأشدق)، فنشر الأخير الخبر لخدمة مصالحهم؟ أو أنّ الركبان هم الّذين نقلوا الخبر، ثمّ انتشر؟

وكم كان لهذا الخبر الّذي قد انتشر ـ حسب هذه النصوص ـ من أثرٍ في أهل المدينة عموماً؟ وماذا حرّك فيهم؟

وماذا فهم منه الناس يومئذ؟

هل فهموه وفق ما صرّح به سيّد الشهداء (عليه السلام) من أسباب لخروجه، وأنّه مهدَّدٌ في المدينة ومكّة، ولابدّ له من التوجّه إلي أيّ بلدٍ آخر يمكن أن يُبعِده عن عادية الذئاب، ويخلّصه من براثن مخالب القرود المسعورة، كما أفاد أيضاً كلام محمّد ابن الحنفيّة وغيره ممّن اقترح علي الإمام (عليه السلام) أن يخرج إلي أيّ أرض، ويلتحق بالجبال والبراري والقفار والكهوف والمغارات وشواطئ البحار إن نبَتْ به مكّة والمدينة؟!

أم أنّهم فهموه وفق ما روّج له السلطان وولاته من أنّ الإمام (عليه السلام) يريد الانقضاض علي الحكم والحكّام، ويبحث عن أنصار لتحقيق مآربه الدنيويّة ـ والعياذ بالله ـ، فلم تتوفّر له في المدينة ومكّة، فتوجّه نحو الدعوات والزعقات البائسة القادمة إليه من العراق تحملها رياح الغدر والخيانة؟

يبدو من مواقف الناس وكتب مَن يسمّونهم الأعيان أنّهم صرعتهم الحملات الدعائيّة، وومضات بريق البيضاء والصفراء، وزيف بهارج الدنيا وصديد مائها الراشح من تحت عروش السلاطين، وخدعتهم المظاهر المزيّفة الخلّابة المرسومة علي أسارير وجوه الغانيات والإماء والأزواج والأولاد ولذّات الدنيا..

ص: 232

لم نجد مَن استمع إلي كلام الإمام الحسين (عليه السلام) المظلوم، وأصغي إليه، وأدرك ما يعانيه ويقاسيه، واستشعر التهديد الّذي يلاحقه، والسيوفَ الّتي تترصّده، وعساكر الموت المنبعثة من أحقاد الأُمويّين الّتي تغشاه في كلّ لحظةٍ وفي كلّ مكان.. الأحقاد والضغائن ومشاعر الانتقام والثأر الّتي أقسموا بكلّ صنمٍ ووثنٍ نكّسه أبوه أمير المؤمنين (عليه السلام) وهشّمه جدّه رسول الله (صلي الله عليه و آله) إلّا أن يأخذوها من الرسول وآله، مهما كلّف الأمر!

التذكير الثالث: زمان ومكان كتابة الكتاب

صرّح ابن شهرآشوب ((1))، وأفاد جماعةٌ منهم ابن الصبّاغ والشبلنجيّ وابن أعثم والخوارزميّ ((2)): أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) كتب كتابه من المدينة بعد أن بلغه عزم سيّد الشهداء (عليه السلام) علي الخروج من مكّة.

وهذا يعني أنّه كان في الفترة الأخيرة من أيّام تواجد الإمام (عليه السلام) في مكّة،بحيث وصل الكتاب عند خروج الإمام (عليه السلام) ، أو بُعيد خروجه، فقد روي الطبريّ عن الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب (عليهم السلام) قال:

«لمّا خرجنا من مكّة، كتب عبدُ الله بن جعفر بن أبي طالب إلي

ص: 233

1- أُنظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 322 _ بتحقيق: السيّد علي جمال أشرف.

2- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

الحسين بن عليّ مع ابنيه عَون ومحمّد ...» ((1)).

ربّما كان ما رواه الطبريّ عن الإمام السجّاد (عليه السلام) في قوله: «لمّا خرجنا من مكّة كتب ...»، يعني الإخبار عن زمان وصول الكتاب.

وقال الشيخ السماويّ:

إنّ الكتاب وصل حين مرّ الإمام بوادي العقيق، ثمّ سار منه، فأرسل إليه عبد الله بن جعفر ابنيه، وكتب إليه بالرجوع ((2)).

وقد ذكر السيّد عليّ بن الحسين الهاشميّ (وادي العقيق) منزلاً بعد منزل بستان ابن عامر والتنعيم والصفاح ((3)).

ولا ندري من أين استقي العلّامة السماويّ _ رحمه الله، وحشره مع سيّد الشهداء (عليه السلام) _ هذه المعلومة، إذ أنّه لم يوثّقها، ويمكن لمن أراد الارتكاز إليها في بحثه أن يعتمد وثاقة الشيخ (رحمة الله) وتتبّعه وشهرته في التحقيق والتنقيب.وكيف كان، سواءً أكان كلام الإمام السجّاد (عليه السلام) يُخبر عن زمان وصول الكتاب أو كتابته، فإنّ جملة الأحداث والأخبار تفيد أنّ كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) وصل بيد الإمام (عليه السلام) بعد انطلاقه وخروجه من مكّة، وفي حساب القدَر المتيقّن فإنّه قد وصل حين الخروج متزامناً معه.

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.
2- إبصار العين للسماويّ: 6.
3- الحسين في طريقه إلي الشهادة للهاشميّ: 65.

التذكير الرابع: حامل الكتاب

إتّفقَت المصادر أنّ ابن جعفرٍ (رضـي الله عنه) أرسل كتابه بيـد ولـدَيه: عَون ومحمّـد، وهـذا يعني أنّهما (عليهما السـلام) كانا في المـدينة يومها، ولا ندري إن كانا قد خرجا مع الركب ثمّ رجعا إلي المدينة فحملا كتاب أبيهما، أو أنّهما كانا قد تأخّراً لأيّ سببٍ ثمّ خرجا بالكتاب.

ربّما كانا قد تأخّرا لسببٍ ما، ثمّ جعل أبوهما هذا الكتاب مسوّغاً يفسح المجال أمامهما للالتحاق بركب سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) من دون التعرّض لمضايقات الوالي وأذنابه، وقد يشهد لذلك أنّه أرسل الكتاب مع ولديه معاً، وكان بالإمكان أن يكتفي بأحدهما دون الآخر.

ويشهد له أيضاً تعبير الشيخ المفيد، إذ قال:

وألحقه عبد الله بن جعفر بابنيه عَون ومحمّد، وكتب علي أيديهما إليه كتاباً ...

فالغرض الأصليّ هو إلحاقهما، ثمّ إنّه كتب علي أيديهما.ويشهد له أيضاً التحاقهما بالركب حتّي الشهادة.

وربّما كان ابن جعفر (رضـي الله عنه) يريـد أن يتوثّق من حامل الكتاب الّـذي يمكن الاعتماد عليه والاطمئنان إليه، لينقل الكتاب من دون تحريفٍ ولا تأخيرٍ ولا أيّ خطرٍ يمكن أن يتهدّده.

ويمكن أن يُستشفّ من هـذا الخبر أنّ ابنيه كانـا شـابَّين رشـيدَين، يمكن الاعتمـاد عليهما في حمل الأمانـة وإيصال الكتاب والانطلاق به بمفردهما

ص: 235

ولوحدهما، في الزمن الصعب والظرف الخطير وملاحقات الأعداء واستنفار قوي الشرّ.

بل توحي عبارة ابن عبد ربّه والباعونيّ أنّهما كانا علي مستويً رفيعٍ من الوجاهة والرشد والمكانة عند سيّد الشهداء (عليه السلام) ، قالا:

وأرسل عبدُ الله بن جعفر ابنَيه عَوناً ومحمّداً، ليردّا حسيناً ((1)).

فعبارتهما تفيد أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) كلّف ولديه أن يباشرا هما (ليردّا حسيناً).

وهذا القول ينسجم مع حملهما الكتاب، فلا يبعد أن يكون قد كتب كتابه، وكلّفهما بهذه المهمّة أيضاً.

إلّا أن يقال: إنّ ابن عبد ربّه عبّر عن حمل الكتاب تكليفهما بالمهمّة، وهوبعيدٌ عن مؤدّي النصّ.

التذكير الخامس: نصّ كتاب ابن جعفر

اشارة

إقتصر بعض المؤرّخين علي اختزال ما ورد في كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) ، وعبّروا عن مضامينه بعباراتهم، فاكتفي ابن سعدٍ ومَن تلاه بقوله:

كتب إليه كتاباً يحذّره أهل الكوفة ويناشده أن يشخص إليهم.

وقد أشرنا إلي التحذير والنهي عن الخروج إلي العراق قبل قليل، فلا نعيد.

واكتفي بعضهم بقولهم أنّه كتب إلي الإمام (عليه السلام) فقط ((2)).

1- أُنظر: العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 377، جواهر المطالب للباعونيّ: 2 / 264.

2- أُنظر: المناقب لابن شهرآشوب: 10 / 322.

وروي آخرون الكتاب مفصّلاً، وسنتابعه فيما يلي من خلال اللفتات التالية:

اللفتة الأُولي: أدب عبد الله بن جعفر

روي ابن أعثم والخوارزميّ بداية الكتاب وشروعه بالبسملة، ثمّ قال:

للحسين بن عليّ من عبد الله بن جعفر ...

فهو قد قدّم اسم الإمام (عليه السلام) علي اسمه، وفي ذلك دلالةٌ واضحةٌ علي أدب ابن جعفر (رضي الله عنه) ، ومعرفته الراقية بإمامه ومقامه، ومعرفته السامية بأدب الخطاب مع العظماء، والتواضع بين يدَي رجال الله الّذين افترض الله طاعتهم.

أضِفْ إلي ذلك: ما يلوح من ثنايا الكتاب، ويبدو من عباراته وكلماته، ومايتدفّق منه من مشاعر وتوجّس، وما يجيش من بين سطوره من صدقٍ ونصيحةٍ وإخلاص، ما ينمّ عن تخوّفٍ ومحاولةٍ للاستبقاء علي الإمام (عليه السلام) ، ودفع القتل عنه بما يستطيع وما يراه ممكناً، رغم تسليمه للإمام (عليه السلام) ورضاه بما فعل ويفعل.

فهو يبدو في موقفه ومحاولاته وكتابه كأُمّ سلَمة الّتي قالت له ما مضمونه: لا تفجعني بخروجك يا بُنيّ، فقد أخبرني جدُّك أنّك مقتول، وأعطاني من التربة الّتي تُقتَل فيها.. وأمثالها من المسلّمين للإمام المؤمنين بما أخبر عنه النبيّ (صلي الله عليه و آله) واختاره سيّد الشهداء (عليه السلام) ، غير أنّهم يتوقّعون ممّن مكّنه الله وجعل قلبه مسكن إرادته ومدّه بالقدرة والقوّة والعلم والحكمة أن يفعل شيئاً بأيّ وسيلةٍ

من الوسائل الّتي جعله الله مسلّطاً عليها ليدفع القتل عنه، فإن كان، وإلّا فهُم سلمٌ لما يقول، وتسليمٌ لما يريد، ورضيً بما يفعل.

وسنعرف الكثير من مصاديق أدب هذا الرجل المهذّب المتأدّب بأدب آل أبي طالب من خلال ما ورد في كتابه هذا.

اللفتة الثانية: المناشدة

• إنّي أسألك بالله لمّا انصرفتَ حين تنظر في كتابي ((1)).• أُنشدك الله أن لا تخرج عن مكّة ((2)).

سؤالٌ ومناشدةٌ بالله أن لا يخرج الإمام (عليه السلام) عن مكّة..

ليس في الكتاب لغـة الآمِر الناهي، ولا لغـة النـدّ المخاطب، ولا لغـة المناقِش، ولا محاولـة إقناع المخاطَب بخطأ خياره، ولا الحديث عن أهداف الخروج والمحاسبة علي اتّخاذ القرار، وغيرها ممّا كنّا نسمعه في كلمات ابن عبّاس وابن عمر وغيرهما.

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 256.

2- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

إن هي إلّا مناشدةٌ وسؤال.. توسّلٌ وابتهال.. استعطافٌ والتماسٌ بتضرّعٍ ورجاء..

سؤال العاجز الّذي لا يري نفسه في ضراعته مؤهَّلاً ليقدم بنفسه، لذا توسّل بالله وناشد باسمه، وتقرّب به بين يدَي الإمام الناطق عن الله والصادر عن أمره.

وقد جعل لمناشدته أمداً محدوداً، لا يتعدّي الانتظار والمكث في مكّة حتّي يصل هو، لعلّه يفزع إلي وسيلةٍ تحقّق له غرضه بفعل ما يمكن فعله لدفعادية الوحوش الكاسرة..

فليس عند ابن جعفر (رضي الله عنه) ولا عند غيره موضعٌ علي وجه هذه البسيطة يمكن أن يُحيط الإنسان بهالةٍ من الحرمة والحفاظ والأمن مثل بيت الله الحرام.. إنّه البلد الآمِن الّذي جعله الله أمناً لكلّ مخلوق!

فهل يجد ابن جعفر (رضي الله عنه) موضعاً يمكن أن يطمئنّ به علي حياة الإمام (عليه السلام) مثل مكّة؟ لذا توسّل إليه أن لا يخرج منها حتّي يصل بنفسه إليها.

إستمهل الإمام (عليه السلام) مسافة الطريق، ومدّةً لا تزيد علي أيّام المسير من المدينة إلي مكّة..

بيد أنّ البقاء في مكّة أصبح وأمسي متعسّراً، بل متعذّراً علي الإمام (عليه السلام) ، إذ أنّهم لم يرعوا للحرم حرمته، ولا للإمام (عليه السلام) حرمته، وأقدموا علي قتل الإمام (عليه السلام) فيه وسفك دمه المقدّس، حتّي اضطرّ للخروج والتعجّل دون انتظار الموسم.

إنّ ابن جعفر (رضـي الله عنه) توسّل وناشـد الإمام (عليه السـلام) البقاء في مكّة لأسـبابٍ واضـحةٍ لم يخفها علي أحد، وقد أصـحر بها في كتابه، كما سنسمع في اللفتة التالية.

اللفتة الثالثة: دوافع المناشدة

اشارة

قال الطبريّ والشيخ المفيد وابن كثير وابن الأثير والنويريّ وجماعة:

فإنّي مشـفقٌ عليك من الوجه الّذي توجّه له أن يكون فيه هلاككواستئصال أهل بيتك، إنْ هلكتَ اليوم طُفئ نور الأرض، فإنّك علَمُ المهتدين ورجاءُ المؤمنين، فلا تعجلْ بالسير، فإنّي في أثر الكتاب، والسلام ((1)).

قال ابن أعثم:

فـإنّي خائفٌ عليك من هـذا الأمر الّـذي قـد أزمعتَ عليه أن يكون فيه هلاكك وأهل بيتك، فإنّك إن قُتلتَ أخاف أن يُطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدي وأمير المؤمنين ((2)).

قال الخوارزميّ:

فإنّي خائفٌ عليك من هذا الأمر الّذي قد أزمعتَ عليه أن يكون فيه

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندراني: 1 / 256.

2- الفتوح لابن أعثم: 5 / 115.

هلاكك واستئصال أهل بيتك، فإنّك إن قُتلتَ خفتُ أن يُطفأ نور الله، فأنت علَمُ المهتدين ورجاءُ المؤمنين ((1)).

*****يمكن تناول ما ورد في هذا المقطع من الكتاب من خلال التوضيحات التالية:

التوضيح الأوّل: الشفقة

الشَّفَقُ والشَّفَقَةُ: الحنان والرحمة والخوف من حلول المكروه، والعطف، وإزالة المكروه عن الناس.. أن يكون الناصِحُ من بُلوغِ النُّصْح خائفاً علي المَنْصوح.. وأَشْفَقْتُ عليه أن يناله مكروه.. والشَّفِيقُ: الناصح الحريص علي صلاح المنصوح ((2)).

يبدو أنّ الخوف المصرّح به في متن ابن أعثم والخوارزميّ هو نفسه هذه الشفقة الّتي رواها الطبريّ والشيخ المفيد وغيرهما.

ويمكن لقارئ النصّ أن يستشعر الإيقاع الوديع في كلمة (الشفقة)، وما تعبّر عنه ممّا يجيش في خاطر ابن جعفر (رضي الله عنه) ، والتوجّس الّذي يعيشه، والذعر الّذي ينتابه، والفَرَق الّذي يقاسيه، والروع الذي يروّع أحاسيسه، والوجل الذي يتحسّسه علي سلامة الإمام (عليه السلام) وحياته، والمخاطر الّتي تُحدِق به..

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.
2- أُنظر: المعجم الرائد، كتاب العين، لسان العرب: شَفَقَ.

يبـدو لائحـاً مـدى الحبّ الوافر، والحنان الفيّاض، والودّ الغزير المتـدفّق من كلمات ابن جعفر (رضـي الله عنه) ، الّـذي يُصـحِر عن الألم الممضّ الّذي ينهمر من بينسطور كتابه..

إنّه لا يعترض، ولا يقف ليمـدّ قامته إزاء قامـة الإمام (عليه السـلام) أبـداً، وإنّما يتوسّل حبّاً وحناناً، يرتجي أن يفعل شـيئاً ـ إن أذن له الإمام (عليه السلام) بذلك ـ، لعلّه يدفع القتل والمكروه عنه بما استطاع.

التوضيح الثاني: المقصود من الأمر في كلام ابن أعثم والخوارزمي!

ورد في نصّ ابن أعثم وتبعه الخوارزميّ قول ابن جعفر (رضي الله عنه) :

فإنّي خائفٌ عليك من هذا الأمر الّذي قد أزمعتَ عليه ... ((1)).

فهو خائفٌ أن يكون في هذا الأمر هلاك العترة الطاهرة بما فيها الإمام (عليه السـلام) ، ولابدّ من معرفة المقصود من (الأمر) الّذي أشار إليه النصّ، وإن كانت هي زيادة وردت عند ابن أعثم خاصّة، حسب ما توفّر لنا من النصوص في هذا المجال.

ويمكن معرفة المقصود من سياق الكتاب نفسه ومن جواب سيّد الشهداء (عليه السلام) .

يبدو أنّ المقصود هو: الخروج من مكّة والقتل، ويشهد له أنّه يتخوّف عليه من الأمر الّذي أزمع عليه في سياق دعوته للتريّث وعدم استعجال الخروج من

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 1 / 217.

مكّة، ويعده أنّه سيصل عمّا قريب، ويأخذ له الأمان من يزيد وبني أُميّةلنفسه وماله وأولاده وأهله.

وقد أجابه الإمام (عليه السلام) _ وفق نصّ ابن أعثم والخوارزميّ _ بالرؤيا، ثمّ أقسم له أن لو كان في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوه حتّي يقتلوه، وسيعتدُون عليه كما اعتدَت اليهود، فلا فائدة من انتظاره والتريّث والمكث في مكّة؛ لأنّهم سيقتلونه فيها، وستُهتَك حرمة البيت بدمه الزاكي.

فالأمر المشار إليه هو الخروج من مكّة الّذي سيؤدّي إلي القتل جزماً، إذ أنّ المكث في مكّة قد يوفّر نوع حمايةٍ تنتج عن حرمة البيت.

وكيف كان، فليس المقصود _ إذن _ من قوله: (الأمر) ما كان يقصده ابن الزبير وابن عبّاس، كما سمعناهما في ما سبق حين وقع النزاع بينهما، وليس هو الخروج بالمعني المصطلح، ولا غيره من المقاصد الأُخري، وإنّما هو الخوف عليه من القتل إذا خرج من مكّة، بقرينة السياق وجواب الإمام (عليه السلام) .

وربّما لاح ذلك بوضوح من التعبير الّذي رواه غيرهما من المؤرّخين: «إنّي مشفقٌ عليك من الوجه الّذي توجّه له»، وهو ترك مكّة والتوجّه نحو العراق، ليس إلّا.

*****

لا تجد في كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) أيّة إشارةٍ تشي بدعوة الإمام (عليه السلام) إلي اتّخاذ مكّة منطلقاً لحركةٍ خاصّةٍ بلونٍ خاصّ، أو أنّه قد فهم من حركة الإمام (عليه السلام) أنّه يبيّت لشيءٍ سوي سلب الذرائع من بين مخالب القرود المتوحّشة والذئاب

الجائعة، فهو لا يدعوه إلي استثمار المواقف في الحجّ، ولا يدعوه إلي التريّث حتّي يري ما يصدر به الناس، ولا يدعوه ليبثّ كتبه ورسله إلي الأصقاع ويدعو الرجال إلي نصرته، ولا يدعوه لشيءٍ ممّا دعاه إليه الآخرون!

التوضيح الثالث: دواعي الشفقة وأسبابها

اشارة

صرّح ابن جعفر (رضي الله عنه) في كتابه بالأسباب الّتي دعَتْه إلي هذه الشفقة، وأفزعته وغرزت المخاوف وأثارت التوجّس في أعماقه، وقد رتّبها علي مستويين، ينتج المستوي الثاني عن المستوي الأوّل.

المستوي الأوّل: الخوف من استئصال العترة الطاهرة

باح ابن جعفر (رضي الله عنه) عمّا يدور في خَلَدِه، ويقلقل أحشاءه، ويرتعش له قلبه، ويرتجف له كيانه، وصرّح أنّه مشفقٌ من أن يكون التوجّه إلي العراق سيؤدّي إلي قتل الإمام (عليه السلام) ، واستئصال أهل بيته.. «أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك» ((1)).نجد هنا ميزةً في كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) ترفع مقامه الرفيع، وتسمو بمنزلته

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 256، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216.

السامية، إذ أنّه لا يذكّر الإمام (عليه السلام) بغدر أهل الكوفة وتاريخهم، والخوف من الاغترار بوعودهم ومزاعمهم ومواقفهم المخزية مع أبيه وأخيه (عليهما السلام) ، كما فعل الآخرون، لأنّه يعلم أنّ ذلك لا يغيب عن الإمام (عليه السلام) ، ويعلم مع مَن يتكلّم، ويعلم أنّ الإمام (عليه السلام) لا يتحرّك بدافع الدعوات المتوجّهة إليه منهم؛ لاعتقاده بإمامته وافتراض طاعته، وأنّه لا يصدر إلّا عن الأمر الإلهيّ..

وهو من جهةٍ أُخري:

لا يري موضعاً يمكن أن يوفّر للإمام (عليه السلام) وأهل بيته الحماية ويراكم الحرمة ويشدّدها كما هي مكّة والبيت الحرام، فليس له وسيلةٌ أُخري يتشبّث بها ليعرضها بين يدَي الإمام (عليه السلام) .

لذا لا ـ نسمعه يقترح علي الإمام (عليه السلام) في هذا الكتاب الخروج إلي اليمن، أو اللحاق بالجبال والسهول وشواطئ المحيطات والبحار، والترحال في الصحاري والقفار، والتكاتب مع الناس وجمع الأنصار عبر الكهوف والمغاور والمخابئ، كما اقترح الآخرون الّذين افترضوا أنّ الإمام (عليه السلام) يريد الخروج بالمعني المصطلح، وأنّه يبيّت للإطاحة بيزيد وبني أُميّة أو ينوي مواجهتهم، وغيرها من الأغراض المزعومة.

إنّه يخاف أن يترك الإمام (عليه السلام) مأمنه في مكّة، ويتوجّه إلي بلدٍ يُقتَل فيه ويُستأصل أهلُ بيته، إذ أنّ البلد الآمن هو مكّة لا غير، بعد أن خذلَته المدينةوضيّعته وأسلمته.

وقد أخبره الإمام (عليه السلام) في جوابه أنّ مكّة الآمنة لجميع المخلوقات لم تعُدْ

آمنةً لآل محمّد (صلي الله عليه و آله) ، وأنّهم سيقتلونه علي كلّ حال، فلا خيار سوي الخروج من مكّة لئلّا تُهتَك حرمتها.

*****

إنّه يخشي من استئصال أهل بيت الإمام (عليه السلام) ..

وهنا أيضاً لا نجد في كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) ما يفيد أنّه يريد أن يحصد لنفسه شيئاً، ولا يجرّ لقرصه ناراً، ولا يهمّه سوي حياة الإمام (عليه السلام) وأهل بيته، فهو لا ينسب نفسه إلي أهل البيت (عليهم السلام) ، ولا يدّعي شيئاً لنفسه رغم أنّ ثقله وأهله وأولاده مع الإمام (عليه السلام) وفي ركبه، وهو ابن أبي طالب (عليه السلام) !

وفي كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) إشارةٌ واضحةٌ إلي أنّ أهل بيت الإمام (عليه السلام) كانوا في دائرة التهديد أيضاً..

المستوي الثاني: نتائج قتل الإمام (عليه السلام) !

اشارة

• إن هلكتَ اليوم طُفئ نور الأرض، فإنّك علَمُ المهتدين ورجاءُ المؤمنين ((1)).• فإنّك إن قُتلتَ أخاف أن يُطفأ نور الأرض، وأنت روح الهدي وأمير

ص: 246

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 256.

المؤمنين ((1)).

- فإنّك إن قُتلتَ خفتُ أن يُطفأ نور الله، فأنت علَمُ المهتدين ورجاءُ المؤمنين ((2)).

إنزعـج جماعـةٌ من خروج الإمام (عليه السـلام) وهجرته عن مكّـة، وبرّر كلٌّ منهم انزعاجه بما يراه مسوّغاً للانزعاج وعدم الرضـي، ودافعاً مقبولاً _ في زعمه _ للمعارضة والصدّ والمنع والأمر بالتريّث، أو الرجوع عن المشروع المفترض في أذهانهم البليدة، فقالوا:

إن خرجتَ فقُتلتَ ذلّ العرب!

إن خرجتَ قرّت عينُ ابن الزبير!

إن خرجت لا يمكن أن تُحقّق غرضاً ملحوظاً منظوراً مع توافر العدّة والعدد عند العدوّ!

وغيرهـا من الحسابـات الدنيويّـة، والنظرات الضـيّقة الّتي لا ـ تتّسع لإدراكـالواقع الّـذي يحيـط بالإمـام (عليه السـلام) ، ولا تنمّ عن اعتقاد المعترض بإمامة سيّد الشهداء (عليه السلام) وفرض طاعته، ممّا سمعناه من أمثال ابن عبّاسٍ وابن عمر وابن مطيع وابن الأصمّ وغيرهم..

فيما نجد ابن جعفر (رضي الله عنه) ينطلق من منطلقاتٍ تختلف تمام الاختلاف عن

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 115.
2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

منطلقات أولئك..

إنّه يخاف علي حياة الإمام (عليه السلام) المهدَّدة من قِبَل العدوّ، وفي حياة الإمام (عليه السلام) حياة العالم وحياة المؤمن، كما سيتّضح فيما يلي عندما نسمع ما يشفق عليه ابن جعفر (رضي الله عنه) :

الإشفاق الأوّل: الإشفاق علي نور الله

إنّه يخشي علي أهل الأرض وعلي الإيمان والمؤمنين..

فالإمام عنده ـ وهو الحقّ ـ نورُ الله في الأرض، فإن انطفأ هذا النور وخبا فسوف يعمّ الأرض وأهلها الظلام الحالك.. الدامس.. البهيم.. فلا نور لله في الأرض ولا هداية، ولا يبقي سوي الضلال..

فنور الإمام (عليه السلام) الأبيض الأغرّ الأقمر البهيّ البرّاق الساطع اللامع المنير المتلألئ المشرق إذا خبا وخمد، فلا نور في الأرض، ولا هداية، ولا دلالة علي الله..

يعني أنّ الأرض ستغرق في الظلام، ويعمّها الظلم والجور والعماية والدياجي والاضطهاد والضياع والتيه في الدياجير..إنّه يخشي علي مستقبل الأرض وأهل الأرض..

فالأرض الّتي ليس فيها نورٌ لله، لا حاجة لله فيها.. وهذا تعبيرٌ آخَر عمّا ورد كثيراً في أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أنّ الأرض لا تخلو من حُجّةٍ لله، ولو خلت من الإمام لحظةً لَساخت بأهلها، ولَانفرط عقد التكوين.. لأنّ الله قد خلق الخلق ليعبدون، وليبتليهم أيّهم أحسن عملاً، فإن قُتِل الأحسن عملاً،

فلا حاجة في الخلق المنكوس المتعوس بعده!

إنّه يخشي أن يُطفأ نور الله في الأرض..

يا لها من كلمةٍ بعيدة الغور.. عميقة المغزي.. عظيمة الدلالة.. جزيلةٍ ثمينةٍ نفيسة.. توفّرت علي قصرها من المعاني والدلالات ما يملأ القراطيس، إن أراد المتلقّي شرحها واستيعاب ما أشارت إليه وأوحت به..

إنّه يعتقد أنّ الإمام خامس أصحاب الكساء (عليه السلام) هو نور الله في الأرض، به يُخرج اللهُ الناس من الظلمات إلي النور بإذنه، فهو السبب الّذي جعله الله لهداية عباده، فكان علَم المهتدين، به يستنقذ الله العباد من الضلالة وحيرة الجهالة..

الإشفاق الثاني: فقدان علم المهتدين

إنّه يخشي ويُشفق علي الإمام (عليه السلام) ، إذ هو علم المهتدين..

فإذا قُتل (عليه السلام) فقَدَ المؤمنون المهتدون عَلَمهم ودليلهم ومرشدهم، وتفرّق جمعهم، وتشتت أمرهم.. فهو عَلَمهم وعِلْمهم.. هو إمامهم الّذي سيُدعَون به في الدنيا والآخرة، ويُحشَرون تحت علمه ولوائه ورايته في الدنيا والآخرة.إنّه يخشي علي علم المهتدين وخامس الخمسة الميامين الّذين فخر بهم الروح الأمين، وباهل الله بهم المباهلين..

فابن جعفر (رضي الله عنه) يعتقد بانحصار الهداية في الإمام (عليه السلام) ، وأنّها لا تكون إلّا إذا كان المهتدي تحت لوائه مقتدياً به، ومستدلّاً به وسالكاً طريقه..

وعلم الهداية لا يخطأ، ولا يعتريه الشكّ والتردّد، كيف وقد طهّره الله

تطهيراً، وجعله هادياً وعلماً ونوراً ودليلاً لخلقه..

يعني إنّه يعتقد بعصمة الإمام (عليه السلام) ، وفرض طاعته، ووجوب اتّباعه..

إنّه لا يخشي أن تقرّ عينُ ابن الزبير إذا خلّي الإمام (عليه السلام) له مكّة، فاستغلّها فرصةً للوصول إلي مآربه الدنيويّة، ولا يهمّه أن تسخن عين ابن الزبير أو ترضي.

ولا يهمّه إن كان يزيد يريد للإمام (عليه السلام) أن يبقي في مكّة، فيقتنص فرصة وجوده ليغتاله أو يأخذه أخذاً، ويوفّر عليه تبعات حربٍ لا يُعرف مداها..

ولا ـ يهمّه أيّ شيءٍ آخَر سوي أن يحمي نور الله ليستضيء به أهل الأرض، ويُبقي علم الهداية خفّاقاً عالياً مرتفعاً يسترشد به الأقربون والأبعدون، ويجعلونه وسيلةً إلي الله فيرجوه ولا يخافون.

الإشفاق الثالث: فقدان رجاء المؤمنين

إنّه يخشي علي المؤمنين أن يفقدوا رجاءَهم.. لأنّه رجاء المؤمنين.. أملهم والمؤمّن روعتهم..الرجاء يرادف الأمل والابتهال والاسترحام والاستعطاف والاستغاثة والتضرّع والتطلّع والتوسّل والرغبة..

رجاء المؤمنين.. هو أملهم في الدنيا والآخرة.. بهذا الأمل يحيون، وبهذا الأمل يموتون، وبهذا الأمل يحشرون بين يدَي الله، وبهذا الرجاء والأمل يتقدّمون للوقوف بين يدي الله إذا خافوا ممّا قدّمت أيديهم..

إنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) يُشفِق ويخشي علي رجاء المؤمنين أن يتحوّل إلي

ابتئاسٍ وتَيهٍ وسأم وضجر وقنوط ويأس.. وليست هذه من صفات المؤمن، فلا يبقي مؤمنٌ حينئذٍ إذا فقد الأمل والرجاء..

الإشفاق الرابع: روح الهدي وأمير المؤمنين!

إتفق جميع المؤرّخين الّذين نقلوا الكتاب علي رواية قوله: «رجاء المؤمنين»، عدا ابن أعثم قال: «أمير المؤمنين»!

فهو إمّا خطأ نسّاخ.

وإمّا يقصد أمير المؤمنين بمعني أنّه رئيس المؤمنين وأميرهم يومها، لا بالمعني المصطلح الّذي حصره النبيّ (صلي الله عليه و آله) بأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليهما السلام) ، ونهي الأئمّةُ المعصومون (عليهم السلام) عن مخاطبتهم به؛ لاختصاصه بأبيهم الأعظم (عليه السلام) ، وهو احتمالٌ بعيد.

أو أنّ ابن أعثم استعمل هذا اللقب وفق متبنّياته وأدبيّاته وطريقته في التعبير، كما هو دأبه في كتابه، وقد قالها علي لسان المولي الغريب مسلم (عليه السلام) فيمناظرته ومحاجحته مع ابن زياد في القصر، وفي غيرها من المواضع، وقد أتينا علي مناقشة ذلك في موسوعة المولي الغريب (عليه السلام) ، فلا نعيد.

وفي قوله: «روح الهدي» دلالةٌ عميقةٌ علي مدي إيمان ابن جعفر (رضي الله عنه) ومعرفته بالإمام سيّد الشهداء وخامس أصحاب الكساء (عليه السلام) ، وإن كانت الكلمة تحمل نفس الروح الّتي تحملها كلمة: «علم المهتدين» مع ما فيها من إيحاءاتٍ إضافيّة.

ولو سُلب الهدي روحه لغدا جثّةً هامدةً لا حراك فيها ولا تأثير، ولمات

الهدي ومات أهلُه.

اللفتة الرابع: لا تعجلْ بالسير!

فلا تعجل بالسير، فإنّي في أثر الكتاب ((1)).

طلب ابن جعفرٍ (رضي الله عنه) من الإمام (عليه السلام) أن يتمهّل ولا يستعجل في الخروج من مكّة، وربّما كان هذا الاستمهال بدافع التخطيط للبحث عن طريقٍ يمكن أن يسلكه ابن جعفر (رضي الله عنه) للاستئمان والتأثير علي يزيد وبني أُميّة.ويشهد لذلك ما قد ذيّل به كتابه في رواية ابن أعثم والخوارزميّ، حيث صرّح بذلك، ووعد الإمام (عليه السلام) أن يأخذ له الأمان من يزيد ومن جميع بني أُميّة له ولماله ولوُلده وأهل بيته ((2)).

يُلاحَظ هنا أنّ استمهال ابن جعفرٍ (رضي الله عنه) للإمام (عليه السلام) إنّما هو محاولةٌ لفعل شيءٍ ما للدفاع عن الإمام (عليه السلام) ، كما سنسمع تفاصيله في اللفتة القادمة، وليس فيه منعٌ مطلَقٌ ونهيٌ مؤكّدٌ عن أصل الخروج، ولا تخطئةٌ لما اختاره الإمام (عليه السلام) ، ولا دعوةٌ للبقاء والمكث والإقامة الدائمة في مكّة، ولا اقتراحات لتوظيف الإقامة

ص: 252

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 387، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 276، نفَس المهموم للقمّي: 172، معالي السبطين للمازندرانيّ: 1 / 256.

2- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217.

في مكّة، ولا غيرها ممّا اعتاد الآخرون طرحه بين يدَي الإمام (عليه السلام) والاعتراض عليه ونصب أنفسهم أعلاماً مهلهلة أمام العلَم الّذي نصبه الله للعالمين.

اللفتة الخامسة: أسباب الدعوة إلي التريّث

اشارة

- فلا تعجل بالمسير إلي العراق، فإنّي آخذٌ لك الأمان من يزيد وجميع بني أُميّة علي نفسك ومالك، ووُلدك وأهل بيتك، والسلام ((1)).
- فلا تعجل بالمسير إلي العراق، فإني آخذٌ لك الأمان من يزيدومن جميع بني أُميّة لنفسك ولمالك وأولادك وأهلك، والسلام ((2)).

نجد في كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) هنا ميزات عدّة:

الميزة الأُولي: تشخيص المُعتدي!

هنا ميزةٌ أُخري في كلام ابن جعفر (رضي الله عنه) :

لقد اعتدنا سماع نغمةٍ واحدةٍ كأنّها تُقرأ علي لوح أنواطٍ نضّده لهم فريقٌ مشترك، وأمضاه لهم ملحّنٌ واحدٌ يجيد العزف علي طبول الحرب وشرب الدماء الزاكية.

سمعنا من ابن عبّاسٍ وابن عمر وغيرهما ممّن اعترض علي الإمام (عليه السلام) كلامهم، ومحاولاتهم البائسة الّتي كانت ترمي إلي كفّ الإمام (عليه السلام) عن الخروج علي السلطة! وتثبيط عزمه، وتقديم البدائل الناجعة والمؤثّرة والمثمرة في رأيهم

1- الفتوح لابن أعثم: 5 / 115.
2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

لما اختاره الإمام (عليه السلام) .

فهم يرون في الإمام (عليه السلام) مهاجِماً يخطّط للانقضاض علي الحكم والحكّام والسلطة والسلطان، ويبيّت لمحاربة عساكر الملك والإطاحة بمُلكه، والتعرّض لولاياته وولاته، فهو البادئ، وهو المهاجم، وهو المتمرّد، أو ما يسمّونهباصطلاحهم: الخارجيّ، والعياذ بالله من هذه الكلمات الجريئة غير المؤدّبة، غير أنّ ضرورة البحث تقتضي نقل ما يفوه به أُولئك ويفكّرون به ويبرزونه علي ألسنتهم.

فيما نجد في طريقة عرض عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) إيقاعاً جديداً ونغمةً وادعةً تنمّ عن فهمٍ عميق، وإدراكٍ دقيق، واستيعابٍ ضافٍ واف، ومعرفةٍ وتقديرٍ صائبٍ للظروف والأوضاع.

إنّه لم يستمهل الإمام (عليه السلام) ولم يكلّمه ليكفّه عن الخروج علي السلطة، وإنّما عزم علي الكلام مع يزيد وبني أُميّة، لأنّه عرف أنّ المشكلة والعناد والإصرار علي ارتكاب الجريمة والتوغّل في الجناية والتشفّي والثأر لدماء الجاهليّة العفنة والانسياق مع وساوس الانتقام والحقد من جهتهم، وهم الّذين يريدون قتل الإمام (عليه السلام) ، وليس هو الإمام (عليه السلام) الّذي يهدّدهم، بخلاف ما ورد في كلام غيره!

إنّه أدرك ووعي وفهم وقرأ الواقع كما هو، فعلم أن لا ـ حاجة تدعوه ليحاول مع الإمام (عليه السلام) ليكفّ عن أُولئك الأوغاد، فليس هو الإمام (عليه السلام) الّذي قد قصدهم وهدّدهم، وإنّما الحاجة تدعوه للكلام مع الوحوش الّتي تريد أن تملأ أكراشها وأجربتها من أوصال سيّد شباب أهل الجنّة (عليه السلام) ، فاستمهله ريثما

يتكلّم معهم ويحاورهم ويناقشـهم، لعلّهم ينزلوا عن شـجرة القرود المتوحّشة المسـعورة، ويعرضوا عن الإمام (عليه السلام) ليلهوا بقيانهم ودنانهم.

لـذا جاء جواب الإمام (عليه السـلام) علي غرار كلام ابن جعفر (رضـي الله عنه) ، فأكّد له أنّهسوف (لا، ولم، ولن) يتركوه بتاتاً، ولو كان في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوه وقتلوه، ولَاعتدوا عليه كما عدَت اليهودُ في يوم السبت، كما روي ابن أعثم والخوارزميّ.

الميزة الثانية: بذل ما بوسعه للدفاع عن الإمام (عليه السلام)

يشـهد لما قـدّمنا أنّ ابن جعفرٍ (رضـي الله عنه) أرسل ثقله وأولاده مع الإمام (عليه السـلام) ، لأنّه يعلم أنّهم وإمامهم مهدَّدون، وهو يعلم كذلك أنّ خروج الإمام (عليه السـلام) إلي العراق سيؤدّي إلي قتله، سواءً من خلال ما سمعه من الإخبارات النبويّة والعلويّة وغيرها، أو من خلال قراءة الواقع والنظرة الثاقبة الّتي اكتشف بها نوايا العدوّ المفضوحة.

فالإمـام (عليه السـلام) مهـدَّد، والطـاغوت وأذنابه يلاحقونه علي كلّ حال، وحيثما كان، فلابـدّ له من الخروج من مكّـة، ولابـدّ لابن جعفر (رضـي الله عنه) أن يدفع عن إمامه بما استطاع، إن كان بمحاولاته وتوظيف نفوذه عند الأُمويّين ووجاهته، أو بالذبّ عنه بأولاده وجعل أهله وزوجه معيناً ومساعداً..

وقد وظّف ابن جعفر (رضـي الله عنه) كلَّ ما توفّر لديه من وسائل للذبّ عن الإمام (عليه السلام) ، فاستمهله ليكلّم الطواغيت، ويدخل هو بنفسه علي خطّ تحذيرهم وتخويفهم وصدّهم ومنعهم من الإقدام علي قتل ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وآله (عليهم السلام) ،

كما دفع عنه بيديه من خلال أولاده، وواساه وأعانه وحضر بين يديه فيكلّ لحظةٍ من لحظات كربلاء من خلال زوجه ومفخرته عقيلة الطالبيّين بنت أمير المؤمنين شريكة الحسين زينب الكبري (عليهم السلام) .

الميزة الثالثة: التهديد شاملٌ من جميع الأُمويّين

إنّه استمهل الإمام (عليه السلام) حتّي يأخذ له الأمان! لا من يزيد فقط باعتباره الحاكم يومئذ، وإنّما يأخذ له الأمان من بني أُمية أيضاً.. «فإنّي آخذ لك الأمان من يزيد وجميع بني أُميّة».

من جميع بني أُميّة! فالتهديد الّذي يُحدِق بالإمام (عليه السلام) ليس من يزيد وحده، وإنّما هو من يزيد وبني أُميّة.. تماماً كما سمعنا فيما رواه لنا التاريخ من موقف مروان وإصراره علي قتل الإمام (عليه السلام) في المدينة، ومواقف غيره من ذئاب الأُمويّين..

فالأُمويّون جميعاً يلاحقون سيّد الشهداء (عليه السلام) وريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وما يزيد إلّا عنوانٌ وحامل رايةٍ باعتباره صاحب الملك والسلطان والآمر الناهي الّذي تطيعه العساكر والجحافل، والمتحكّم بالخزائن وبيوت الأموال.

الميزة الرابعة: التهديد الشامل لأهل البيت (عليهم السلام)

ثمّ إنّ التهديد لم ينحصر في شخص سيّد الشهداء (عليه السلام) _ حسب ما ورد في كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) _، وإنّما هو يشمل أموال الإمام (عليه السلام) ووُلده وأهل بيته، إذ أنّه وعد أن يأخذ الأمان لشخص الإمام (عليه السلام) ولأمواله ووُلده وأهل بيته.

يذكّرنا كلام ابن جعفرٍ (رضـي الله عنه) هذا بقول الإمام غريب الغرباء (عليه السلام) لأبي هرّةالأزديّ حين قال له: «إنّ بني أُميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت» ((1)).

فالإمام (عليه السـلام) مهدَّدٌ على كلّ صـعيد، وأهله وعياله مهدَّدون أيضاً، وقد باشروا في تنفيذ تهديداتهم، فأخذوا ماله وشتموا عرضه، ولم يبقَ إلّا القتل ليهنؤوا، وتهتزّ أعطافهم جذلاً وسروراً، ويستنهضوا فطائسهم ليهلّوا فرحاً بقضاء ديونهم من النبيّ (صلي الله عليه و آله) .

وفي كلام ابن جعفر (رضـي الله عنه) هذا وتصـريحه بأخذ الأمان لأهل الإمام (عليه السـلام) ووُلده من جميع بني أُميّة إشارةٌ واضحةٌ تفيد في فهم سـبب إخراج الإمام (عليه السـلام) ثقله وأهله معه، وعـدم تركهم في المدينة أو مكّة، وسـنأتي على بيان ذلك في محلّه، إن شاء الله (تعالى).

اللفتة السادسة: التحذير من أهل الكوفة

صرّح ابن سـعدٍ وابن عساكر وابن بـدران وابن منظور وابن العـديم والمزّيّ والـذهبيّ وابن كثير ومَن تلا ابن سـعدٍ وروى عنه، أنّ عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما)

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 13، الأمالي للصدوق: 153 بسـندٍ عن الإمام زين العابدين (عليه السلام) ، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 226، مثير الأحزان لابن نما: 23، اللهوف لابن طاووس: 70، إثبات الهداة للحرّ العامليّ: 2 / 573، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 314، العوالم للبحرانيّ: 17 / 163، نفَس المهموم للقمّي: 183.

كتب كتاباً يحذّر الإمام الحسين (عليه السلام) أهل الكوفة ((1)).

وقال الشيخ ابن شهرآشوب: كتب إليه عبدُ الله بن جعفر من المدينة في ذلك. أي: في تحذيره من التوجّه نحو الكوفة، كما يدلّ عليه السياق، لأنّه ذكر ذلك بعد أن ذكر اعتراض جملةٍ من المعترضين، ونهيهم الإمام (عليه السلام) وتحذيرهم له من التوجّه إلي الكوفة ((2)).

وقد أتينا علي ذِكر التحذير من أهل الكوفة قبل قليل، فلا نعيد، سوي أنّنا ننوّه هنا علي عجلٍ إلي إشارةٍ منهجيّةٍ تفيد في قراءة النصّ التاريخيّ:

نلاحظ عند قراءة متن الكتاب الّذي رواه المؤرّخون أنّ ابن جعفرٍ (رضي الله عنه) لم يصرّح في كتابه بتحذير الإمام (عليه السلام) من أهل الكوفة، بل لم نجد للكوفة وأهلها ذكراً في الكتاب، وقد اكتفي بمناشدة الإمام (عليه السلام) وسؤاله أن لا يخرج من مكّة، وأنّه مشفقٌ عليه من الوجه الّذي أزمع التوجّه له، وأنّه يخاف علي الإمام (عليه السلام) القتل واستئصال أهل بيته.

وهذا شيءٌ غير تحذير الإمام (عليه السلام) من أهل الكوفة، فالإشفاق عليه من

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر:14 / 209، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 140، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 343، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.

2- أُنظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 322.

القتل الناتج عن سماع الأخبار النبويّة والعلويّة وغيرها، والتوسّل إليه ـ كتوسّل أمّ سلَمة ـ ومحاولة استبقاء الإمام (عليه السلام) في مكّة لأنّها الحرم الآمن ريثما يتكلّم مع المعتدين شيء، والتحذير من أهل الكوفة وغدرهم الّذي لا يخفي علي الإمام (عليه السلام) شيءٌ آخر.

وزاد ابن الصبّاغ أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) وجماعة الأعيان في المدينة كلّاً منهم كان يشير علي الإمام (عليه السلام) أن لا يتوجّه نحو العراق ولا يأتيه ولا يقربه، فليس فيه مصلحة ((1)).

فثَمّة فرقٌ كبيرٌ بين ما رواه هؤلاء كفهمٍ خاصٍّ بهم لكتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) من دون رواية نصّه، وبين نصّ الكتاب.

لذا قد تقتضي الضرورة أن لا ـ يعتمد المتلقّي علي فهوم المؤرّخين وانتزاعاتهم، فكلٌّ منهم يصيغ الخبر وفق مؤهّلاته ونوازعه ونزعاته وتصوّراته ومعتقداته ومتبنّياته، وغيرها من المؤثّرات الّتي تؤثّر علي الكاتب والراوي.

التذكير السادس: جواب الإمام (عليه السلام)

اشارة

يمكن متابعة جواب الإمام (عليه السلام) علي كتاب صهره وابن عمّه من خلال الأجوبة التالية:

1- أُنظر: الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 187، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

الجواب الأوّل: لم يذكر جواباً

لم يذكر الطبريّ والشيخ المفيد وابن الأثير وغيرهم ممّن تبع نصّ الطبريّ جواباً للإمام (عليه السلام) ، وإنّما استمرّوا في سرد الأحداث، ولا ندري ما هي العلّة الّتي منعَت من متابعة الحدَث عندهم؟

فهل أنّهم أخّروا الجواب إلي ما يلي من أحداث متعاقبة، وجعلوا ما حدث بعد وصول ابن جعفر (رضي الله عنه) إلي مكّة جواباً؟

أو أنّهم لم يقفوا علي الجواب؟

أو أنّ الطبريّ استنبط من استمرار الإمام (عليه السلام) في حركته نحو العراق إباءً ورفضاً للكتاب، أو أنّه أراد أن يُوحي للمتلقّي عدم اكتراث الإمام (عليه السلام) بكتاب ابن عمّه؟!

وتبعه الآخَرون بنقل النصّ عنه.

ولعلّ هذا الأخير هو الّذي عبّر عنه ابن الصبّاغ وتبعه الشبلنجيّ: «فلم يكترث بما قيل له، ولم يلتفت إلي ما كتب إليه» ((1)).

الجواب الثاني: «قرأتُ الكتاب وفهمت»..

إفتتح الإمام (عليه السلام) الكتاب بقوله:«أمّا بعد، فإن كتابك ورد علَيّ، فقرأتُه، وفهمتُ ما ذكرت،

ص: 260

1- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 187، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.

وأعلمك ...».

كما في نصّ ابن أعثم والخوارزميّ ((1)).

وهذا يشهد بخلاف ما قاله ابن الصبّاغ، ويفيد أنّ الكتاب قد وصل بيد الإمام (عليه السلام) ، وقد قرأه واهتمّ بما فيه، ثمّ أجابه جواباً يكشف عن مدي معرفة ابن جعفر (رضي الله عنه) وصواب رأيه ودقّة نظره، إذ أنّ توجّس ابن جعفر (رضي الله عنه) وإشفاقه كان علي علمٍ وصوابٍ لمعرفته بخطط العدوّ وإقدامه علي الحرمات، ولم يُنكِر علي الإمام (عليه السلام) خروجه، وإنّما حاول استبطاء الانطلاقة ريثما يَقدِم هو، فربّما استطاع أن يمنع وقوع القتل في مكّة وفي غيرها.

لذا لم يردّ عليه الإمام (عليه السلام) بما ردّ به غيره حين قال: «لئن أُقتَل خارج مكّة بشبرٍ أحبّ إليّ مِن أن أُقتَل فيها»، بل أجابه بما سنسمعه بعد قليلٍ من التسليم لأمر الله ورسوله (صلي الله عليه و آله) ، وعزم العدوّ علي تنجيز ما خطّط له، وأنّه سوف لا يفلت من مخالب القرود المسعورة والذئاب المتوحّشة، فلا مجال للاستمهال والتريّث.

الجواب الثالث: الرؤيا!

أخبر الإمام (عليه السلام) ابنَ جعفرٍ (رضي الله عنه) عن رؤيا رأي فيها رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وقدأمره بأمرٍ هو ماض، له كان أو عليه، وأنّه ليس بمُخبِرٍ بها أحداً حتّي يلاقي عمله ((2)).

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

2- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209، تهذيب ابن بدران: 4 / 330، مختصر ابن منظور: 7 / 140، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، تاريخ الإسلام للذهبيّ: 2 / 343، سيَر أعلام النبلاء للذهبيّ: 3 / 199، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163، الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 322 _ بتحقيق: السيّد علي جمال أشرف، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173.

هذا هو مجمل ما ورد في النصوص عن الرؤيا الّتي أخبر عنها أصدقُ الخلق الإمام الحسين (عليه السلام) .

وقد تكرّرت الرؤي طيلة فترة المسير من المدينة إلي كربلاء، فقد رأي جدّه في المدينة قبل الخروج منها، ورآه في مكّة قبل الخروج منها، ورآه في الطريق إلي كربلاء، ورآه في كربلاء.. فكان النبيّ (صلي الله عليه و آله) مع فلذة كبده والجلدة بين عينيه زَين السماوات والأرضين دائماً أيّام غربته وتشرّده وملاحقة الأعداء له.

ولسنا ندري ما هي الرؤيا بعد أن قال الإمام (عليه السلام) أنّه لا يُخبِر بها أحداً حتّي يلاقي عمله، أي: لا يخبر بها أحداً إلي يوم القيامة.غير أنّ ثمّة أمراً يمكن استشعاره من كلمات الإمام (عليه السلام) الّتي تلت الإخبار عن الرؤيا، إذ أنّه أخبر عن (أمرٍ) هو ماضٍ فيه، وقد خرج من مكّة، فلابدّ أن يكون الخروج من مكّة هو تنفيذٌ وتعبيرٌ للرؤيا.

وربما كان في الإرجاع إلي الرؤيا إشعارٌ للمتلقّي أنّ ما يصدر عنه الإمام (عليه السلام) وما يفعله إنّما هو بأمر الله وأمر رسوله (صلي الله عليه و آله) ، فهو في طاعة ربّه ونبيّه (صلي الله عليه و آله) ، وليس

هو أشِـراً ولا بطراً ولا إفساداً ولا ظلماً.. وهو تأكيـدٌ وتركيزٌ علي البُعد الربّانيّ الإلهيّ المعصوم، والبُعد الغيبيّ في كلّ حركةٍ وسكنةٍ صدرت عنه (عليه السلام) .

وكأنّ في الإرجاع إلي رؤيا النبيّ (صلي الله عليه و آله) تطييبٌ لخاطر ابن جعفر (رضي الله عنه) ، وإقناعه وتسكين روعته، والتلويح باحترامه وتقديره والالتفات إلي مناشدته، فكأنّه يلوّح لابن جعفر (رضي الله عنه) أنّك سألتني وناشدتني، وقد سمعتُ لك، وتبيّن قصدُك، بَيد أنّ النبيّ (صلي الله عليه و آله) قد أمرني بأمر، ولابدّ أنّك تعتقد وتؤمن بتقديم أمر النبيّ (صلي الله عليه و آله) علي سؤالك، فكأنّه اعتذر إليه عن عدم الاستجابة بمَن هو أَولي منهما معاً.

الجواب الثالث: «لو كنتُ في جُحر هامّة»!

لقد سمعنا قول الإمام (عليه السلام) :

«واللهِ ـ يا ابن عمّ ـ لو كنتُ في جُحر هامّةٍ من هوامّ الأرض لَاستخرجوني حتّي يقتلوني، وواللهِ ليعتدُنّ علَيّ كما اعتدَت اليهودفي يوم السبت» ((1)).

قاله لابن عمّه ابن جعفر (رضي الله عنه) ، وقاله لابن عبّاس، وقاله لغيرهما، وقد أتينا علي شرحه، فلا نعيد.

ونكتفي هنا بالإشارة إلي ضرورة الإصغاء إلي هذا القول المتكرّر من

1- أُنظر: الفتوح لابن أعثم: 5 / 115، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 217، مقتل الحسين (عليه السلام) لبحر العلوم: 173، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 10 / 322 ـ بتحقيق: السيّد علي جمال أشرف.

الإمام (عليه السلام) في مواضع ومواطن شتّي ولأفراد مختلفين، فإنّها كلماتٌ واضحةٌ جليّةٌ بيّنةٌ صريحةٌ مؤكّدةٌ لم تأتِ عابرة، وإنّما تشير إلي حقيقةٍ وواقع كان يمارسه الأعداء ويلهثون من أجل تحقيقه، فلا يمكن أن نغبّش مشهداً واضحاً، ونرجرج الصورة الواضحة اللائحة الّتي يرسمها الإمام (عليه السلام) ، ونشيح بالنظر عن تحرّكات العدوّ الّتي أخبر عنها الإمام (عليه السلام) أكثر من مرّة.

الجواب الرابع: أبي ولم يمتنع

هذا الجواب يرتكن إلي اختزال المؤرّخ للحدَث، وإخباره عمّا جري من خلال اختصار الحوادث وكبسها في عبارةٍ من صياغته حسب فهمه، اقتصاراً علي ذِكر النتيجة الّتي تمخّض عنها كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) وجواب الإمام (عليه السلام) ، إذ كانت النتيجة أنّ الإمام (عليه السلام) خرج ولم يتمهّل.فقال ابن الصبّاغ الّذي زعم أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) لم يكن وحده الّذي كتب إلي الإمام (عليه السلام) ، وإنّما كان معه الوالي وجماعة من أعيان المدينة: فلم يكترث بما قيل له، ولم يلتفت إلي ما كتب إليه ((1)).

وقال ابن عبد ربّه والباعونيّ: فأبي حسين أن يرجع ((2)).

وقال الشيخ السماويّ: وكتب إليه بالرجوع، فلم يمتنع ((3)).

ص: 264

1- الفصول المهمّة لابن الصبّاغ: 187، نور الأبصار للشبلنجيّ: 258.
2- العِقد الفريد لابن عبد ربّه: 4 / 377، جواهر المطالب للباعونيّ: 2 / 264.
3- إبصار العين للسماويّ: 6.

وربّما كان المشـهد واضـحاً أشدّ الوضوح لمن تابع الأحداث، وقرأ بيانات الإمام سـيّد الشهداء (عليه السلام) وتصريحاته، فمن الطبيعيّ أن يأبي الإمام (عليه السلام) ولم يمتنع من الخروج، إذ أنّ أيّ تأخيرٍ كان يعني هتك حرمة الدم الزاكي وهتك حرمة البيت الحرام، ولم يحتمل الموقف التأخير يوماً أو يومين، حتّي ينتهي الموسم.

وقد أتينا علي بيان ذلك في مواضع كثيرةٍ من هذه الدراسة، فلا نعيد.

ص: 265

القسم الثاني: محاولة ابن جعفر (رضي الله عنه) مع عمرو بن سعيد

اشارة

الطبريّ، النويريّ:

قـال: وقـام عبـد الله بن جعفر إلي عمرو بن سـعيد بن العـاص فكلّمه، وقـال: اكتبْ إلي الحسـين كتابـاً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلي ذلك فيرجع.

فقال عمرو بن سعيد: اكتبْ ما شئت، وأْتِني به حتّي أختمه.

فكتب عبد الله بن جعفر الكتاب، ثمّ أتي به عمرو بن سعيد، فقال له: اختمْه، وابعث به مع أخيك يحيي بن سعيد، فإنّه أحري أن تطمئنّ نفسه إليه ويعلم أنّه الجِدّ منك. ففعل.

وكان عمرو بن سعيد عامل يزيد بن معاوية علي مكّة ((1)).

ص: 267

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 172، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410.

قال: فلحقه يحيي وعبد الله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيي الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: «إنّي رأيتُ رؤياً فيها رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وأُمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، علَيّ كان أو لي».

فقالا له: فما تلك الرؤيا؟ قال: «ما حدّثتُ أحداً بها، وما أنا محدّثٌ بها حتّي ألقي ربّي» ((1)).

الشيخ المفيد، المجلسيّ (رحمهما الله) :

وصار عبد الله إلي عمرو بن سعيد، فسأله أن يكتب للحسين أماناً ويمنّيه ليرجع عن وجهه، فكتب إليه عمرو بن سعيد كتاباً يمنّيه فيه الصلة ويؤمنه علي نفسه، وأنفذه مع أخيه يحيي بن سعيد ((2)).

فلحقه يحيي وعبد الله بن جعفر بعد نفوذ ابنَيه، ودفعا إليه الكتاب، وجهدا به في الرجوع، فقال: «إنّي رأيتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله) في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له». فقال له: فما تلك الرؤيا؟ قال: «ما حدّثتُ أحداً بها، ولا أنا محدّثٌ حتّي ألقي ربّي (عزوجل) ».

فلمّا أيس منه عبد الله بن جعفر، أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومهوالمسير معه والجهاد دونه، ورجع مع يحيي بن سعيد إلي مكّة ((3)).

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.
2- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216.
3- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 238، أسرار الشهادة للدربنديّ: 247.

الطبرسيّ (رحمة الله) :

ولحقه عبدُ الله بن جعفر بكتاب عمرو بن سعيد بن العاص والي مكّة مع أخيه يحيي بن سعيد يؤمنه علي نفسه، فدفعا إليه الكتاب، وجهدا به الرجوع، فقال: «إنّي رأيتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله) في المنام، وأمرني بما أنا ماضٍ له». قالا له: فما تلك الرؤيا؟ فقال: «ما حدّثتُ بها أحداً، ولا أُحدّث حتّي ألقي ربّي (عزوجل) ».

فلمّا يئس عبد الله بن جعفر منه، أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد دونه، ورجع هو ويحيي بن سعيد إلي مكّة، وتوجه الحسين (عليه السلام) نحو العراق ((1)).

إبن الأثير:

وقيل: وقام عبد الله بن جعفر إلي عمرو بن سعيد، فقال له: اكتبْ للحسين كتاباً تجعل له الأمان فيه، وتمنّيه فيه البرّ والصلة، واسألْه الرجوع.وكان عمرو عامل يزيد علي مكّة، ففعل عمرو ذلك، وأرسل الكتاب مع أخيه يحيي بن سعيد ومع عبد الله بن جعفر.

فلحقاه، وقرئا عليه الكتاب، وجهدا أن يرجع، فلم يفعل، وكان ممّا اعتذر به إليهما أن قال: «إنّي رأيتُ رؤيا، رأيتُ فيها رسول الله (صلي الله عليه و آله) ،

1- إعلام الوري للطبرسيّ: 230.

وأَمرتُ فيها بأمرٍ أنا ماضٍ له، علَيّ كان أو لي». فقالا: ما تلك الرؤيا؟ قال: «ما حـدّثتُ بها أحـداً، وما أنا محـدّثٌ بها أحـداً حتّي ألقي ربّي» ((1)).

إبن كثير:

ثمّ نهض عبد الله بن جعفر إلي عمرو بن سعيد _ نائب مكّة _ فقال له: اكتبْ إلي الحسين كتاباً تجعل له فيه الأمان، وتمنّيه في البرّ والصلة، وتوثّق له في كتابك، وتسأله الرجوع، لعلّه يطمئنّ إلي ذلك فيرجع.

فقال له عمرو: اكتبْ عنّي ما شئت، وآتِني به حتّي أختمه.

فكتب ابن جعفر علي لسان عمرو بن سعيد ما أراد عبد الله، ثمّ جاء بالكتاب إلي عمرو، فختمه بخاتمه، وقال عبد الله لعمرو بن سعيد: ابعثْ معي أمانك. فبعث معه أخاه يحيي.فانصرفا حتّي لحقا الحسين، فقرئا عليه الكتاب، فأبي أن يرجع، وقال: «إنّي رأيتُ رسول الله (صلي الله عليه و آله) في المنام، وقد أمرني فيها بأمرٍ وأنا ماضٍ له». فقالا: وما تلك الرؤيا؟ فقال: «لا أُحدّث بها أحداً حتّي ألقي ربّي (عزوجل) » ((2)).

*****

تتحدّث هذه المتون عن محاولةٍ قام بها عبد الله بن جعفر (رضـي الله عنهما) بهدف إقناع الوالي ليكتب أماناً لسيّد الشهداء (عليه السلام) ، وما جري في أثناء ذلك من

ص: 270

1- الكامل لابن الأثير: 3 / 277.

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.

أحداثٍ سنكتشفها من خلال تسليط بعض الأضواء عليها:

الضوء الأوّل: قيام ابن جعفر (رضي الله عنه) إلي الوالي

أفاد الطبريّ، ثم لحقه بعض مَن جاء بعده:

إنّ عبـد الله بن جعفر قام إلي عمرو بن سـعيد والي المدينـة ونهض وصار إليه فكلّمه ((1)).وقد أشـرنا باقتضابٍ فيما سبق إلي هذا الموقف الشجاع والواعي الّذي يدلّ علي عُمق فكرة ابن جعفر (رضي الله عنه) ونظره الصائب الثاقب، والدلالة البعيدة المدي الّتي كشفت عن نباهة ابن جعفر (رضـي الله عنه) ودقّته في تقـدير الأوضـاع وتحليل الحوادث، والتعبير عنها بوعيٍ وذكاء، يُلقي في روع المتلقّي ما يـدعوه للتأمّل بعمقٍ لتشخيص موقف العدوّ وموقف سيّد الشهداء (عليه السلام) .

ما رأيناه لحدّ الآن من مواقف المعترضـين علي سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) وإمام السـعداء _ كابن عبّاس وابن عمر وغيرهما _ أنّهم كانوا يلومون سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) ، ويحاولون إقناعه لينصرف عن التوجّه نحو العراق باعتباره قد خطّط وعزم علي القيام بحركةٍ ذات لونٍ وطابعٍ خاصّ، كانوا يطلقون عليها في

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 277، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.

تلك العصور ب-- (الخروج)، فكانوا يقترحون عليه أن يتربّص ويتريّث ويمكث في مكّة ريثما يتمكّن من جمع الرجال والعدّة والعدد، ويستكمل النظر في جوانب الأمر من كلّ حيث، ليوفّر جميع عوامل النصر والظفر حسب الحسابات المنظورة.

فهم قد فهموا موقف الإمام خامس أصحاب الكساء من خلال تصوّراتهم وانتزاعاتهم وخلفيّاتهم وسوابقهم الذهنيّة والعقليّة والنفسيّة، وغيرها من المؤثّرات في إدراك المواقف وتحليل المشاهد، فاعتبروا الإمام (عليه السلام) مهاجِماً قد بيّت لأمرٍ ما _ كما يحسبونه _ للانقضاض علي السلطة والسلطان، أو القيام بعملٍ يمكن أن يثير الواقع الراكد والمجتمع الخامد السامد الهامد الميّت، أولأيّ هدفٍ أو غرضٍ آخر يفيد ابتداء سيّد الشهداء (عليه السلام) بالهجوم والتخطيط للتحرّك من أجل تفعيل النوايا المبيّتة وتنفيذها.

وقد امتاز موقف ابن جعفر (رضي الله عنه) عمّن مرّوا بنا لحدّ الآن، إذ أنّه لم يقرأ في حركة الإمام (عليه السلام) علي جغرافيا المدن والبلدان من المدينة إلي مكّة ومن مكّة إلي العراق كما فهم المعترضون، وإنّما عرف وتحقّق أنّ المشكلة تكمن في نوايا العدوّ القذرة، وعزمه علي إطفاء نور الله في الأرض والإطاحة بعلَم المهتدين، وتحويل رجاء المؤمنين إلي يأسٍ وقنوط، وهو يعلم أنّ الله يأبي إلّا أن يُتمّ نوره، بَيد أنّ ذلك لا يمنعه من القيام بواجبه في الدفاع عن إمام زمانه وكهف الوري ونور الله!

لذا توجّه إلي الإمام (عليه السلام) يتوسّل إليه أن يتريّث ولا يتعجّل الخروج من

مكّة، فهي الموطن الأفضل للأمن والأمان، رغم أنّ بني أميّة لا تردعهم تلك الحرمات من تنفيذ مخطّطاتهم، وتفعيل أحقادهم وأضـغانهم، ولكنّ هذا هو المستطاع الّذي يمكن أن يوظّفه المؤمن.

ويشـهد لمـا ذكرناه من فهم ابن جعفر (رضـي الله عنه) أنّه لم يكلّم الإمام (عليه السـلام) في كتابه هـذا، ولا في موقفه هـذا، سواءً أكان مع الإمام (عليه السـلام) أو مع الوالي، ولم يلوّح إلي شيءٍ ممّا صرّح به غيره كالعبدين ابن عبّاس وابن عمر وغيرهما من التريّث حتّي يستحكم الأمر أو يتوثّق من أهل الكوفـة الغـدرة الّـذين قتلوا أباه (عليه السـلام) وطعنوا أخاه (عليه السـلام) ، ولم يشـر إلي جمع الرجال وبثّ الدعاة وإرسـال الكتبوالرسل إلي الأطراف، ولم يحـذّره من القوّة والعـدّة والعـدد الّتي سـيواجهه به العـدوّ، وما شاكل ذلك ممّا يفيـد أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) قد انتزع من موقف الإمام (عليه السلام) صورةً تفيد أنّ الإمام (عليه السلام) ينوي الهجوم!

بـل علي العكس تمامـاً، يتّضـح من انطلاـقه نحو الوالي وقيـامه إليه أنّه قـد عرف أنّ الخطر يكمن حصـراً في قصور الخبال، والوحوش الّتي تختفي تحت تخوت السلطان والولاة والأذناب والذئاب المتعطّشة لشرب الدماء الزاكية.

فهو لم يخطّئ الإمام (عليه السلام) في خروجه، كما فعل ابن عبّاسٍ وابن عمر وغيرهما، إذ أنّه يعلم أنّ العدوّ يغدر بالإمام (عليه السلام) في مكّة وفي غير مكّة، ويقتله كيفما اتّفق وسنحت الفرصة، فالخطيئة تكمن في وجودات العفن الأُمويّ.

قام إلي الوالي فكلّمه.. ولم يكلّم الإمام (عليه السـلام) في كتابه إلّا بالقدر الّذي يسابق به الزمن، لعلّه يبني جداراً وسوراً يحمي به آل رسول الله (صلي الله عليه و آله) من

الوحوش المسعورة الّتي تتوثّب لتمزيق أوصالهم واستئصالهم.

فليس ابن جعفر (رضي الله عنه) معترضاً علي الإمام (عليه السلام) ، ولا مخطّئاً، ولا لائماً، وإنّما كان مسلّماً راضياً، يسعي للقيام بواجبه في الدفاع والذبّ عن الإمام (عليه السلام) بما يراه منتجاً، ولو علي نحو الاحتمال، فقام إلي الوالي..

ولم نسمع _ لحدّ الآن _ أنّ أحداً من المعترضين ابتدأ الوالي بذلك أو كاتب يزيد ابتداءً!

إنّه موقفٌ امتاز به ابن جعفر (رضي الله عنه) اقتضي أن نركّز عليه، ونعود له مرّةً بعدأُخري.

الضوء الثاني: مطالب ابن جعفر (رضي الله عنه) من الوالي

ذهب ابن جعفر إلي والي مكّة.. إلي الجبّار العنيد، فكلّمه ((1))، وطلب منه أن يكتب للإمام (عليه السلام) كتاباً يضمّنه ما يلي:

أوّلاً: يجعل له الأمان ويؤمنه علي نفسه.

ثانياً: يمنّيه البرّ والصلة.

ثالثاً: يوثّق له في كتابه.

رابعاً: يسأله الرجوع.

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 172، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410.

خامساً: أن يرسل الكتاب مع أخيه؛ ليكون أكثر توثيقاً ((1)).

المهمّ في هذه المطالب الخمسة هو المطلب الأوّل، والباقي كلّها عبارةٌ عن توثيقاتٍ وتأكيداتٍ له.المطلب الأوّل، هو أن يؤمنه علي نفسه!

أي: أنّ سيّد الكائنات وأشرف الخلق لم يكن في أمان، وهو في مكّة الحرم الإلهيّ الآمِن!!

هذا هو الباعث الرئيس الّذي دعا الإمام الحسين (عليه السلام) لتعجيل المسير والخروج من مكّة، إذ أنّه صرّح في غير موقفٍ وفي أكثر من مناسبةٍ ولقاءٍ وموطنٍ أنّه لا يسعه المكث في مكّة مهما كانت المدّة قصيرة، بل لا يسعه أن يمكث حتّي ينقضي الموسم، لأنّه إن فعل اغتالوه أو أخذوه أخذاً!

لقد أهاج الأُمويّون كلّ شيءٍ في مكّة علي الإمام (عليه السلام) ، وجعلوا القتل والاغتيال يكمن له في كلّ لحظةٍ وآن، وتحت كلّ حجرٍ ومدر، ووراء كلّ جدارٍ وشجر، وفي أرجاء المسجد الحرام وتحت ستار الكعبة وداخل الحجر..

يمكن أن يكون المنفّذ أيّ فردٍ من أفراد الحجّاج، وفي أيّ سكّةٍ أو زقاق، وبين الحِجر والمقام، وخلف أُسطوانات المسجد، وفي مني وعرفات والمزدلفة

ص: 275

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 172، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحراني: 17 / 216، الكامل لابن الأثير: 3 / 277.

والجواد والطرقات..

ليس في مكّة وضواحيها مترٌ آمِن، ولا لحظةٌ من الزمان آمنة، ولا فردٌ من أفراد الحجّاج آمن، فلا أرض تقلّه ولا سماء تظلّه..

فربّما حمل الهواء سهماً غارباً ينطلق من مجهول.. في مكانٍ مجهول.. ليصرع الإمام (عليه السلام) ..

أو يتكاثر عليه الهمج الرعاع والغوغاء، فيُؤخَذ أخذاً، ثمّ لا يتدخّل أحدٌ منالولاة، ولا يبعد أن يكون خروج الأشدق من مكّة في تلك الفترة ومكثه في المدينة _ رغم التهاب الأحداث في مكّة _ لهذا الغرض، ليقع ما يقع والوالي ليس في مكّة، فله أن يتنصّل عمّا حدث، ويعتذر بغَيبته عن موضع الأحداث!

*****

إنّ الإمام الحسين (عليه السلام) دخل مكّة مستأمِناً مستجيراً بالله، لائذاً عائذاً به وببيته، وقد صرّح بذلك للأشدق نفسه ولغيره، كما مرّ معنا، وهذا يعني أنّه لم يكن قد بادر إلي أيّ نشاطٍ يمكن أن يهيج شيئاً في البيت الحرام، وهو أعرف الخلق بحُرمة البيت، ولم يبدر منه ما يمكن أن يكون ذريعةً للعدوّ ليهجم عليه، ولو كان قد بدر منه شيءٌ لَهاجمه العدوّ علانية، تماماً كما فعل مع ابن الزبير، وهو لا يري للحرم حرمة.

مكّة هي الحرم الآمن، وقد دخلها الإمام (عليه السلام) مستأمناً مستجيراً لائذاً عائذاً، فأيّ حاجةٍ للأمان؟!

لو لم يكن الإمام (عليه السلام) في خطر، ولو لم يكن العدوّ قد بيّت له القتل والاغتيال في الحرم، لما احتاج ابن جعفرٍ (رضي الله عنه) أن يستأمنه للإمام (عليه السلام) ، وقد أكّد الإمام (عليه السلام) ذلك في أكثر من موطن.

ويشهد لذلك ما جاء في كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) ، إذ يقول: لعلّه يطمئنّ لذلك!

*****أجل، قد يكون استبطاء الإمام (عليه السلام) وتأخيره من صالح العدوّ الّذي كان يسابق الزمان أيضاً ليقضي علي الإمام (عليه السلام) في مكّة بشكلٍ مبهمٍ وغامض، كما صرّح الإمام (عليه السلام) نفسه بذلك، وحينئذٍ سيستجيب لطلب ابن جعفر (رضي الله عنه) فوراً.

ولابن جعفر (رضي الله عنه) أن يستفيد من هذه الفرصة، ليهدّأ روعه، لأنّه أخذ موثقاً من القوم أن لا يتعرّضوا للإمام (عليه السلام) ما دام في مكّة، فيكون أمان الله وأمان البيت الحرام، وعهد القوم الغدرة الكفرة الفجرة.

بَيد أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) ربّما كان يري في هذا التأخير نوع فرجٍ يمكن أن يتدخّل هو وغيره للكلام مع أولاد البغايا والقرود وجِرائها، لعلّهم يصرفونهم عن قتل الإمام (عليه السلام) بأيّ وسيلة، ولأيّ سببٍ قد يُقنعهم ويخمد نيران مراجل الضغينة والحقد والانتقام الّتي تغلي في أعماقهم، وتتزوّد وقودها من قبور فطائسهم وجيفهم الموقودة في القليب، ولو إلي حين! هذا من جهة.

ومن جهةٍ أُخري:

فإنّه إن أخذ منهم الأمان مكتوباً، فقد أقام عليهم الحجّة وأتمّها، فإن

أقدموا علي نكث العهد والأمان، فإنّه قد أعذر، لتستحكم عليهم الحجّة، وليثبت للعالم والتاريخ أنّهم هم الّذين أقدموا علي قتل الإمام الحسين (عليه السلام) من غير جرم، ويسلب الذرائع منهم أمام الله والناس والتاريخ.

الضوء الثالث: مَن كتب الكتاب؟!

روي المؤرّخون كتاب الأشدق للإمام (عليه السلام) ، غير أنّ العبارة المشهورة تفيد أنّ عمرو بن سعيد الأشدق نفسه كتب الكتاب، إلّا الطبريّ ومن تبعه، فإنّه أفاد أنّ الأشدق كلّف ابن جعفر (رضي الله عنه) أن يكتب ما يرضيه وما يراه صالحاً، ويأتيه بالكتاب ليختمه بختمه، فكتبه ابن جعفر (رضي الله عنه) وختمه الأشدق ((1)).

ومَن تابع نصّ الطبريّ بالخصوص يراه يسوق الحدَث بشكلٍ بحيث يوحي بوضوح للمتلقّي أنّ الكتاب الّذي حمله ابن جعفر (رضي الله عنه) ويحيي بن سعيد هو نفسه الّذي كتبه ابن جعفر (رضي الله عنه) علي لسان الأشدق.

بَيد أنّ ما أفاده الطبريّ يخالف مشهور المؤرّخين ممّن سبقه كابن سعدٍ وغيره ((2))، ومن لحقه كالشيخ المفيد وغيره ((3))، إذ يفيد الجميع أنّ الأشدق هو

ص: 278

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 172، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.

2- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.

3- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216.

الّذي كتب الكتاب، أو أنّهم ينسبون الكتاب إليه مباشرةً من دون الإشارة إلي كتابة ابن جعفر (رضي الله عنه) .أضف إلي ذلك، فأنّنا سنأتي علي ذكر نصّ الكتاب بعد قليل، وسنراه لا يناسب أدب ابن جعفر (رضي الله عنه) ، ولا لغته، ولا ذوقه، ولا معرفته بإمامه وتواضعه بين يدَي سيّده المفترض الطاعة عليه، وإنّما يناسب غطرسة الجبّار العنيد، وينسجم مع لغة طواغيت بني أُميّة وتهوّرهم وأدبهم الهابط.

فربّما كان ثَمّة كتابان: أحدهما كتبه ابن جعفر (رضي الله عنه) علي لسان الأشدق، والآخر كتبه الأشدق نفسه، أو أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) كتب، ثمّ أضاف وحذف الأشدق وفق مراده، فنسبوا الكتابة لابن جعفر (رضي الله عنه) .

هذا، إذا أردنا أن نلتزم عبارة الطبريّ وسياقه، وإذا اكتفينا برواية غيره ممّن سبقه ولحقه، فلا حاجة إلي هذا التكلّف.

الضوء الرابع: حامل الكتاب

أفاد الطبريّ ومَن تلاه ـ دون غيرهم ـ أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) طلب من الأشدق أن يبعث كتابه مع أخيه يحيي، وقد علّل ذلك في نصّ الطبريّ بقوله: فإنّه أحري أن تطمئنّ نفسُه إليه ويعلم أنّه الجدّ منك ((1)).

وفي تعبير ابن الأثير قال: ابعثْ معي أمانك. فبعث معه أخاه يحيي ((2)).

ص: 279

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 172، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 410.

2- البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167.

وفي عبارة الشيخ المفيد ما يفيد أنّ الأشدق بعث الكتاب مع أخيه يحيي، قال: وأنفذه مع أخيه يحيي بن سعيد ((1)).

وعلي كلّ حال، فإنّ العبارات كلّها تفيد ما صرّح به الشيخ المفيد، فيكون حامل الكتاب هو يحيي، والمولي عبد الله بن جعفر إنّما كان مصاحباً له، وليس حاملاً للكتاب.

أجل، قد يُقال _ وفق ما أفاده الطبريّ وابن الأثير _ أنّ المولي المعظّم عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) هو الّذي طلب من الوالي أن يكون يحيي حاملاً للكتاب؛ ليكون أبلغ في إيصال الرسالة، وليكون أحد أفراد السلطة والعاملين تحت إمرة الوالي مباشراً في تبليغ الرسالة، لتوكيد الرسالة وما فيها، وتثبيت موقفٍ معلَنٍ عليهم من خلال مباشرتهم في تقديم الأمان للإمام (عليه السلام) .

وفي نفس الوقت، لا يكون ابن جعفر (رضي الله عنه) حاملاً لكتاب الوالي العنيد، ولا عاملاً في بلاطه، ولا متحدّثاً باسمه، وإنّما يتكلّم ابن جعفر (رضي الله عنه) باسمه الشخصيّ، ويتكلّم يحيي باعتباره حاملاً للكتاب ورسولاً مخوّلاً من قبل السلطان!

الضوء الخامس: موقع اللقاء

ورد في النصوص أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) ويحيي لحقا الإمام (عليه السلام) ، ثمّ بعد انتهاء اللقاء رجعا إلي مكّة، فيلزم أن يكون اللقاء خارج مكّة، بمعني أنّهما إنّمالحقا

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، بحار الأنوار: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216.

بالإمام (عليه السلام) بعد أن خرج من مكّة، لذا اقتضي أن يرجعا إليها بعد اللقاء.

الضوء السادس: لقاءٌ مختصر

اشارة

يمكن أن نجد عدّة إضاءاتٍ تنكشف من هذا الضوء:

الإضاءة الأُولي: أسباب اختصار اللقاء

يبـدو من اللقاء أنّه كان لقاءً مختصـراً مضـغوطاً لم يدم طويلاً، إذ أنّه اقتصـر علي قراءة الكتاب، وأنّهما جهدا في وقتٍ قصـيرٍ لصـرف الإمام (عليه السلام) عن وجهته، ولا يبدو أنّ ثمة حواراً طويلاً ومناقشاتٍ وأخذاً وردّاً حصل في اللقاء، إذ لو كان لَبان.

ولا يبعد أن يكون من أسـباب ذلك أنّ الكريم الجواد ابن جعفر (رضـي الله عنهما) كان مسلِّماً لإمامه راضياً بفعله، وليس ما بدر منه وصدر عنه سوي محاولـةٍ للإبقـاء عليه ودفع القتـل عنه، ليس إلّا ، فهو يرضـي من الإمام (عليه السـلام) ولا يلاسـنه ويتطاول عليه، ويحاول إقناعه وصرفه كيف ما اتّفق، كما كان يفعل غيره.

فهو قد أعلن نصـرته للإمام (عليه السـلام) بهذه الصورة علي هذا الوجه، فإن قبل الإمام (عليه السـلام) منه فهذا ما يتمنّاه، وإن قال له الإمام (عليه السـلام) : لابـدّ من الخروج، فهو لا يعترض ولا يحاول منع الإمام (عليه السـلام) ولو بأن يشـبك أصابعه في شـعره المقدّس!!ويحيي جلواز الوالي ورسوله، لا يهمّه الأمر كثيراً إلّا بالمقـدار الّذي يؤمّن مصالحه ومصالح مَن كلّفه، ومصالح سائسـهم المجدور المخمور، وهو ليس

مكلّفاً بأكثر من أن يكون حاملاً للرسالة، ومطمئِناً بوجوده وحمله للرسالة، لا أكثر، سيّما أنّنا لم نسمع من الوالي نصّاً خاصّاً كلّف به أخاه.

الإضاءة الثانية: مَن باشر الإقراء

صرّح الطبريّ أنّ الّـذي باشـر بإيصال كتاب الوالي وتسـليمه وإقرائه هو يحيي نفسه، وإن كان ينسب القراءة والمحاولة في الإرجاع لكليهما، قال:

فلحقه يحيي وعبد الله بن جعفر، ثمّ انصرفا بعد أن أقرأه يحيي الكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به ((1)).

وتعبير ابن الأثير وابن كثير الّـذي ينسب الإقراء لكليهما لا يبـدو متيناً، إذ أنّ الإقراء لابدّ أن يكون علي يد واحد، وبلسان واحدٍ منهما، إلّا إذا أراد ابن الأثير وصنوه أن يُشركا الطاهر الطهر ابن جعفر (رضي الله عنهما) في شيءٍ من مساعي السلطان، ويجعلاه ممثّلاً عنه.

وربّمـا كان هـذا شاهـداً آخَر لما ذكرناه قبل قليلٍ من التفريق بين من يروي الحـدَث، وبين من يحكي الحـدث وفق فهمه وانتزاعاته ونوازعه، فالحدثيروي انفراد يحيي بحمل الرسالة وقراءتها، لكن لمّا كان مع ابن جعفر (رضـي الله عنه) حاضراً فهم منه _ أو أراد أن يفهم هكذا _ ابن الأثير وابن كثير أنّهما اشتركا في الحمل والتبليغ.

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

الإضاءة الثالثة: مؤدّي اللقاء

يُلاحَظ هنا أيضاً أنّ غاية ما جهدا فيه ينحصر في إرجاع الإمام (عليه السلام) إلي مكّة لا غير، ولم يذكر الخبر لا تصريحاً ولا تلويحاً سوي ذلك.

إذ لم يتعرّض الخبر إلي أيّ كلامٍ آخَر دار بينهما سوي إقراء الكتاب، وأنّهما لم يفلحا في إقناع الإمام (عليه السلام) ليرجع إلي مكّة.

فلا تحذير من أهل الكوفة، ولا تذكير بعواقب الخروج علي السلطان ذي العدّة والعدد، ولا اقتراح ليبقي في مكّة ليكاتب ويراسل ويجمع الرجال ويخاطب الأمصار، وغيرها من رؤي المعترضين.

الضوء السابع: أمر ابنيه بالجهاد دون الإمام (عليه السلام)

أفاد الشيخ المفيد والطبرسيّ:

إنّ عبد الله بن جعفر لمّا يئس من رجوع الإمام (عليه السلام) إلي مكّة، أمرابنَيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسيرِ معه والجهاد دونه ((1)).

يشهد هذا الموقف للطيّب الكريم صاحب الندي والجود عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) أنّه لم يقدم علي ما أقدم عليه معترضاً علي الإمام (عليه السلام) ، ولا مخطّئاً،

ص: 283

1- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، إعلام الوري للطبرسيّ: 230، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 238، أسرار الشهادة للدربنديّ: 247.

ولا معتقداً فيه أنّه يهاجم السلطان، وإنّما يري الواقع كما هو، ويري السيوف مُحدقةً بالإمام (عليه السلام) وأهله، والذئاب والوحوش متكاثرةً محيطةً بالإمام (عليه السلام) مطبقةً عليه الحلقة، وأنّ عليه أن يفعل شيئاً للدفاع عنه.

فأقدم علي ما كان يراه نافعاً في تسكين هيجان القرود المسعورة..

فلمّا لم يجد ذلك ناجعاً، أقدم علي الخطوة الثانية الّتي تجعله في دائرة المدافعين عن الإمام (عليه السلام) .. فأمر ابنيه بلزوم ركاب الإمام (عليه السلام) والمسير معه والجهاد دونه.

فهو يري الإمام (عليه السلام) صائباً في اختياره الخروج، ولم نسمع منه ما يفيد _ ولو تلويحاً _ أنّه يري البقاء في مكّة أصلح للإمام (عليه السلام) ، وتجهيز ولديه يشهد لخلاف ذلك، إذ أنّه يشهد له أنّه يعتقد صحّة ما اختاره الإمام (عليه السلام) حين أمرهماأن يلزماه ويسيرا معه.

كما يشهد له أنّه يري شخص الإمام (عليه السلام) في خطر، حيث أمر ابنيه أن يجاهدا دون الإمام (عليه السلام) .

الجهاد دونه.. دون الإمام (عليه السلام) .. ليس في وصيّته لهما وحثّه سوي الجهاد دون الذات المقدّسة.. الجهاد دون الإمام خامس أصحاب الكساء (عليهم السلام) ..

أمرهما أن يدفعا عن الإمام (عليه السلام) ، لأنّه يعلم أنّ المطلوب هو الإمام (عليه السلام) ، وأنّ الإمام (عليه السلام) هو المقصود..

لأنّه يعلم أنّ القوم يلاحقون الإمام (عليه السلام) ، ويطلبون دمه، وقد بدؤوا الهجوم عليه.. فأمرهما أن يجاهدا دونه.

لأنّه لم يرَ في موقف الإمام (عليه السلام) ما يراه مهاجماً، لذا لم يأمرهما أن يسيرا معه ويجاهدا معه، وإنّما أمرهما أن يجاهدا دونه..

يجاهدا دون الإمام (عليه السلام) ..

لم يذكر شيئاً آخر يجاهدا دونه، ويدفعا عنه، لأنّه يعلم أنّ المطلوب أوّلاً وبالذات هو شخص ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، وقرّة عين الوصيّ (عليه السلام) ، وفلذة كبد فاطمة الزهراء (عليها السلام) ، وصنو السبط الأكبر (عليه السلام) .

إنّه أمر ابنيه.. امتداده المادّيّ والمعنويّ..

أمر ابنيه.. وهما يداه الّتي يبطش بهما، ويدفع بهما ريب الزمان، وكلَّ عدوان.. ذُخره الّذي ادّخره، كأيّ أبٍ للأيّام الصعبة، والمواقف العسيرة،وتقلّبات الدهر الشاقّة، واللحظات الشرسة.. القوّة الّتي يري فيهما وجوده وقدرته وسطوته وسوره ومنعته ودفاعه وسياج حمايته وصونه..

أمر ابنيه.. فدفع بكلّ سطوته وقوّته وقدرته، ليجاهدا ويدفعا عن الإمام (عليه السلام) ..

وكان من قبل قد أخرج أهله مع أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) .. أخرج معه ابنته أُمّ كلثوم، وصهره ابن أخيه الّذي قُتل بين يدَي إمامه، وأدّي واجب الدفاع عنه أيضاً..

وبهذا شارك عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) بكلّ وجوده في الدفاع عن سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وأدّي واجب الذبّ عن حرمات الله وحريم رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، فقام هو بما يستطيعه شخصيّاً، ثمّ قاتل بين يدَي إمام زمانه من خلال أبنائه،

وواسـي وساعد وشارك في كلّ موقفٍ وموطنٍ ومصـيبةٍ من مصائب كربلاء من خلال أهله شـريكة الحسين وعقيلة الطالبيّين زينب الكبري بنت أمير المؤمنين (عليهم السلام) .

الضوء الثامن: هل رجعا إلي الوالي؟

روي المؤرّخون علي نحو الحكاية أنّ عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) ويحيي لحقا بالإمام (عليه السلام) ودفعا إليه الكتاب وجهدا في إرجاعه، فاعتذر الإمام (عليه السلام) بالرؤيا التي رآها، إلّا أنّ الطبريّ قال:

فلحقه يحيي وعبـد الله بن جعفر، ثمّ انصـرفا بعـد أن أقرأه يحييالكتاب، فقالا: أقرأناه الكتاب، وجهدنا به، وكان ممّا اعتذر به إلينا أن قال: ... (1).

فلمَن قالا هذا القول؟

لم يصـرّح الطبري لمن «قالا»، وكأنّه يروي عنهما لا أكثر، ولم يروِ غيره أيضاً أنّ عبـد الله بن جعفر (رضـي الله عنهما) قـد رجع إلي الوالي ليخبره بما جري، فهو لا يحتاج إلي مراجعة الوالي، ولا الكلام معه مرّةً أُخري بعد أن عرف أنّه لا يتردّد في السعي لقتل الإمام (عليه السلام) ، وأنّ الإمام (عليه السـلام) قـد خرج بالفعل من مكّة، وقد أدّي ابن جعفرٍ (رضـي الله عنه) ما عليه مع الوالي لما كان يعتقده لصالح الإمام (عليه السلام) .

ص: 286

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

الضوء التاسع: جواب الإمام (عليه السلام)

وفق عبارة الطبريّ وابن الأثير وغيرهما الّذين قالوا: «وكان ممّا اعتذر به» ((1))، أنّ الإمام (عليه السلام) قد ذكر لهما عدّة أسباب، وكان من بينها الرؤيا الّتي رآها.

وساق غيرهم العبارة في سياقٍ يفيد أنّ الرؤيا هي السبب الوحيد الّذيذكره الإمام (عليه السلام) لهما ((2)).

وكيف كان، فإنّ ما صرّح به الجميع هو الرؤيا فحسب، وقد أتينا علي تفصيل الكلام فيها قبل قليل، فلا نعيد.

الضوء العاشر: هل التقي ابن جعفر (رضي الله عنه) أهلَه؟!

صرّحت جميع المصادر أنّ السيّدة عقيلة الطالبيّين (عليها السلام) كانت قد خرجت مع أخيها وإمامها سيّد الشهداء (عليه السلام) من المدينة، وقد سمعنا قبل قليلٍ أنّ عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) قد حمّل ابنيه كتاباً إلي الإمام (عليه السلام) ، ثمّ ذكر الشيخ المفيد

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411، الكامل لابن الأثير: 3 / 277.

2- الإرشاد للمفيد: 2 / 70، إعلام الوري للطبرسيّ: 230، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 167، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 366، العوالم للبحرانيّ: 17 / 216، الدمعة الساكبة للبهبهانيّ: 4 / 238، أسرار الشهادة للدربنديّ: 247.

والطبرسيّ وغيرهما أنّ ابن جعفر (رضي الله عنه) أمر ابنيه بملازمة الإمام (عليه السلام) بعد لقائه به خارج مكّة، وهذا يعني أنّه قد التقاهما.

غير أنّ المصادر لم تذكر تصريحاً ولا تلويحاً إن كان ابن جعفرٍ (رضي الله عنه) قد التقي أهله وزوجه بنت أمير المؤمنين (عليهما السلام) ثمّة، إلّا أنّ الوجدان والعادة ومعرفة أخلاق عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) السامية الراقية العظيمة تسمح للمتلقّي أن يفترض لقاءه بأهله بعد طول فراقٍ دام أكثر من أربعة أشهر، فسلّم عليهموتفقّد حالهم وتحنّن عليهم وشملهم بعطفه وحبّه وحنانه ورأفته كأبٍ وربّ بيت.

ومقتضي أنّه أمر ابنيه بالجهاد دون الإمام (عليه السلام) ، وعلم أنّ وجهتهم إلي القتل والفراق إلي يوم القيامة، أنّه ودّعهما وداع المفارق الّذي لا يعود، وتزوّد منهما وتزوّدا منه، وودّع ابنته وصهره بنفس نبرة الأسي والحزن والفراق، وودّع أهله وزوجه ذكراه من عمّه أمير المؤمنين ومعدن الحبّ والحنين، وأوصاهم بوصاياه واستمع إلي وصاياهم.

ومثل هذا الوداع الّذي تظلّله أجواء الفراق والشهادة.. الدماء والسبي.. أجواء السفر إلي الأرض الموعودة والمصرع المهول المروع المهيب.. والسير في ركبٍ يسير والمنايا تسير معه.. لابدّ أن تغمره الدموع وتكتنفه الأحزان وتخيّم عليه الكآبة والهموم والغموم..

والركب كلّه كان في الطريق.. خارجاً من مكّة.. مبتعداً عن الوطن ومرابع الأهل وتربة الأحبّة والأعزّاء.. ميمّماً نحو الموت الّذي سيختطف حبّات القلوب وفلذات الأكباد..

الركب يسير إلي عرصةٍ تترامي فيها الأشلاء مقطّعةً مبضّعةً مرمّلةً علي الرمضاء..

ركب مخدّرات الرسالة وعقائل الوحي يسير إلي السبي والشماتة، والوقوفِ في مجالسٍ ما بارحت اللهو والخمرا..فإذا انهمرت دموع السيّدة الكبري في الركب، لابدّ أن تتجاوب لها باقي العيون بالبكاء والنياحة والعويل..

ص: 289

القسم الثالث: كتاب عمرو بن سعيد للإمام (عليه السلام)

اشارة

ابن سعدٍ ومن تلاه:

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص: إنّي أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يُرديك، بلغني أنّك قد اعتزمتَ على الشخوص إلى العراق، فإنّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإن كنتَ خائفاً فأقبِلْ إليّ، فلك عندي الأمان والبرّ والصِّلة.

فكتب إليه الحسين: «إنْ كنتَ أردتَ بكتابك إليّ برّي وصلتي، فجُزيتَ خيراً في الدنيا والآخرة، وإنّه لم يشاقق مَن (دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) ((1))، وخير الأمان أمانُ الله، ولم يؤمِن بالله مَن لم يخَفْه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا توجِبُ لنا أمان الآخرة عنده» ((2)).

1- سورة فُصّلت: 33.

2- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.

الطبريّ، النويريّ:

قال: وكان كتاب عمرو بن سعيد إلي الحسين بن عليّ: بسم الله الرحمن الرحيم. من عمرو بن سعيد إلي الحسين بن عليّ، أمّا بعد، فإنّي أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك، بلغني أنّك قد توجّهتَ إلي العراق، وإنّي أُعيذك بالله من الشقاق، فإنّي أخاف عليك فيه الهلاك، وقد بعثتُ إليك عبد الله بن جعفر ويحيي بن سعيد، فأقبِلْ إليّ معهما، فإنّ لك عندي الأمان والصلة والبرّ وحُسن الجوار لك، الله علَيّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ومراع ووكيل، والسلام عليك.

قال: وكتب إليه الحسين: «أمّا بعد، فإنّه لم يشاقق الله ورسوله مَن دعا إلي الله (عزوجل) وعمل صالحاً وقال: إنّني من المسلمين، وقد دعوت إلي الأمان والبرّ والصلة، فخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة مَن لم يخفه في الدنيا، فنسأل الله مخافةً في الدنيا تُوجِب لنا أمانه يوم القيامة، فإن كنتَ نويت بالكتاب صلتي وبرّي فجُزيتَخيراً في الدنيا والآخرة، والسلام» ((1)).

الخوارزميّ:

ص: 292

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

وكتب إليه عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة: أمّا بعد، فقد بلغني أنّك قد عزمت علي الخروج إلي العراق، ولقد علمت ما نزل بابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته، وأنا أُعيذك بالله (تعالي) من الشقاق، فإنّي خائفٌ عليك منه، ولقد بعثت إليك بأخي يحيي بن سعيد، فأقبِلْ إليّ معه، فلك عندنا الأمان والصلة والبرّ والإحسان وحُسن الجوار، واللهُ بذلك علَيّ شهيدٌ ووكيلٌ وراع وكفيل، والسلام.

فكتب إليه الحسين: «أمّا بعد، فإنّه لم يشاق مَن (دَعَا إِلَي اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)، وقد دعوتني إلي البرّ والإحسان، وخير الأمان أمان الله، ولن يؤمن الله يوم القيامة من لم يخافه في الدنيا، ونحن نسأله لك ولنا في هذه الدنيا عملاً يرضي لنا يوم القيامة، فإن كنتَ بكتابك هذا إليّ أردت برّي وصلتي، فجُزيتَ بذلك خيراً في الدنيا والآخرة، والسلام» ((1)).

* * * *روي ابن سعد _ كأقدم مؤرّخٍ بالنسبة لمن روي من بعده _ نصّ كتاب الأشدق، ثمّ تلاه الطبريّ وغيره، وسنتابع النصّ ضمن المتابعات التالية:

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

المتابعة الأولى: زيادات الطبريّ والخوارزميّ

عنـد مقارنة النصّ الّذي رواه ابن سـعدٍ ومَن نقل عنه بالنصّ الّذي رواه الطبريّ، نجد ثمّة اختلافاتٍ ربّما كانت طفيفة، وزياداتٍ قد لا تكون طويلة، بَيد أنّها مؤثّرةٌ في فهم الكتاب.

وكذلك فعل الخوارزميّ حيث وردت عنده زيادات مؤثّرة وإن كانت قليلة.

فنجد ـ على سبيل المثال، بغضّ النظر عن الاختلافات ـ في نصّ الطبريّ زيادةً لم تكن عند المؤرّخ الأقدم، جاء فيها:

وقـد بعثتُ إليك عبـد الله بن جعفر ويحيى بن سـعيد، فأقبِلْ إليّ معهما، فإنّ لك عنـدي الأمان والصـلة والبرّ وحسن الجوار لك، الله علَيّ بذلك شهيدٌ وكفيلٌ ومراع ووكيل، والسلام عليك ((1)).

وربّما كان ذلك لتأكيـد أنّ الوالي كتب الكتاب تلبيةً لطلب ابن جعفر (رضـي الله عنه) ، وليس هو تبرّعاً من قبله، ولجعل ابن جعفر (رضـي الله عنه) رسولاً منقبله.

وجاء في نصّ الخوارزميّ:

ولقد علمت ما نزل بابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته ((2)).

وهي زيادةٌ لم تكن عند ابن سعدٍ ولا عند الطبريّ، وهي مؤثّرةٌ أيّما تأثيرٍ في التعامل مع الكتاب!

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

وسنأتي علي تفصيل الكلام في ذلك، كلٌّ في محلّه، وإنّما أفردناها هنا لننوّه علي الزيادات، وما أكثر زيادات الطبريّ علي مَن سبقه!

المتابعة الثانية: غطرسة الأشدق

ورد في نصّ الطبريّ بداية الكتاب قوله: «من عمرو بن سعيد إلي الحسين ابن عليّ»، بخلاف كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) الّذي بدأه باسم الإمام الحسين (عليه السلام) ثمّ ذكر اسمه.

ويدلّ هذا بوضوحٍ علي وقاحة الأشدق وغطرسته وتجبّره، فهو وإن كان والياً بيده السلطة، غير أنّه لابدّ أن يعرف لابن رسول الله (صلي الله عليه و آله) وريحانته حرمته، ومنزلته وجلاله ومقامه، فإن أبي إلّا أن يتنافخ ويستعلي ويتكبّر علي الله، ويُقدّم نفسه كوالٍ حاكمٍ متسلّط، فلْيذكر الإمام (عليه السلام) باحترامٍ خاصٍّ من خلال لقبٍمتسالم متّفَقٍ عليه، أو كنيةٍ مِن كناه، لتكون محاولةً منه لبيان صدقه فيما يزعم من حرصه علي الإمام (عليه السلام) وحبّه السلامة له، ويعبّر عن حُسن نيته، وليس في الأُمويّين نيّةٌ حسنة!

بل نجد فيما يلي من كتابه خلاف ذلك تماماً، كما سنقرأ في المتابعة التالية:

المتابعة الثالثة: التهديد الأوّل

شرع الكتاب بتهديدٍ واضحٍ وقحٍ صاغه الجرذ المتنافخ العنيد بصيغة الدعاء، فقال:

إنّي أسأل الله أن يلهمك رشدك، وأن يصرفك عمّا يُرديك ((1)).

وفي لفظ الطبريّ:

فإنّي أسأل الله أن يصرفك عمّا يوبقك، وأن يهديك لما يرشدك ((2)).يبدأ كلامه ب-- (إنّي) أسأل الله.. فهو بما هو الأشدق يري _ عميت عيناه _ أنّ الإمام (عليه السلام) يحتاج إلي دعائه ليلهمه الله رشده، أو يهديه لما يرشده، وأن يصرفه عمّا يرديه أو يوبقه!

وهذه العبارات البائسة وإن كانت بلحن الدعاء، غير أنّها تتضمّن تهديداً وتوبيخاً واضحاً جليّاً _ تبت يداه _، إذ أنّه يحذّر الإمام (عليه السلام) من اقتحام ما يُردي وما يوبق ويخالف الرشد، ولا نطيق الاسترسال مع وقاحات هذا الخبيث الرجس، ونحسب أنّ المتلقّي يفهم تماماً ما يرومه هذا الجبّار العنيد من خلال مقدّمته الّتي عرضها في قالب الدعاء.

المتابعة الرابعة: التهديد الثاني

فإنّي أُعيذك بالله من الشقاق ... ((3)).

ص: 296

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.
2- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.
3- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163، تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

رجع الخبيث إلي استخدام ضمير المتكلّم للتدليل علي ذاته، بصيغة (إنّي) في اللفظ المشهور، أو (أنا) في لفظ الخوارزميّ، وفي تكرار ما يدلّ علي أناه_ المزدحم بديدان الحقد الناخرة في قلبه الأسود المتكلّس _ جرس تهديدٍ مسموع، غير أنّه لحقارته لا يقوي علي إدراك المخاطب..

فهو يؤكّد بلفظ: (إنّي) أنّه هو الّذي يعيذ الإمام (عليه السلام) بالله من الشقاق..

أمّا الإعاذة بالله، فقد مرّ الحديث عنها مفصّلاً في غضون الكلام عن لقاء ابن عبّاس، فلا نعيد.

وأمّا الإعاذة من الشقاق، فهي بالرغم من إيقاع التهديد المجلجل فيها، إذ أنّه افترض أنّ في خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة خروجاً علي الجماعة وانفلاتاً من طوق الطاعة..

لعن الله هذه المخلوقات الكدرة القذرة الّتي لا يطيق الإنسان مجاراتهم والاسترسال مع كلماتهم، لولا ضرورة البحث..

أيُقال مثل هذا الهراء والتجاسر والتجاوز والاعتداء للإمام (عليه السلام) الّذي جعله الله حبله المتين، وأمر بالاعتصام به، وللإمام (عليه السلام) الّذي افترض الله طاعته علي العباد؟!

أيكون لأحدٍ من المخلوقين التمرّد علي الإمام (عليه السلام) والخروج عن طاعته، حتّي يُقال له إذا خرج من مكّة ليحمي حماها ويحفظ حرمتها وحرمة دمه الزاكي أنّه في (شقاق)؟!

أيُقال هذا لمن أخرج الله به العباد من الذلّ، وفرّج عنهم غمرات الكروب، وأنقذهم به من شفا جُرف الهلكات ومن النار، ومن علّم الله بموالاته العالمين معالم دينهم، وأصلح ما كان فسد من دنياهم، وبموالاته تمّت الكلمة، وعظمتالنعمة، وائتلفت الفرقة، وبموالاته تُقبَل الطاعة المفترضة، وله المودّة الواجبة، والدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، والمكان المعلوم عند الله (عزوجل) ، والجاه العظيم، والشأن الكبير، والشفاعة المقبولة؟!!

إنّها شنشنةٌ ممجوجةٌ وقحة، نثر جيفتها قرود الأُمويّين، علي سنّة مَن سبقهم ممّن تمرّد علي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وعتي وطغي علي الله وعلي رسوله (صلي الله عليه و آله) .

وسيأتي الكلام بعد قليلٍ عن هذه الفرية النتنة عند ردّ الإمام (عليه السلام) عليها، إن شاء الله (تعالي).

المتابعة الخامسة: التهديد الثالث

رجع مرّةً أُخري للتأكيد والتذكير بنفسه باعتباره الوالي بنفس الجرس والإيقاع التهديدي: (فإنّي)..

ص: 298

- فإنّي أخاف عليك فيه الهلاك ((1)).

- فإنّي خائفٌ عليك منه ((2)).

خائفٌ علي الإمام (عليه السلام) من الشقاق!! وخائفٌ علي الإمام (عليه السلام) من أن يؤدّيه الشقاق إلي الهلاك!!

(فيه).. في لفظ الطبري، و(منه) في لفظ الخوارزميّ.. يعود فيها الضمير إلي الشقاق، كما يدلّ عليه السياق بوضوح.

أجل، صرّح في لفظ الطبريّ ما يخافه علي الإمام (عليه السلام) من الشقاق، إذ أنّه سيؤدّي إلي هلاكه..

إنّه افترض في الإمام (عليه السلام) الشقاق لمجرّد خروجه من مكّة، ومخالفته لرغبة الوالي وسائسه، وهدّد أنّ عدم قبول قول الوالي سيُعتبَر شقاقاً، وعاقبة الشاقّ الهلاك!

هكذا هي لغتهم..

قالها القرد المخمور المسعور..

قالها ابن الأَمة الفاجرة ابن زياد..

وقالها الجبّار العنيد الأشدق..

وقالها غيرهم..

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

إنّه الطغيان والتمرّد والعتوّ والاستعلاء والاستكبار علي الله وعلي أوليائه..

بغضّ النظر عن ثبوت لزوم الجماعة بالكون مع الإمام المفترض الطاعة، وفق ما نصّت عليه النصوص المقدّسة.

فإنّ ما فعله الإمام (عليه السلام) ليس إلّا الابتعاد عن مكّة، لئلّا يُسفَك دمه فيها..

أيكون حفظ الحرمات وحماية النفس والأهل من أيّ مسلمٍ من المسلمينشقاقاً؟!

المتابعة السادسة: التهديد الرابع

في نصّ الخوارزميّ قبل أن يهدّد باجتناب الشقاق! قدّم مقدّمةً فقال:

ولقد علمتَ ما نزل بابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته ((1)).

وبهذا يتّضح أنّه في مقام التهديد والتهويل علي الإمام (عليه السلام) ، فهو يذكّره بما نزل بابن عمّه مسلم (عليه السلام) وشيعته، وأنّ مصيره سيكون ذات المصير ونفسه، إذ أنّهم حكموا علي المولي الغريب (عليه السلام) بالشقاق، وعاملوه معاملة الشاقّ، وقتلوه قتلةً لم يُقتَل أحدٌ قبله في الإسلام.

بَيد أنّ هذه العبارة وإن كانت تفيد معني التهديد بوضوح، إلّا أنّها تبدو مترجرجةً في المتن، تؤذن بشيءٍ من الزيادة غير المدروسة، وتدعو للتريّث في قبولها، إذ أنّ خبر شهادة المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) لم يكن قد وصل

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

إلي سيّد الشهداء (عليه السلام) بعدُ في المشهور المعروف من النصوص التاريخيّة، وقد بلغ الخبر بعد خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة بفترةٍ طويلـةٍ بعـد أن توغّل الإمام (عليه السـلام) في المسير علي طريق الشـهادة.ومن البعيـد جدّاً أن يكون الوالي قد بلغه الخبر علي بريدٍ خـاصّ، فوظّفه هنـا للتهديـد، لأنّ خروج الإمام (عليه السـلام) كان يوم شـهادة المولي الغريب (عليه السـلام) أو قبله بيوم، ووصل كتاب الأشدق إلي الإمام (عليه السـلام) بُعيد خروجه من مكّة، فكان الإمام (عليه السـلام) علي مشارف مكّة، ومن العسـير أن يبلغ الخبر خلال يومٍ أو يومين.

أضف إلي أنّ الخوارزميّ قـد تفرّد هنا بـذِكر هذه الزيادة، ولم نسـمع أنّ هذا الخبر قد كان له وقعٌ عند الإمام (عليه السـلام) وركبه، ولا عند السـلطان وجلاـوزته، ولاـ عنـد النـاس، ولـم يرد له أيُّ ذكرٍ أو إشـارةٍ في ردّ الإمام (عليه السـلام) وجوابه علي الكتاب، أو جوابه لابن جعفر (رضي الله عنه) ويحيي.

المتابعة السابعة: فإنْ كنتَ خائفاً

فإن كنتَ خائفاً ... ((1)).

وردت هذه العبارة عند ابن سعدٍ ومَن تلاه، ولم تأتِ في نصّ الطبريّ

1- ترجمة الإمام الحسين (عليه السلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصـر لابن منظور: 7 / 141، بُغيـة الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163.

والخوارزميّ!

ساق الأشـدق الجملة علي نحو الشـرطيّة، كأنّه يريد أن ينسب الخوفللإمام (عليه السـلام) من دون أن يكون له سـببٌ من قبلهم، ولا مسوّغ له..

بَيـد أنّه علي الرغم منه قـد اعترف وأقرّ بأنّ ثمّـ ة خوفاً يمكن أن يكون في المقام، وليس هذا الخوف إلّا لوجود تهديدٍ حقيقيّ جدّيّ يشـهد به الواقع، وإلّا فليس لمثل الإمام الحسين (عليه السلام) بالّذي يخاف بالمعني السلبيّ، أو أنّه يخاف لعملٍ أقدم عليه.

فإن كنتَ خائفاً.. وشي الخبيث بما كانوا يخطّطون له، وافتُضح بقوله هذا، إذ أنّه صرّح أنّ ثمّة ما يهدّد الإمام (عليه السلام) ويمنعه من البقاء في مكّة، لتجنّب المخاطر والاغتيال وأخذه.

بمعني:

إنّ العـدوّ أيضاً اعترف وأقرّ أنّ الإمام (عليه السـلام) لم يكن مهاجماً ولا خارجاً عليهم، إذ أنّه لم يفعل في مكّـ ة شـيئاً يـدلّ علي ذلك، ولم يخطب خطاباً ولم يسـجّل عليه أيّ موقف، ولم يشـهده أحـدٌ في مشـهدٍ يحرّض علي السـلطة والحكّام والوالي، ويـدعو إلي البيعة لنفسه أو لنكث بيعة يزيد، أو يسعي للاستيلاء علي مكّة أو المدينة، أو يجيّش الرجال ويعدّ العدّة لأمرٍ ما.

وكلّ ما فعله وقاله في اللقاءات الخاصّة الّتي حصلَت له مع المعترضـين وغيرهم أنّه في خطرٍ حقيقيّ، وإن بقي في مكّة فإنّه سـيُغتال أكيداً، وتُهتَك بدمه الزاكي حرمة البيت.

ص: 302

وقد صرّح بنفسه للأشدق حين سأله عن سبب قدومه إلي مكّة أنّه جاءمستجيراً مجاوراً لائذاً عائذاً بالله وببيته.

والأشدق هو عفريتٌ متجبّر، يراقب الأحداث عن كثب، ويلاحق الإمام (عليه السلام) بعيونه وجواسيسه، ولا يخفي عليه شيءٌ من تحركات الإمام (عليه السلام) في مكّة.

ومع ذلك فإنّه أقرّ له في كتابه، وذكر أنّه إن كان خائفاً فله الأمان..

لِمَ يخاف الإمام؟ وهو لم يفعل ما يدعو للخوف!

أجل، إنّه يخاف من وقحة الأُمويّين وجرأتهم علي الله وعلي حرمات الله، فيخاف أن يغتالوه في البيت الحرام..

فالأشدق قد أقرّ بوجود ثمّة مسوّغ ومبرّر للخوف..

لم يَعِده الأشدق بالصفح والتغافل والإعراض عمّا بدر منه أو صدر عنه، لأنّه لم يصدر منه شيءٌ يهدّد السلطان والوالي، أو يهدّد مكّة وحرمتها..

فهو يقول للإمام (عليه السلام) : إن كنتَ خائفاً منّا، وتتوقّع أن نغدر بك ونقتلك في مكّة، فأقبِلْ إلينا، فإنّك في أماننا.. وكأنّ هذا الأحمق المطاع نسي أنّ أحداً لا يقبل منه أماناً، وهم معدن الغدر والحيلة والمكر والخيانة، وجميع مساوي الأخلاق ومذمومها.

المتابعة الثامنة: وعود الآثم

اشارة

يمكن متابعة ما ورد في الكتاب من وعودٍ قدّمها الآثم اللعين للإمام (عليه السلام)

ص: 303

من خلال الوعود التالية:

الوعد الأوّل: إن كنتَ خائفاً.. فأقبِلْ إليّ..

كأنّ التقدير: إن كنتَ خائفاً منّي.. أي: منه كوالٍ وممّن سلّطه.. فأقبِلْ إليّ..

إن كنت خائفاً أن تُقتَل في بيت الله الحرام، فإنّني أُعطيك الأمان..

إن كان سبب الخروج من مكّة الخوف من القتل، فلك الأمان.. وإنّما يكون الأمان حينما يكون الإقبال علي الوالي نفسه!

إنّه لم يجعل الأمان مقابل المكث في مكّة.. لم يجعل الأمان مقابل عدم الخروج من مكّة والبقاء فيها.. لم يجعل الأمان بإزاء ترك الخروج بالمعني المصطلح ولا الخروج مطلقاً..

لم يجعل الأمان مقايضةً وثمناً للتخلّي عن الوثوب علي السلطة وعساكرها، ولا ـ عن ترك محاربة الحكم والحكّام، ولا ـ الامتناع عن التحريض والتجييش والدعوة للبيعة وتجميع الرجال وتحشيد المتذمّرين والمعارضين والمتضرّرين من الحكم الأُمويّ..

وإنّما جعل الأمان بإزاء أن يُقبِل علي الوالي.. فقط.

الإقبال علي الوالي بما يحمل من معنيً ويدلّ عليه من مغزي..

قال: أقبِلْ إليّ.. ولم يقل: ارجع إلي مكّة..

إنّه يريد للإمام (عليه السلام) أن يُقبِل عليه، ويدخل في طاعته، ويكون في كنفه

وله ومعه..

فهو قـد افترض أنّ الإمام (عليه السـلام) يخاف علي نفسه من قبلهم القتل في مكـّة، فآمنه ووعـده أن لا يقتله في مكّة.. إن كنت خائفاً فأقبِلْ علَيّ..

*****

أقبِلْ إليّ.. ولم يقل: ارجعْ إليّ..

لأنّه لم يفترض في الإمام (عليه السلام) أنّه كان قد انفصل من عنده ليرجع إليه.. وهو كذلك.

وافـترض في نفسه وجهـاً يُقبِـل إليه الخـائف ليـأمن ويرجو.. لأنّه يسـتقبل.. ومَن توجّه إليه فهو مقبـلٌ غير مـدبر! إنّهـا الغطرسـة والعجرفة والاستعلاء.

مَن هو هذا الضئيل المتهافت الخسيس الدنيء السافل، حتّي يقول لوجه الله ونوره وجلاله: (أقبل إليّ)؟!!

إنّا لله وإنّا إليه راجعون!

الوعد الثاني: الأمان بإزاء الإقبال إليه

ثمّ إنّه جعل الأمان مقابل الإقبال إليه هو بالـذات والتوجّه نحوه.. وفي تعبير: أقبلْ إليّ ـ الوارد في جميع النصوص الّتي روت الكتاب ((1)) ـ لحنٌ

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسين (عليه السـلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريـخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163، تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

مكشوفٌ ينمّ عن قصد الكاتب بوضوح، سيّما إذا التفتنا إلي تأكيد وجود الأمان عنده هو بالذات أيضاً (فلك عندي الأمان).

ويكون الإقبال إلي الوالي ومجاورته منتجاً الأمان والبرّ والصلة وحسن الجوار.

فهو يدعو الإمام (عليه السلام) إليه، لا إلي البقاء في مكّة، ويعده بالأمان والبرّ والصلة منه ذاتيّاً، كما يشهد لذلك سياق جواب الإمام (عليه السلام) كما سنسمعه بعد قليل.

فإذا كان الأشدق يدعوه كوالٍ ليزيد، ويزيد لا يقبل إلّا بأحد خيارين لا ثالث لهما _ كما عرفنا ذلك في غير موضعٍ من هذه الدراسة بالخصوص في بحث ظروف خروج الإمام (عليه السلام) من المدينة _، وهما إمّا المناولة وإمّا القتل، أو كما ورد في كلام إمام الخلق والبلاغة سيّد الشهداء (عليه السلام) : «قد ركز بين اثنتين: إمّا السلّة وإمّا الذلّة»، فماذا يريد الأشدق بالإقبال؟!

إن كان يريد المناولة وقبول الوالي وسائسه، فهي الذلّة الّتي قال عنها إمام الإباء ومعدنه (عليه السلام) : «هيهات منّا الذلّة، يأبي الله ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون، وحجورٌ طابت وطهرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة، مِن أن نؤثر طاعة اللئام علي مصارع الكرام».

ص: 306

وإن كان الخداع والاستبطاء بالحيلة والمكر، كي تقع السلّة علي الطريقة الّتي يريدونها هم عبر الغدر والغيلة، فهذا ما أبي الإمام (عليه السلام) أن يسمح به، وقال مراراً: «لئن أُقتَل خارج مكّة بشبرٍ أحبّ إليّ».

وإن كان وعداً بالأمان دون مقابل، أي: ليرجع الإمام (عليه السلام) إلي مكّة ويمكث فيها ولا يبايع وله الأمان.. فهذا ما يكذّبه الواقع ومجريات الأحداث وشهادات الإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ، وغيره من الأشخاص بما فيهم الأشدق نفسه، فقد كذّب نفسه بنفس الكتاب وسياقه وكلماته وتهديداته واعترافاته و إقداماته.

أضف إلي أنّ الأشدق أقلّ وأحقر وأضأل من أن يفعل شيئاً لا يريده سائسه القرد الهائج المسعور، فهو قد كتب وكتب، وهدّد وهدّد، وأرعد وأزبد، وأكّد أنّه يريد رأس الحسين (عليه السلام) علي عجل، فكيف يعطيه الأشدق الأمان؟ وعلي أيّ شيءٍ يستند ويرتكن في كلامه؟ وكيف وأنّي لمن يستمع إليه أن يصدّقه ويطمئن إليه، ويقبل قوله ويعتمد عليه؟!

وقد مرّ معنا أنّ الأشدق نفسه كابن زيادٍ من العسلان ذوات الأكراش الجوفاء والأجربة السغبي، الّتي تتوثّب لتقطيع الأوصال المقدّسة بأنيابها، وهو من الكوانين المتوقّدة حقداً وضغينةً وغيضاً علي بضعة النبيّ (صلي الله عليه و آله) وحبيبه وريحانته.

الوعد الثالث: الإقبال مع الرسول!

ورد في نصّ الطبريّ أن يُقبِل الإمام (عليه السلام) مع ابن جعفر (رضي الله عنه) ويحيي:

ص: 307

وقد بعثتُ إليك عبد الله بن جعفر ويحيي بن سعيد، فأقبِلْ إليّ معهما ((1)).

وفي متن الخوارزميّ:

ولقد بعثتُ إليك بأخي يحيي بن سعيد، فأقبِلْ إليّ معه ((2)).

إنّه قال لسيّد الكائنات أن يُقبِل إليه ليأمن، فلماذا يريد منه الآن أن يُقبِل مع مَن بعثه إليه؟!

أيكون قد طلب ذلك ليعرب عن جِدّه ويوثّق كلامه؟ فهو وإن كان يتظاهر بذلك، ويبدو في زيّه المزيّف المهلهل هذا، غير أنّه سيحقّق ما يرنو إليه ويصبو.

أيكون قد طلب ذلك ليعود الإمام (عليه السلام) إليه مع أخيه يحيي، فيكون قد أرجعه الوالي مخفوراً، أو علي يد أحد أعوانه وجلاوزته ورئيس شرطته؟

فيكون قد أخذ الإمام (عليه السلام) أخذاً! يبدو أنّه كان يسعي إلي هذا، وهو ما أشار إليه الإمام (عليه السلام) في بعض بياناته.

وقد راود الوالي ابن الزبير وخادعه، فاقترح عليه أن يحضر له سلسلةً منذهبٍ يضعها في يده ليأخذه أسيراً علي هذه الحالة إلي يزيد!

فأراد أن يستحضر الإمام (عليه السلام) بظاهرٍ فيه شيءٌ من الاحترام والتقدير

ص: 308

1- تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

2- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

والتوقير، فيكون أخـذه علي يـد كبيرٍ من كبراء بني أَميّة، وكأنّه قد خرج معه بعد مفاوضات، بَيد أنّه أمام الناس والسـلطان والتاريخ هو الأسـر بعينه.

الوعد الرابع: البرّ والصلة والإحسان

وعد الذئب المتوحّش والثعلب المسعور الماكر بالبرّ والصلة والإحسان..

إنّه الواجب الّذي فرضه الله وفرضه رسوله (صـلي الله عليه و آله) وأمر به الخلائق طرّاً أجمعين أن يبرّوا أهل بيته ويصـلونهم ويحسـنوا إليهم ويحسـنوا جوارهم، فهو ليس وعـداً يعـده هـذا الوغـد، ولكن انظر إلي الـدنيا وتعاسـتها ومـدي انقلاب دوران الفلك، حتّي صار هذا العلج المتهوّر يَعِد خامسَ أصحاب الكساء والإمام المفترض الطاعة بالبرّ والصلة!

أيعدُ بالبرّ والصـلة معدنَ البرّ والرحمة الإلهيّة الواسعة، ومَن كان فعله الخير، وعادته الإحسان، وسجيّته الكرم، وشأنه الحقّ والصدق والرفق، وقوله حكمٌ وحتم، ورأيه علمٌ وحِلمٌ وحزم، إن ذُكر الخيرُ كان أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنتهاه، وله المودّة الواجبة؟!

أيخال هذا الجرذ المتنافخ المتهوّر المغامر المتهالك أنّه إن قدر علي استحضار الإمام (عليه السلام) علي يد أخيه يحيي، فإنّه سيوظّف ذلك ليقول ويقولالناس: إنّ الإمام (عليه السلام) إنّما كان طالب دنيا، فلمّا ضمنها له السلطان حطّ رحاله علي أعتابه؟!

فيصدق قول يزيد القرود فيما كتبه لابن عبّاسٍ ولأهل المدينة وأهل مكّة

ص: 309

وأهل الموسم، ليسِمَ الإمامَ (عليه السلام) بسمةٍ يأباها ويأبي الله له ذلك، فيدفع بالأذهان إلي تصديق وتسويغ ما يفعله يزيد من الإقدام علي قتل أبي الشهداء (عليه السلام) وملاحقته، من خلال إقحام النزاع في دائرة الصراع علي السلطة، أو إقناع الآخرين أنّ الإمام (عليه السلام) هو المهاجِم المقدِم علي محاربة الأُمويّين، والعياذ بالله.

خسأ وخسر خسراناً مبيناً!

إنّ الخلق يحتاجون الإمام (عليه السلام) ، والإمام لا يحتاج أحداً إلّا الله، وبرّه وصلته والإحسان إليه تكليفٌ شرعيٌّ علي كلّ مسلمٍ يؤمن بالله واليوم الآخِر، والإمام (عليه السلام) لم يطالبهم يومذاك إلّا أن يخلّوا عنه ولا يلاحقونه، ولم يكلّفهم بأكثر من أن يتركوه ولا يكرهونه علي البيعة، فلا ينال القرد المخمور، فيتاركهم إن هم تاركوه، ويدعهم علي ما هم عليه وإن هو أمرهم بالمعروف أو نهاهم عن المنكر، فإنّما له بسيرة جدّه وأبيه وأُمّه وأخيه سنّة حسنة، لا يهاجِم ولا يحارب ولا يقاتلهم علي الدنيا الّتي بأيديهم، ويكتفي بالدعوة إلي الله بالحكمة والموعظة الحسنة، كما سنسمع في جواب الإمام (عليه السلام) .

بَيد أنّهم استنّوا بسنّة الجاهليّة، واتّبعوا ضلالات كبرائهم، فأبوا إلّا أنيجهدوا في إطفاء نور الله، وإخماد جذوة الهدي والقضاء علي آل الله.

الوعد الخامس: حُسن الجوار

وعد الوغدُ الشرسُ جنبَ الله وجواره بحسن الجوار إن هو أقبل إليه!

ص: 310

ولقد كذب كما كذب غيره، لعنهم الله وزاد في النيران عذابهم، وعذّبهم عذاباً يستغيث منه أهل النار.

متي أحسنوا الجوار؟!

أوَليس كـان أحـدهم يأخـذ قوسه، وينثر كنـانته، وينبري للعرب إذا حـطّ الجراد في فنـائه، ويزعم أنّه يـدفع عن الجراد لأنّه نزل بجواره، فإذا ارتفعت الشمس وحميت الأرض وطار الجراد عن جواره، فدونهم وما يريدون؟

فماذا دهاهم؟! لم يحفظوا جوار أشرف الخلق وسيّد الرسل وخاتم النبيّين (صلي الله عليه و آله) !

لم يحسـنوا جواره، وحاربوه، وضـيّقوا عليه، وأغروا به صبيانهم يرمونه بالحجارة، وأفرغوا علي رأس الفخار والنجار والشرف والقدس والجلالة السـلي، حتّي اضـطرّوه للخروج من جوارهم، ومفارقة مسـقط رأسه وبيت الله الحرام، والهجرة تحت جنح الليل البهيم إلي المدينة المنوّرة، ولهم معه أحلافٌ والتزامات!

هل حفظوا جوار ابنته وحبيبته وروحه الّتي بين جنبيه وريحانته وبضـعته، يوم هجموا عليها دارها، وهتكوا حريم الله وحريم رسول الله (صلي الله عليه و آله) ، وتعـدَّوا علي حريمهـا، وانتقموا لفطائسـهم، فـارتكبوا ما ارتكبوا، وكسـروا قلب النبيّ (صـلي الله عليه و آله) بطعن جنبها، وكسر ضلعها، ولطم خدّها، واسقاط جنينها، وهي تهتف فيهم: أولم يقلْ أبي: يُحفَظ المرء في ولده؟ وتستصرخهم ولا من صريخ؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) يوم جمعوا الحطب علي بابه، فحرّقوا بيتاً ضمّ

أصحاب الكساء وسادات أهل الدنيا وسادات أهل الجِنان؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) وجوار أمير المؤمنين (عليه السلام) وقائد الغرّ المحجّلين وعبد الله وأخي رسوله (صلي الله عليه و آله) ، يوم تكاثروا عليه، وأشهروا سيوف الغوغاء حوله، ودفعوه يتراكضون بين يديه ملبّباً بحمائل سيفّه؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) وجوار أمير المؤمنين (عليه السلام) يوم غدروا به وتخلّوا عنه، وهو يستنهضهم ويستصرخهم، ويتمنّي فراقهم، ويتمنّي أن يبادلهم مع عدّوه، ويصرفهم صرف الدرهم بالدينار، حتّي عدوا عليه فقتلوه بين أظهرهم؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) وجوار سبطه الأكبر وريحانته الإمام الحسن المجتبي (عليه السلام) ، يوم كان يخرج إلي الصلاة لابساً لامة حربه، يتّقي بها الاغتيال والسهام الغاربة في بيت الله، ويوم غدروا به ووعدوا ابن آكلة الأكباد أن يدفعوه إليه مقيّداً، حتّي قتلوه بين أظهرهم، ولم يدفعوا عن جنازته حين منعت سيّدتهموكبيرتهم أن يُطاف بجنازته حول قبر جدّه (صلي الله عليه و آله) ، وهل دفعوا عن نعشه حين رشقوه بسهامهم بعد أن كانت سيّدتهم أوّل مَن رمي؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) وجوار سيّد الشهداء (عليه السلام) يوم طلب العدوّ رأسه في مدينة جدّه (صلي الله عليه و آله) ، فضيّعوه وخذلوه وأسلموه، فخرج عنهم إلي مكّة بيت الله الحرام، فتغافلوا عنه، وخذلوه وضيّعوه وأسلموه، ويوم نزل بفنائهم فعدَوا عليه فقتلوه قتلةً لم تكن ولا تكون فظاعةً وبشاعةً وقسوةً وجفاءً وخشونةً وعنفاً وغلاظةً وشناعةً؟!

هل حفظوا جوار النبيّ (صلي الله عليه و آله) يوم أسلموا أهله وعياله للسبي، يُطاف بهم في

البلدان علي رؤوس الأشهاد، يساقون سوق الإماء علي أعين مَن يسمّونهم المسلمين؟!

لو أردنا الاسترسال في ذلك لما انتهي الكلام، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وإلي الله المشتكي، وإلي محمّدٍ المصطفي، وإلي عليٍّ المرتضي، وإلي أئمة الهدي، وإلي المنتقم الآخذ بثأرهم صاحب الأمر والزمان (عجل الله تعالي فرجه الشريف) !

فأيّ جوارٍ يتحدّث عنه هؤلاء الغدَرة الفسقة الفجرة؟!!

ألم يغدر أبو سفيان؟

ألم يغدر معاوية بعد أن أعطي العهود والمواثيق وختمها بختمه، ثمّ جعلها تحت قدمه، ولم يفتر لحظةً في محاربة الله ورسوله (صلي الله عليه و آله) وأهل بيته (عليهم السلام) ، حتّي قتل مَن قتل منهم ومن أتباعهم وشيعتهم بعد أن أعطاهم من المواثيقوالأيمان المغلّظة ما لو أُعطيت لطائرٍ علي رأس جبلٍ لهبط إليه؟!

أيمكن أن يركن أحدٌ إلي كلام هؤلاء المسوخ، ويعتمد عليه ويطمئنّ إليه، وهم يسعون وقتئذٍ للقضاء علي الإمام (عليه السلام) في مكّة، ويسابقون اللحظات لتنفيذ ما يريدون؟!

المتابعة التاسعة: شهادة الكتاب علي الكاتب

إستعرضنا مؤدّيات هذا الكتاب ومضامينه علي عجل، وقرأنا فيما سبق كتاب الكريم المبجّل عبد الله بن جعفر (رضي الله عنهما) .

فكان كتاب ابن جعفر (رضي الله عنه) الّذي أرسله بيد فلذتَي كبده عون ومحمّد

يفيض أدباً ورقّةً وعذوبةً وليناً وتواضعاً وحبّاً وشفقةً وتسليماً ومعرفةً بالإمام (عليه السلام) ومقامه ومنزلته وفرض طاعته، وكان كتاب الأشدق الممسوخ يطفح بالكبر والاستعلاء والتهديد والجهل والضلال والعتوّ وسوء الأدب والتسافل.

فمن قرأ الكتابَين سيميّز دون الحاجة إلي كثير تأمّلٍ بين الخطابين، ويعرف أنّ الكتاب الثاني لا يصدر عن مشكاةٍ طيّبةٍ طاهرةٍ ناشئةٍ في بيوت الرسالة والإمامة، متأدّبةٍ بأدب الله ورسوله والأئمّة الطاهرين (عليهم السلام) .

المتابعة العاشرة: توظيف الأمان!

في الحسابات المعهودة وفق الموازين السائدة، إذا كان الإمام (عليه السلام) يتحرّكفي مشهدٍ خاصٍّ علي مدارج الحركة المقصودة الهادفة إلي المواجهة تحت أيّ شعارٍ ولأيّ غرضٍ كان، بنيّة الهجوم علي الحكم والحكّام ومحاربتهم والإعداد للقتال، لَكان هذا الكتاب فرصةً لا تعوّض، إذ يدخل الإمام (عليه السلام) في الأمان غير المشروط الّذي قدّمه الوالي، ليبقي في الحدّ الأدني من الحماية من خلال التحصّن ببيت الله الحرام وانشغال الوالي بموسم الحجّ، والاحتجاج بوثيقة الأمان المكتوبة الّتي حملها أخو الوالي.

ثم ينتشر الإمام (عليه السلام) ومَن معه للعمل علي توظيف الفرص، وتسلّق جبل عرفات والقيام علي الجمرات وغيرها من المشاعر، ومخاطبة الحجيج في البيت الحرام، والجدّ في حشد القدرات الخطابيّة والإعلاميّة من أجل التحريض علي السلطان الحاكم الغاشم المستبدّ الظالم، وتوعية الناس، وتجميع الرجال

وحشدهم ورصّ صفوفهم، وتأليب مَن يشهد ومن يسمع من الحاضر والغائب لإعداد العدّة والعدد اللازم، والدعوة إلي البيعة علي رؤوس الأشهاد، وترك التعجّل ومسابقة الزمن من أجل الابتعاد عن أسوار مكّة وحريمها.

بَيد إنّ الإمام (عليه السلام) لم يفعل ذلك..

لأنّه يعلم _ بغضّ النظر عن علم الإمامة _ كأيّ متابعٍ عايش مجريات الأحداث وهو عارفٌ بسلوكيّات الأعداء وأخلاقيّاتهم الهابطة، وقد أيقن أنّهم لا يريدون سوي رأسه المقدّس، ولا يرتوون إلّا بدمه الزاكي، ولا تهدأ فورات ضغائنهم، ولا تسكن مراجل حقدهم وكراهيتهم وغيظهم وحنقهم، ولاـ تبردبراكين نيران الانتقام الكامنة في كيانهم، إلّا بتمزيق أوصاله والنظر إليه صريعاً، لتنام أعينهم وتقرّ بتقويض عماد الدين وهدم قباب الموحّدين، وإرساء قباب آل حرب مكانها.

لم يوظّف الإمام (عليه السلام) ما يمكن أن يسمّي (فرصة) بحسابات الخارجين (بالمعني المصطلح) القاصدين للقتال والمحاربة، والمخطّطين للحرب والمواجهة لأيّ غرضٍ كان.

تماماً كما لم يوظّف (فرصة) استمهال الوالي في المدينة قبل خروجه بعد أن أمهله الوالي حتّي يدعوه مع الناس ليبايع علي رؤوس الأشهاد وعلي أعين سائر المسلمين! وإنّما عجّل الخروج تحت جنح الليل البهيم إلي مكّة، دون أن يخطب في الناس، أو يحرّضهم، أو يدعوهم لرفض بيعة يزيد الخمور، أو البيعة لنفسه، فداه العالمين.

ص: 315

المتابعة الحادية عشرة: جواب الإمام (عليه السلام)

اشارة

يمكن متابعة كتاب الإمام (عليه السلام) من خلال الردود الواردة فيه علي كتاب الوالي:

الردّ الأوّل: «إن كنتَ أردت برّي وصلتي»

التأمّل في نصّ المتقدّمين من قبيل ابن سعد ومقارنته بنصّ الطبريّ يشعرباختلاف الإيقاع، واختلاف الصياغة توحي باختلاف جرس الخطاب وحدّته، وإن كانت المضامين واحدة، غير أنّ التقديم والتأخير وغيرها تفعل فعلها في الإيحاء أحياناً.

ففي متن ابن سعدٍ مثلاً يبدأ الكتاب بنغمةٍ هادئةٍ وإيقاع فيه مداراة في حزم، من دون صِدامٍ مباشرٍ ولا توبيخ مهاجم، بخلاف نصّ الطبريّ.

ويبقي من الملاحَظ في جميع المتون الواردة أنّ في كلام الإمام (عليه السلام) ليناً بلا ضعف، ومداراةً بحزم، وقوّةً بأدب، ورعايةً للظواهر والتظاهر والادّعاء والمزاعم، ولم تكن لغته لغة المهاجم الّذي يريد أن يناجز الوالي ومَن ولّاه ويقاتلهم ويهجم عليهم.

الردّ الثاني: «إن كنتَ.. فجُزيتَ خيراً»

في جميع المصادر الّتي ذكرت الكتاب، ورد فيها أنّ الإمام (عليه السلام) ساق جملةً شرطيّة، ورتّب دعاءً علي توفّر الشرط.

ص: 316

إن كنتَ أردتَ أو نويتَ بكتابك هذا إليّ برّي وصلتي..

إذا توفّر هذا الشرط، وهو أن ينوي للإمام (عليه السلام) ويريد له البرّ والصلة، وتحقّق منه ذلك، فحينئذٍ يأتي جواب الإمام (عليه السلام) : «فجُزيتَ خيراً في الدنيا والآخرة».

فدعاء الإمام (عليه السلام) أو إخباره مشروط، ولم يرسل الإمام (عليه السلام) دعاءه أو إخبارهإرسالاً مطلقاً، فهو قد بدر منه الكتاب، وزعم فيه أنّه يضمن للإمام (عليه السلام) البرّ والصلة، أمّا ما دعاه إلي هذا الكتاب والضمان فمبيَّت، وهو في دائرة النوايا الّتي لا يعلمها إلّا الله ومَن سلّطه الله علي قلوب العباد، والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) منهم، وقد عامله الإمام (عليه السلام) علي النيّة، ولم يكترث بالظاهر المزعوم، فجعل الجزاء بالخير متوقّفاً علي نيّة الخير إن توفّرت.

ربّما يُقال:

إن كانت نيّته حسنةً ومحرّكه إرادة البرّ والصلة حقّاً، لَأرسل الإمام (عليه السلام) الجزاء من دون تقييد، لأنّه يعلم بحُسن نيّته، إمّا بحكم تسليط الله له علي قلوب العباد، أو بحكم السيرة الكاشفة عن السريرة، بَيد أنّ سيرة هذا العفريت المسعور تفضح سريرته النتنة العفنة الّتي لا تنطوي علي خيرٍ لأحد، فضلاً عمّن تكدّس الغيظ والحنق والحقد والعداوة في كيانه الآسن عليه.

وربّما أيضاً يُستشعَر من بناء «جُزيتَ» للمجهول، وعدم جعل الجزاء عند الله وعلي الله، أنّ المقابل لا يأبه بذلك ولا يهمّه سوي الجزاء، أو أنّ الإسناد إلي الفاعل المجهول في الحديث مع هذا الطاغوت المتفرعن أبلغ من الإسناد

إلي الله (عزوجل) ، لما في الإسناد إلي الله من تشريفٍ وتعظيمٍ للمخاطب وللأجر.

وعلي العموم، إنّ الإمام (عليه السلام) معدن الخُلق، مع علمه بنوايا هذا اللئيم المتعفرت والطاغي المتجبّر، الّذي تشهد سيرته وسلوكياته عليها، بنا علي ظاهرهوتعامل معه وفق ما تظاهر به وزعمه _ علي نحو الجملة الشرطيّة _، ثم داراه وعامله بلينٍ ورفق، ولم يخاطبه بلغة المهاجِم، ولم يستعمل معه الأدبيّات والمفردات القويّة الصادّة ذات الإيقاع الحربيّ، ولا الشحنة العدائيّة.

فهو (عليه السلام) لم يخاطبه خطاب العدوّ الّذي يريد أن يقاتله ويهاجمه ويحاربه، ويحارب أربابه وساسته وحكّامه الذين سلّطوه وولّوه، وإنّما خاطبه خطاب مَن يريد أن يتّقي شرّه، ويردّ عاديته، ويفهمه إن هو أراد خيراً للإمام (عليه السلام) ، فإنّ الإمام يعرف له ذلك ويجزّيه خيراً في الدارين.

الردّ الثالث: «لم يشاقِقْ مَن دعا إلي الله..»

اشارة

يمكن أن نتأمّل ردّ الإمام (عليه السلام) هنا من خلال الإيضاحات التالية:

الإيضاح الأوّل: الهدوء والحِلم

حذّر الوالي المولع بدماء آل أبي طالب والشماتة بهم الإمامَ (عليه السلام) من مغبّة الشقاق _ نستغفر الله ونتوب إليه، ونعتذر لحبيب الله وحبيب رسوله وحبيب المؤمنين _، وهدّده من عواقب ارتكاب مثل هذا الفعل واتّخاذ مثل هذا الموقف، وإن كان سياق عبارته مصبوباً في قالب الدعاء، فجاءت هذه الفقرة من كتاب الإمام (عليه السلام) ردّاً علي هذه الفرية القذرة المتهافتة التافهة.

بالرغم من صـلافة التهمـة، ووقاحة قاذفها، وبالرغم من كذب الفرية وقائلها، وبالرغم من خطورة ما يترتّب عليها من آثار جسـيمة، إذ أنّ من يشاقق يُباح دمهويهتك حريمه في عُرف السلطات، فإنّ الإمام (عليه السلام) أجابه بلغةٍ هادئةٍ رزينةٍ رصينة، وحجّةٍ بالغةٍ متينة، لا تسبّب عند المتلقّي حالـةً من الشـدّ والتشـنّج والشـعور بالغضب والغليان والهدير والهياج والاضـطراب والجيشان، وإنّما تنساب الحجّة إليه بأناةٍ وتؤدّةٍ وحلمٍ ودماثةٍ ورجاحة.

الإيضاح الثاني: عموم الردّ وضمير الغائب

لقـد كرّر الجرذ المتنافخ ضـمير المتكلّم (إنّي) في كتـابه، وتكلّم الإمام (عليه السـلام) في هـذا الردّ بضـمير الغائب، ولم ينفِ ما اتّهمه به الخؤون عن نفسه بضمير المتكلّم، فقال: «إنّه لم يشاقق من دعا ...».

فالإمام (عليه السـلام) كأنّه لم يتعامل مع هراء الوالي ككلامٍ موجّهٍ له ليـدافع عن نفسه، وإنّما ردّ عليه ردّاً عامّاً يشـمل أيّ إنسان، فأيّ إنسانٍ دعا إلي الله وعمل صالحاً وقال: إنّني من المسلمين، هو خارجٌ عن دائرة اتّهام هذا الوغد.

الإيضاح الثالث: أجواء الآية!

الآيـة الّتي ذكرها الإمام (عليه السـلام) في مقام الردّ علي هـذا العتلّ العاتي ترتبط في النظم بما يسـبقها ويلحقها، بل في الجوّ العامّ الّـذي يظلّل السورة الشـريفة، بَيد أنّها تكاد لا تنفكّ ولا تنفصل عن الآيات اللاحقة، وكأنّها تحمل نفس السِّمة، وتنتظم في نفس السـياق، وتكتسي نفس الحلّة والأدب، وتحكي نفس التعاليم

ص: 319

والنتائج، وتصف السلوك المفترض مع العتاة والطغاة والمعاندين.

قال (تعالي):(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعا إِلَي اللَّهِ وَعَمِلَ صالِحاً وَقالَ إِنَّني مِنَ الْمُسْلِمينَ * وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ * وَما يُلَقَّاها إِلّا الَّذينَ صَبَرُوا وَما يُلَقَّاها إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظيمٍ) ((1)).

الاسترسال مع الآيات الشريفة قد يقدح في القلب أنّ الإمام (عليه السلام) يدفع سيئة الأعداء بالحسنة، ويقابل هجومهم بالاحتراز والترفّع عنهم، ويريد لهم أن يفهموا أنّهم هم الّذين أبدَوا عداوتهم، وأصحروا بصفحتهم، وتعمّدوا أذاه والاعتداء عليه، وهو يعاملهم معاملة جدّه (صلي الله عليه و آله) مع آبائهم وأجدادهم مِن عُتاة العرب الّذين آذوه واعتدوا عليه وعزموا علي قتله واغتياله بشتّي الوسائل وصنوف الطرائق والذرائع، فقابل عداوتهم بالأدب الربّانيّ، فكأنّ الّذي بينه وبينه عداوةٌ وليّ حميم، فصبر عليهم كما صبر جدّه وأبوه عليهم، وقد جعلهم الله أئمّةً يهدون بأمره لمّا صبروا، وهذه الخلق لا يُلقّاها إلّا الذين صبروا، وهم الصابرون.

*****

نكتفي بهذه الإشارة والتذكير بتلاوة الآيات المباركات، وللمتلقّي أن يتابع

ص: 320

1- سورة فُصّلَت: 33 _ 35.

وينتزع، وإنّما اكتفينا بهذا القدر رغم أنّه منقوصٌ أبترٌ مقطوعٌ غير تامّ، لئلّايُقال أنّ الآيات اللاحقة لم ترد في كلام الإمام (عليه السلام) ، فلا مسوّغ للاسترسال معها، وللمتلقّي أن ينفتح عليها ويسترسل معها إذا اقتنع أنّ الناس كانوا يحفظون القرآن، أو أنّهم يأنسون به، فإذا ذكرت عندهم آيةً استحضروا ما سبقها وما لحقها.

بل إنّ مثل هذا الوغد المتلوّن المذر يعلم جيّداً أنّ الإمام (عليه السلام) إذا تحدّث فكلامه غير كلام غيره من الناس.

الإيضاح الرابع: مؤدّي الآية

اشارة

وردت في روايات أهل البيت (عليهم السلام) أحاديث في تفسير هذه الآية، وأنّها نزلت في أمير المؤمنين وأهل البيت (عليهم السلام) .

ووردت في كتب الفريق الآخر أخبارٌ زعمت أنّ هذه الآية نزلت في المؤذّنين ((1))، وجاء الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) في ردّ زعمهم ((2)).

وللآية دلالاتٌ تفسيريّة، يفهمها مَن يقرأها ممّن يجيد اللغة العربيّة.

وسنتابع دلالات الآية علي عجَلٍ لا يؤخّرنا عن اللحاق بأصل البحث _ إن شاء الله (تعالي) _ ضمن ما ورد عند الفريق الآخر، وما يمكن الاستفادة منها

1- أُنظر: المصنّف لابن أبي شيبة: 1 / 255 الباب 36، الاستذكار لابن عبد البرّ: 1 / 376، التمهيد لابن عبد البرّ: 19 / 226، كنز العمّال للهنديّ: 3 / 338.

2- أُنظر: تفسير العيّاشيّ: 1 / 212 ح 179.

علي أساس الفهم العام، أمّا ما ورد في أحاديثنا الشريفة فإنّه خاصٌّ بنا حرم الله منه الأعداء.

الدلالة الأُولي: دلالة أخبار القوم!

إذا كان الأشدق يفهم الآية ضمن إطار ما رُوي له عن طرقهم، فسيفهم من قوله (عليه السلام) : «من دعا إلي الله»، أي: أنّه في حكم المؤذّن الّذي يؤذّن للصلاة، فهو لا يدعو لأكثر من إقامة الصلاة والتوجّه إليه بالعبادة والخضوع والخشوع، وليس له دعوةٌ أُخري يمكن أن تثير أحداً من المسلمين، لأنّه يدعو لتوحيد صفوفهم ورصّها للوقوف بين يدَي الله (جلّت قدرته)، وقد عمل صالحاً وأقرّ أمام الملأ أنّه من المسلمين.

فلماذا يُتّهم مثل هذا الشخص ـ وفق موازين الأعداء وأخبارهم ـ بالشقاق، ويُرمي بهذه الفرية، ويحكم عليه بالقتل، ويُلاحَق حتّي لا تكون مكة آمنة له؟!

الدلالة الثانية: الفهم العام

في الآية ثلاث فقرات:

الأُولي: دعا إلي الله.

الثانية: عمل صالحاً.

الثالثة: قال: إنّني من المسلمين.

وهذه الأفعال الثلاثة تصدر من فردٍ واحدٍ معاً، لأنّها معطوفةٌ علي بعضها

بالواو، أي: دعا إلي الله، وهو يعمل صالحاً، ويقول أيضاً أنّه من المسلمين.

والـدعوة إلي الله هي بقوّة قول رسول الله (صـلي الله عليه و آله) : «قولوا: لا إله إلّا الله، تفلحوا»، والدعوة إلي الله تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، دون فضاضةٍ ولا قوّةٍ ولا إكراه..

الدعوة إلي الله بطيب الكلام وحُسن المعاملة والخلق الحسن..

الـدعوة إلي الله بالـدعوة للاعتصام بحبل الله جميعاً، وإطاعـة الله والرسول (صـلي الله عليه و آله) ، وعدم التفرّق، وأن لا يتنازعوا فيفشـلوا وتذهب ريحهم، وأن يصبروا ويصابروا.

فأين هذا من الشقاق؟!

وهل يستحقّ مَن دعا إلي الله أن يُقتَل ويُلاحَق حتّي لا تكون له مكّة الآمنة في الجاهليّة والإسلام أمناً؟!

إنّهم هجموا علي جـدّه رسول الله (صـلي الله عليه و آله) ليقتلوه ويغتـالوه كلّما سـنحَت لهم الفرصـة، حتّي اضـطرّوه للهجرة إلي المـدينة المنوّرة، ثمّ لم يتركوه هناك، فحاربوه وعادوه لمجرّد أنّه قال لهم: «قولوا: لا إله إلّا الله، تفلحوا»!

والعمل الصالح.. اسمه يُخبِر عنه..

إنّه العمل الصالح الّذي لا ينسجم بحالٍ مع الشقاق، ولا يستحقّ صاحبه هذه الفرية والملاحقة والتربّص به لقتله.

ربّما صـدر العمل الصالـح من أيّ إنسان، مؤمناً كان أو كافراً، غير أنّ الآيـة تؤكّـد أنّ العمل الصالـح صـدر هنا ممّن يدعو إلي الله وهو من المسلمين.

ومن أقرّ بالإسلام وأعلن إقراره ذلك، وأثبت إسلامه وتسليمه لأمر الله بالدعوة إليه وبالعمل الصالح، فليس هو من الشقاق في شيء.

وهـل يسـتحقّ المسـلم أن يُقتَل ويُلاحَق ويُحارَب ويُعادي حتّي لا يُمسـي ويُصـبح آمناً في الزمن الحرام في بيت الله الحرام، ويُهـدَر دمه ويُطلب رأسه؟!

الإيضاح الخامس: الآية مقابل التهمة

لقد تجبّر الأشدق وأساء الأدب وتجرّأ، فهدّد الإمام (عليه السـلام) بإلصاق تهمة الشـقاق به، وهي تهمةٌ ستُنتج الحكمَ عليه بالقتل أينما كان وحيثما كان، ولو كان في البيت الحرام وفي الزمن الحرام، صـيانةً للجماعـة وحمايةً لمجتمع المسـلمين من الفرقة والهلكة، وانفراط النظام، وعموم الهرج والمرج، وفقـدان الأـمن والأمان، وانهـدام أركان الاسـتقرار الاجتماعيّ، وعموم الفوضـي، وغيرها من الـذرائع الّتي تـذرّع بها المبطلون المزيّفون، وجعلوها كلمة حقٍّ تُسخَّر لقتل الحقّ وتحكيم الباطل.

فجاء ردّ الإمام (عليه السـلام) بتقديم نفي الشقاق المزعوم، ثمّ ذكر الآية لبيان أنّ المسلم الّذي يقرّ بالتوحيد والدعوة إلي الله ويعمل صالحاً لا يمكن أن تُلصَق به تهمة الشقاق، إذ أنّ هذا هو السلوك الّذي ينبغي لكلّ مسلمٍ أن يكون عليه اعتقاداً وعملاً.

فكأنّ الإمام (عليه السـلام) يريد أن يُفهِم هذا العتلَّ العاتي أنّ المسـلم الملتزم بالإسـلاموديع سمته اللازمة له: الدعوة إلي الله، وأن يعمل صالحاً، والإقرار بالإسلام، فإذا كانت هذه هي سمة كلّ مَن يُسمّي مسلماً، فلا يصحّ أن يكون مثل هذا

مشاقّاً، ولا يصحّ إلصاق هذه التهمة به.

فهو (عليه السلام) ليس في مقام بيان برنامج عملٍ وخطّ ةٍ مستقبليّة، وإنّما هو في مقام دحض الفرية المزعومة، في صياغةٍ عامّة تشمل المسلمين جميعاً، فكأنّه يلقي إلي الوالي أنّي كأيّ مسلمٍ لم أُقدِم علي شيءٍ يقتضي ملاحقتي وقتلي وإهدار دمي في بيت الله الحرام.

الردّ الرابع: ردّ الأمان

اشارة

يمكن أن يفاد من هذا الردّ عدّة إفادات:

الإفادة الأُولي: الإمام (عليه السلام) هو الأمان!

أيُقبِل وجهُ الله علي عدوّ الله البائس الضئيل الحقير السافل الغادر المخاتل الماكر المحتال، يبتغي عنده الأمان؟!

أيبتغي مَن جعله الله أماناً للكون والكائنات ولأهل الأرض وأهل السماوات الأمانَ عند المفسدين الّذين أبادوا العباد وأخربوا البلاد وأهلكوا الحرث والنسل؟!

واللهِ إنّه لمن هوان الدنيا علي الله أن يتجرّأ هذا القزم العِضرط اللئيم الخسيس، فيعرض الأمان علي الإمام الحسين (عليه السلام) ، بغضّ النظر عن إمامته وماجعله الله له..

الإمام الحسين (عليه السلام) سبط النبيّ (صلي الله عليه و آله) وابنه، وولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وفاطمة الزهراء (عليهما السلام) ، سليل إبراهيم الخليل والأطائب الأبرار من الأنبياء

والمرسـلين (عليهم السـلام) ، والمتقلّب في أصلاب الساجدين، يتقدّم إليه ابن الزواني والفواحش الرخيصات، وسليل البغاء والمومسات، المقذوف نطفةً قذرةً مخمّرةً في دِنان الشـرك في كنيف أرحام العاهرات، فيقول له: أقبل! ويعطيه الأمان إن هو أقبل بالشروط الّتي وضعها من ترك الشقاق وغيرها.

أيّ أمانٍ يعطيه مَن لا أمان له من الله؟!

قال سيّد الشهداء (عليه السلام) قبل حملته الأخيرة في رجزه:

«ونحن أمان الله للخلق كلّهم

نسرّ بهذا في

الأنام ونجهرُ»

((1))

سيّـد شـباب أهل الجنّـة (عليه السـلام) هو الأمان في الـدنيا والآخرة، فمن يعطيه الأمان؟!يبدو أنّ الاسترسال في التعليق علي مخازي هذا العتلّ اللئيم الفظّ الغليظ لا تقوي عليه الغَيرة، ولا يطيقه الذوق والإباء والأنفة والترفّع والحميّة والعزّة والنخوة البشـريّة السويّة، ولولا ضـرورة البحث لما مكثنا معه هنيئة، ولكن إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

1- أُنظر: مناقب آل أبي طالب لابن شـهرآشوب: 4 / 80 _ بتحقيق: السـيّد علي أشـرف الحسـينيّ، الاحتجاج للطبرسيّ: 2 / 26، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزمي: 2 / 32، شرح الشافية لابن أمير الحاج: 371، تسلية المجالس لابن أبي طالب: 2 / 316، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 48، العوالم للبحرانيّ: 17 / 291.

الإفادة الثانية: الأمان في الحرم!

كانت مكّة حرماً آمناً في الجاهليّة والإسلام، وكانت الأشهر الحرُم حراماً في الجاهليّة والإسلام.

لقد ضيّقوا علي ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، حتّي لم تعد الأرض الحرام ولم يعد الزمن الحرام حامياً لحرمته! ثمّ يأتي عتُلٌّ زنيمٌ لئيمٌ خؤون، فيزعم أنّه يعطي الأمان لريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، فمن ذا يصدّق هذا الأمان؟

إذا كانت مكّة الآمنة لم تؤمّنه، وكانت الأشهر الحرم الّتي حرّموا فيها القتل والقتال لم تؤمّنه، أيكون كلام علجٍ أرعنٍ أهوجٍ طائشٍ مؤمّناً؟!

الإفادة الثالثة: أمان الخؤون!

لا ـ نحسب أنّ ثمّة ضرورةٌ تدعو للتدليل والإثبات وذكر النماذج والعيّنات لإثبات غدر الأُمويّين وخيانتهم واحتيالهم ومكرهم وهتكهم للحرمات، وتحلّلهم من جميع القيَم، وتنصّلهم من الذمم، فليس لهم ذمّةٌ ولا ضميرٌ ولا حريجة، ولا يقيمون لسوي أوثانهم وشهواتهم وزناً..

ولنا في سيرة جدّهم أبي سفيان وابنه عجوزهم المتهرّئ ونغله يزيد الّتيطمّت التاريخ بزنخها وعفنها ونتنها حتّي لَيخجل الخائن الغدّار من النظر فيها، فضلاً عن الإنسان السويّ.

وقد رأينا هذا الأشدق الّذي ضربه الله بكوكب أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وهو مع ذلك لا زال يسعي في القضاء علي نسله وذريّته، ويتولّع بالدماء الزاكية، ويشمت بسيّد المرسلين (صلي الله عليه و آله) ، وقد سمعنا بعض مفاسده وخياناته وحقده

وحنقه علي النبيّ (صلي الله عليه و آله) وكلّ ما يمتّ إليه بصلة..

أيكون لمثل هذا الخؤون الغادر المخادع الناكث أماناً يرتكن إليه؟!

الإفادة الرابعة: الأمان والاغتيال!

سمعنا الإمام غريب الغرباء (عليه السلام) في مواطن عديدة وأمام أشخاصٍ مختلفين يؤكّد لهم بشكلٍ جازمٍ باتٍّ قطعيّ _ وهو أصدق القائلين والمخبرين _ أنّ القوم قد باشروا في تنفيذ خطّتهم لاغتياله في الحرم الآمن، ومَن يقدم علي هذه الجريمة في الحرم يقدم عليها خارجه.

والآن يزعم الوالي الحقود أنّه يعطي الأمان للإمام (عليه السلام) ، وهو يعمل بكلّ ما أُوتي من قوّةٍ ويحشد كلّ ما يمكن حشده، ويسهر الليل ويجهد في النهار لينفذ أوامر سائسه القرد المخمور المسعور، مضافاً إلي ما يعتلج في كوامنه من السَورة والنطّ والتوثّب علي ريحانة النبيّ (صلي الله عليه و آله) ، ليتشفّي ويشتفي من لهيب الأحقاد والضغائن علي معدن الطهر والجلال والجمال الإلهيّ.

أنصدّق قوله الباهت البارد الخافت الواهن ورأيه المأفون ووعده الوارد فيكتابه، أم فعله وجهده وخططه الّتي أدخلها في حيّز التنفيذ؟

إنّنا نصدّق بما أخبر به أصدق الخلق الّذي لا ينطق عن الهوي، ثمّ لا نكترث بغيره ولا نقيم له وزناً.

الإفادة الخامسة: «خير الأمان أمان الله»

اشارة

خير الأمان أمان الله..

كذا في المصادر، لم يقل: أمان الله خير، لتقع المفاضلة بين أمانهم وأمان الله، وإنّما حصر الخيريّة في أمان الله، من دون الإشارة إلي أمان الوالي، إذ أنّ أمان الله خيرٌ من كلّ أمانٍ علي الإطلاق.

أمان الله في الدنيا والآخرة.. والإمام (عليه السلام) هو أمان الله، وهو سفينة نوحٍ الّتي من ركبها أمن ونجا، وما عسي الوالي أن يعطيه من أمان! وقد تعرّضنا قبل قليلٍ لذلك، فلا نعيد.

غير أنّ هذه العبارة الّتي تحمل الكثير من المعاني والإيحاءات، تفيد بصراحةٍ ردّ الإمام (عليه السلام) للأمان المعروض عليه، ويمكن أن نقتصر هنا علي بعض الوجوه في محاولة فهمها:

الوجه الأوّل: لا إيمان ولا أيمان لهم، فأمان الله خير!

لا يخفي أنّ سوابق القوم وسلوكيّاتهم ومجريات الأحداث وأخلاقيّات العدوّ تفيد بوضوح ما هو المقصود بالأمان المعروض هنا، أو الأمان الّذي عُرض فيما بعد علي أبي الفضل العبّاس وإخوته والمولي الأمير عليّ الأكبروغيره من أنصار سيّد الشهداء (عليهم السلام) ، وقد ردّ الجميع ما عرض عليهم، وقالوا: أمان الله خير ((1))، وكذا ردّ المولي الغريب مسلم بن عقيل (عليهما السلام) أمان ابن مرجانة الّذي قدّمه له ابن الأشعث، وقال: لا حاجة لي بأمان الفجَرة ((2)).

1- أُنظر: تاريخ الطبريّ: 5 / 415، الفتوح لابن أعثم: 5 / 166، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 246، الكامل لابن الأثير: 3 / 284.

2- أُنظر: مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 208، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب: 4 / 93، بحار الأنوار للمجلسيّ: 44 / 354، العوالم للبحرانيّ: 17 / 203، نفَس المهموم للقمّي: 111.

رُدّ الأمان لأنّهم فجَرة، لأنّهم غـدَرة، لأنّهم يمكرون، ولا يريدون الأمان إلّا وسـيلةً للتوصّل إلي دسائسـهم وتحكيماً لخطّة غدرهم، فإمّا أن يوثقوا آل الله الّذين لاـ تخفر ذممهم، وإمّا أن يتحيّنوا الفرصـة للقضاء عليهم، أو ليـدخلوا في سـلطانهم ويخضـعوا لولايتهم كما يخالون ويتوهّمون.

إنّهم لا يعطون الأمان، وإنّما يسـعون في تنفيـذ خططهم بذريعة الأمان، إذ أنّهم لا ذمّة لهم، ولا يرتكن إلي وعدهم، وقد أثبت الزمن ذلك، فلا حاجة للاستدلال والبرهنة عليه، وفيما فعله ابن آكلة الأكباد بقرّة عين فاطمة الزهراء السبط الأكبر الحسن المجتبي (عليه السلام) كفاية.

إنّهم لا إيمان ولا أيمان لهم، فأمان الله خير!

ومَن دخل في أمان الله لا يحتاج إلي أمان غيره من المخلوقات، فضلاً عنمثل هؤلاء القاذورات.

إنّ الإمام سـيّد الشـهداء (عليه السـلام) يعلم ـ بغضّ النظر عن علم الإمامة ـ وفق ما جرت به الأحداث وكشـفه سـلوك الأعداء أنّهم قاتلوه أينما أمكنت منه الفرصة وعلي كلّ حال، سواءً قَبِلَ أمانهم أو لم يقبل، وهو لا يعطي بيده ولا يمكّن من نفسه.

الوجه الثاني: لم يحترموا أمان الله، فلا حرمة لأمانهم

ربّما كان معني أمان الله خير:

إنّ الله قد أمّن مَن دخل بيته الحرام، ولـم يأمّنه القوم فيه.

إنّ الله قد أمّن مَن دخل في الشهر الحرام، ولـم يأمّنه القوم فيه.

إنّ الله قد أمّن مَن شهد الشهادتين وقال: إنّني من المسلمين، ولـم يأمّنه القوم.

إنّ الله أمر العبـاد بـالمودّة لآل رسول الله (صـلي الله عليه و آله) ، وأوجب حبّهم، وفرض علي الناس احترامهم، وجعلهم ودائع في خلقه، فلم يحفظوا الوديعة، بل عادوهم وحاربوهم وطاردوهم ومزّقوهم وشتّتوهم وقتلوهم.

فبالرغم من أنّ أمان الله خيرٌ من أمان أيّ أحـد، بَيـد أنّهم لم يحترموه ولم يلتزموا به، ولم يقـدّروا الله وحدوده حقّ قدره، فكيف يُقبَل منهم أمانهم؟!

فلا حرمة لأمان مَن لا يحترم أمان الله.

الوجه الثالث: مَن كان في أمان الله لا يحتاج أمان غيره

ربّما كان المعني: أنّ أمان الله خيرٌ وقد حزتُه ونلتُه وتوثّقتُ منه أنا، لأنّي أطعتُه ودعوت إلي الله وعبدته وعملت صالحاً وأعلنتُ علي رؤوس الأشـهاد أنّني من المسـلمين، ودخلت بيته الحرام الآمن في الشـهر الحرام الآمن، ومَن دخل في أمان الله المهيمن المقتدر الّذي لا تضيع ودائعه، فهو لا يحتاج أمان غيره.

أمّا أنت ـ أيّها الوالي المتفرعن ـ فلا أمان لك من الله، فكيف يقبل من

آمنه الله، بل جعله أماناً للعالمين الأمان ممّن لا أمان له من الله؟!

الإفادة السادسة: أمان الله لمن خافه في الدنيا

اشارة

يمكن أن نتابع هذا المقطع من خلال التقريرات التالية:

التقرير الأوّل: مَن لم يؤمن بالله لن يؤمن الله

بعد أن قرّر الإمام (عليه السلام) للوالي العسوف أنّ خير الأمان أمان الله، قال:

«ولم يؤمن بالله مَن لم يخفْه في الدنيا»، في لفظ ابن سعد.

و«لن يؤمن الله يوم القيامة مَن لم يخفه في الدنيا»، في لفظ الطبريّ والخوارزميّ.

مَن لم يؤمن بالله لا شكّ أنّ الله لن يؤمنه يوم القيامة، وقد ربط الله الخوف منه في الدنيا بأمانه يوم القيامة.

التقرير الثاني: التهديد

ربّما يبدو واضحاً لمن قرأ كتاب الإمام (عليه السلام) بدقّةٍ أنّ الإمام (عليه السلام) عرّض بالوالي المتعسّف الغشوم في كلّ ما كتبه له، وقد انجلي في هذا المقطع من الكتاب مقابلة الإمام (عليه السلام) تهديد الوالي بتهديدٍ له وقعٌ مدمّر وأزيز مزمجر ودويّ صاعق مذهل، فإن كان الوالي المستبدّ يتوعّد ويهدّد بعقاب المشاق، وهو تهديدٌ باردٌ سامدٌ هامدٌ مهلهلٌ تافه، لأنّه لا يتعدّي حدود الدنيا الزائلة وقدرة السلطان البائدة، فإنّ الإمام (عليه السلام) هدّد بجبّار السماوات والأرض وبيوم القيامة المهول ومخاوفه القارعة الدائمة الهائلة.

وإن كان الوالي المتفرعن الجاهل الغبيّ يهدّد بالاتّهام بالشقاق وغيره، فإنّ الإمام (عليه السلام) كشف له عن حقيقته الّتي يحاول أن يزيّفها ويخفيها تحت ستار النفاق الرثّ الخَلِق المهترئ، فمن تجبّر وتفرعن وطغي وبغي علي الله وحارب أولياءه وعدا علي حبيب الله وريحانة رسوله (صلي الله عليه و آله) يلاحقه ليقتله ويشرّده ويشرّد أهل بيت نبيّه (صلي الله عليه و آله) ، فهو لم يؤمن بالله، لأنّه لم يخفه في الدنيا، وهو لن يؤمنه الله يوم القيامة، لأنّه لم يخف الله في الدنيا.

التقرير الثالث: خوف الله في الدنيا وأمانه في الآخرة

الدنيا قنطرة، ومنزلٌ سرعان ما يرتحل منه الإنسان إلي دار الحَيَوان، وهي دهليزٌ قصيرٌ من دار الغرور والبلاء إلي دار الجزاء والبقاء، فإن كان الوالي ومَن ولّا ه أخافوا آل الله في الدنيا وأزعجوهم وأرعبوهم وزعزعوهم، فإنّ الله قهرعباده بالموت والفناء، فإنّه إن لم يخف الله ولم يرعَ حقّه وحدّه، وتبجّح وتفاخر وفخفخ واختال بصلفٍ وزهوٍ وغرورٍ أنّه يمنح الأمان لوليّ أولياء الله، فسرعان ما سيأتي اليوم الّذي لن يؤمنه الله، ويفعل به ما هو أهله من الجبروت والعظمة بما أعدّه لأعدائه وأعداء أوليائه.

وكأنّ السيّدة الصدّيقة زينب الكبري (عليها السلام) قد أفرغت عن لسان أخيها سيّد الشهداء (عليه السلام) حين قالت ليزيد:

«صدق الله (سبحانه) كذلك يقول: (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا

السُّوأَي أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُون) ((1)).

أظننتَ يا يزيد حين أخذتَ علينا أقطار الأرض، وضيّقتَ علينا آفاق السماء، فأصبحنا لك في إسار، نُساق إليك سوقاً في قطار، وأنت علينا ذو اقتدار، أنّ بنا من الله هواناً، وعليك منه كرامةً وامتناناً، وأنّ ذلك لِعِظَم خطرك وجلالة قدرك؟ فشمختَ بأنفك، ونظرتَ في عِطفك، تضرب أصدريك فرحاً، وتنفض مذرويك مرحاً، حين رأيتَ الدنيا لك مستوسقة، والأُمورَ لديك متّسقة، وحين صفي لك مُلكنا، وخلُصَ لك سلطاننا، فمهلاً ـ مهلاً، لا تطِشْ جهلاً، أنسيتَ قول الله (عزوجل) : (وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْماً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) ((2))» ((3)).

فكِلا الكلامَين في معنيً واحد، ويؤدّي نفس المؤدّي، وكأنّ الصديقة (عليها السلام) تشرح كلام أخيها (عليه السلام) .

ولمّا كان الإمام (عليه السلام) قد خاف الله في الدنيا لا شكّ، وعدوّه لم يخف الله، فهو مسلوب الأمان في الآخرة، فليتّخذ لنفسه جُنّةً ليوم التغابن، يوم يقوم الناس لربّ العالمين.

ص: 334

1- سورة الروم: 10.

2- سورة آل عمران: 178.

3- أُنظر: الاحتجاج للطبرسيّ: 2 / 34، بحار الأنوار للمجلسيّ: 45 / 157، بلاغات النساء لابن طيفور: 31، مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 2 / 63.

التقرير الرابع: الخوف لله في الدنيا

قـد يكون الخوف المـذكور في كلاـم الإمام (عليه السـلام) المقصود به مَن يخاف لله في الـدنيا (خوف الله)، أي (الخوف لله)، فكأنّه يقول للوالي: إنّ مَن لم يخف لله في الـدنيا لا ـ يـأمن يوم القيامـة، ومَن خـاف من أجـل الله في الـدنيا، فهو آمنٌ يوم القيامـة، فإن كنتم أخفتموني ولاحقتموني وطلبتموني للقتل فهو خوفٌ لله، يورث الأمن في القيامة، وهذا ما يفتقر إليه الأعداء في شقَّيه الدنيويّ والأُخرويّ.

هذا الكلام جميل، لو ساعد عليه النصّ وأفاده السياق وأعانت عليهاالدلالات اللغويّة..

الإفادة السابعة: دعاء الإمام (عليه السلام)

أدب الإمام (عليه السـلام) ورفيع أخلاقه ومداراته وصياغته الكتاب في ألفاظٍ وعباراتٍ هادئةٍ رزينةٍ تفيض موعظةً وأناةً وأمناً وأماناً وحِلماً، إذ أنّه يختم الكتاب بدعاءٍ يسوقه بصيغة الجمع:

«فنسأل الله ... توجب لنا ...» ((1)).

ص: 335

1- أُنظر: ترجمة الإمام الحسـين (عليه السـلام) من الطبقات لابن سعد: 59، تاريـخ مدينة دمشق لابن عساكر: 14 / 209،التهذيب لابن بدران: 4 / 330، المختصر لابن منظور: 7 / 141، بُغية الطلب لابن العديم: 6 / 2610، تهذيب الكمال للمزّي: 6 / 418، البداية والنهاية لابن كثير: 8 / 163، تاريخ الطبريّ: 5 / 388، نفَس المهموم للقمّي: 173، نهاية الإرب للنويريّ: 20 / 411.

وفي لفظ الخوارزميّ:

«ونحن نسأله لك ولنا ...» ((1)).

بل يُلاحَظ أنّه يقدّمه في نصّ الخوارزمي: «لك ولنا»..

عجبٌ والله حِلم أبي عبد الله (عليه السلام) وأخلاقه، وهو المتخلّق بأخلاق الله.

وربّما يُصاب المتلقّي بذهولٍ ودوّارٍ وحيرةٍ حين يري مَن يحاول تصوير الإمام (عليه السلام) في موقف المهاجِم المعلِن بالخروج ـ بالمعني المصطلح ـ عليالسلطان، والمعدّ للحرب والقتال والمواجهة، أوَ تكون لغة المهاجم المعدّ للحرب والانقضاض علي السلطة والسلطان بمثل هذه اللغة؟!

الإفادة الثامنة: والسلام!

ختم الإمام (عليه السلام) كتابه إلي الوالي المتجبّر الطاغي بقوله: «والسلام».

قد يكون هو الأدب المعهود في كتابة الرسائل يومذاك.

وقد يكون ردّاً للسلام الوارد في ذيل كتاب الأشدق.

وقد يكون بمعني الوداع، فيكون بنفسه جواباً وردّاً للأمان، وإيذاناً بالخروج من مكّة.

وقد يكون له سببٌ آخَر لا نعلمه نحن.

بَيد أنّه علي كلّ تقديرٍ يفيد أنّ الإمام (عليه السلام) لم يتجنّب السلام في اختتام كلامه، وربّما أفاد ذلك جوّ الهدوء الّذي يغلّف الكتاب.

ص: 336

1- مقتل الحسين (عليه السلام) للخوارزميّ: 1 / 218.

وربّما كان بمعني التذكير والتحذير لقوله (تعالي): (وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقي إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِناً تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَياة) ((1))..

فعلي مَ يُلاحَق الإمام (عليه السلام) ويُطلَب رأسه بذريعةٍ أو بغير ذريعة؟!

لِمَ يُعطي الأمان للإمام (عليه السلام) وهو لم يفعل شيئاً يقتضي الأمان؟!

فالإمام لم يخطب خطاباً في مكّة يحرّض فيه علي السلطة والسلطان، ولميذكر الوالي الأشدق، ولم يهاجم بكلمةٍ أو اجتماعٍ عامٍّ أو خطاب سائسه القرد المتسلّط علي تخت العاصمة في دمشق، ولم يُعلِن علي رؤوس الأشهاد في البيت الحرام أو في غيره من المواقف والمناسك والمشاعر عن عزمٍ لمواجهتهم أو الخروج عليهم ـ بالمعني المصطلح ـ، ولم يجيّش عليهم أحداً، ولم يسجّل عليه أيُّ موقفٍ أو مشهدٍ في مكّة يفيد ما يهدّد كيانهم ويدعوهم للخوف علي ما في أيديهم من الدنيا، أو يهدّد أمصارهم وبلدانهم بالاستيلاء عليها، وما شاكل!

وربّما أمكن اختصار ما ورد في كتاب الإمام (عليه السلام) بكلمة:

كأنّه (عليه السلام) يقول للوالي: اكفِني شرّك، وكُفَّ عنّي ذئابك ووحوشك، لا أتوقّع منك خيراً ولا أُريده.

1- سورة النساء: 94.

محتويات الكتاب

بين يزيد وعبد الله بن عبّاس بعد شهادة الإمام (عليه السلام) 5

كتاب يزيد إلي ابن عبّاس وجواب ابن عبّاس......... 9

القسم الأوّل: كتاب يزيد.......... 27

الكشف الأوّل: متابعة العيون......... 27

الكشف الثاني: بيعة ابن عبّاس!...... 28

الشاهد الأوّل: مقدّمة المؤرّخ قبل نقل الكتاب......... 29

الشاهد الثاني: النصّ التاريخيّ...... 29

الشاهد الثالث: الاعتصام ببيعة يزيد........ 37

الشاهد الرابع: تصريح ابن عبّاسٍ بالبيعة ليزيد!......... 38

الكشف الثالث: اعتراف يزيد بتأثير ابن عبّاسٍ في الناس........... 39

الكشف الرابع: يزيد مِن أهل البيت!!!... 41

القسم الثاني: ردّ ابن عبّاس....... 45

المضمون الأوّل: تعليق بعض الأجوبة.... 45

المضمون الثاني: سبب الامتناع عن بيعة ابن الزبير.......... 46

المضمون الثالث: وعد البرّ والصلة........ 49

الهدف الأوّل: التشجيع علي الامتناع عن بيعة ابن الزبير..... 49

الهدف الثاني: الحثّ علي دخول معركة يزيد وابن الزبير........... 49

الهدف الثالث: تطييب خاطر ابن عبّاس!......... 50

المضمون الرابع: رفض دعوات يزيد وأسبابها......... 51

المضمون الخامس: ذكر بعض المصائب......... 54

نكتة مهمّة........ 56

المضمون السادس: حركة سيّد الشهداء (عليه السلام) وفق ما شرحه ابن عبّاس! 57

المشهد الأوّل: المطاردة من حرم الرسول إلي حرم الله...... 58

المشهد الثاني: مقاتلة الإمام في مكة ومحاولة اغتياله......... 63

المشهد الثالث: إشخاص الإمام (عليه السلام) من حرم الله إلي الكوفة....... 67

الصورة الأُولي: الصورة المعروفة...... 67

الصورة الثانية: الصورة الجديدة........ 68

المشهد الرابع: تسليط ابن مرجانة وأمره بقتل الإمام........... 71

المشهد الخامس: استقبال الإمام الحسين (عليه السلام) بالرجال ومعاجلته........... 72

المشهد السادس: رفض الموادعة!......... 74

المشهد السابع: الشماتة بقتل الإمام (عليه السلام) 77

المشهد السابع: قتلهم كقتل الكفّار!....... 78

المشهد الثامن: الشماتة بسبي الحرم....... 81

اللوعة الأُولي: عجبٌ ما قبله ولا بعده عجب!...... 83

اللوعة الثانية: نسب السبايا إلي عبد المطّلب......... 84

اللوعة الثالثة: حمل بنات عبد المطّلب وغلمةً صغاراً..... 85

اللوعة الرابعة: السبي إلي يزيد.......... 86

اللوعة الخامسة: السبي المجلوب!!!... 86

اللوعة السادسة: الاستعراض بالسبايا........... 89

اللوعة السابعة: الشماتة!... 91

المشهد الثامن: المجاهرة بدوافع قتل الإمام (عليه السلام) 92

ص: 340

الدافع الأوّل: العداوة لله ولرسوله ولأهل بيته........ 93

الدافع الثاني: أخذ الثأر لأهله الكَفَرة الفجَرة........ 93

الدافع الثالث: الانتقام لدم عثمان!...... 94

المضمون السابع: ابن عبّاس صاحب الدم والثأر!.... 96

المضمون الثامن: نوع المواجهة بين ابن عبّاسٍ ويزيد.... 98

المضمون التاسع: ابن عبّاس يري نفسه أهلاً للمُلك وأحقّ به.......... 100

المضمون العاشر: بي وبهم عززتَ وجلستَ مجلسك....... 104

تعليقاتٌ سريعة..... 107

التعليقة الأُولي: كتاب ابن عبّاسٍ ردٌّ وليس ابتداء!......... 107

التعليقة الثانية: لماذا لم يكتب ابن عبّاسٍ قبل شهادة الإمام (عليه السلام) ؟!..... 108

التعليقة الثالثة: التزام ما التزمه سيّد الشهداء (عليه السلام) وابن عبّاس!.......... 109

التعليقة الرابعة: توظيف كتاب ابن عبّاس...... 110

التعليقة الخامسة: باقي بني العبّاس!...... 111

إبن الزبير والإمام (عليه السلام) ... 113

العرض الأوّل: تعدّد اللقاء.......... 129

العرض الثاني: وقت اللقاء.......... 130

العرض الثالث: مكان اللقاء......... 132

المكان الأوّل: عند الإمام الحسين (عليه السلام) 132

المكان الثاني: لحقه (عليه السلام) ابن الزبير...... 133

المكان الثالث: بين الحِجر والباب....... 133

المكان الرابع: عند جمرة العَقبة.......... 134

العرض الرابع: هل كان اللقاء بين جماعة، أو كان في خلوة؟......... 134

العرض الخامس: تحريض ابن الزبير علي بني أَميّة........ 135

العرض السادس: إصرار ابن الزبير علي خروج الإمام (عليه السلام) من مكّة... 137

العرض السابع: خبر الزبيريّ....... 139

الغريبة الأُولي: الإسناد والتردّد... 140

الغريبة الثانية: ابتداء الإمام (عليه السلام) ... 141

الغريبة الثالثة: القسَم بالطلاق والعتاق... 141

الغريبة الرابعة: بيعة أربعين ألفاً!........... 142

الغريبة الخامسة: جواب ابن الزبير....... 143

العرض الثامن: عروض ابن الزبير........ 143

الاقتراح الأوّل: البقاء في مكّة.... 144

الإيماء الأوّل: الاقتراح غير جدّي... 144

الإيماء الثالث: الصورة الأُولي للاقتراح: اقتراحٌ كسائر الاقتراحات......... 145

المناقشة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يحمي حُرمة الحرم.... 146

المناقشة الثانية: دخول الإمام (عليه السلام) إلي مكّة للاستئمان لا للتحشيد..... 147

المناقشة الثالثة: توظيف عنوان الإمام (عليه السلام) 148

المناقشة الرابعة: الفرق بين اقتراحه واقتراح غيره........... 148

المناقشة الخامسة: سذاجة الخطّة....... 149

الإيماء الرابع: الصورة الثانية للاقتراح: إنّك مطلوب... 150

الالتفاتة الأُولي: الإمام (عليه السلام) يكشف ما يقوله ابن الزبير سرّاً..... 150

الالتفاتة الثانية: الإمام (عليه السلام) مطلوب!.... 151

الإيماء الخامس: الصورة الثالثة للاقتراح: عرض البيعة......... 153

الإشارة الأولي: مكر ابن الزبير.......... 154

الإشارة الثانية: اشتراط البقاء في مكّة.......... 155

الإشارة الثالثة: دوافع البيعة....... 155

الإشارة الرابعة: وعود ابن الزبير......... 156

ص: 342

الإشارة الخامسة: خوفه علي الإمام (عليه السلام) إن خرج........... 156

الإيماء السادس: دعوة الإمام (عليه السلام) للبيعة مع ابن الزبير........... 157

ردّ الإمام (عليه السلام) 159

الجواب الأوّل: القتل خارج مكّة أحبّ إليه (عليه السلام) 159

التلميح الأوّل: أهميّة الردّ......... 160

التلميح الثاني: البقاء في مكّة يعني القتل قطعاً...... 163

التلميح الثالث: حماية حرمة الحرم.... 164

التلميح الرابع: التعريض بابن الزبير.... 165

التلميح الخامس: ذكر البديل عن القتل في الحرم......... 166

التلميح السادس: لو كنتُ في جُحر هامّةٍ لَاستخرجوني!......... 167

النظرة الأُولي: وضوح الكلمة...... 170

النظرة الثانية: القسَم......... 171

النظرة الثالثة: لو كنتُ في جُحر هامّة!..... 171

النظرة الرابعة: حتّي يقضوا فيّ حاجتهم!.......... 173

التلميح السابع: تمثيل الاعتداء عليه باعتداء بني إسرائيل......... 175

الجلوة الأُولي: حديث الإمام السجّاد (عليه السلام) 176

الجلوة الثانية: المطلوب من اليهود......... 180

الجلوة الثالثة: براءة الحيتان......... 181

الجلوة الرابعة: قلب الموازين وتحليل الحرام..... 182

الجلوة الخامسة: الاعتداء في الزمن الحرام........ 183

الجلوة السادسة: غضب الله لاصطياد السمك!.... 184

الجلوة السابعة: التوسّل بمحمّدٍ وآل محمّد........ 185

الجلوة الثامنة: سيبعث عليهم مَن ينتقم منهم...... 186

الجلوة التاسعة: الإمام (عليه السلام) مُعتديً عليه.... 186

الجلوة العاشرة: خلاصة الجلوات.......... 187

التلميح الثامن: فحوي الردّ....... 188

الجواب الثاني: فضح ابن الزبير....... 189

الدلالة الأُولي: تكذيب ابن الزبير في الدعوة للبقاء....... 190

ص: 343

الدلالة الثانية: تكذيبه في دعواه البيعة للإمام (عليه السلام) وإسناده...... 190

الدلالة الثالثة: الدافع الّذي يلهث له ابن الزبير....... 191

الدلالة الرابعة: موقع ابن الزبير عند الناس.... 191

الدلالة الخامسة: لا أهداف مقابل أهداف ابن الزبير...... 192

الدلالة السادسة: يطلب الأمر ولو بقتل الإمام الحسين (عليه السلام) 193

الجواب الثالث: السكوت...... 193

الاقتراح الثاني: التحذير من التوجّه إلي العراق...... 195

السبب الأوّل: لقد حضر الحجّ وتدَعْه!..... 195

السبب الثاني: التحذير من الذهاب إلي قومٍ قتلوا أباه وطعنوا أخاه.......... 197

اللمحة الأُولي: وقت اللقاء....... 198

اللمحة الثانية: التحذير من أهل العراق!....... 198

اللمحة الثالثة: أنا أري أنّهم قاتلوك.......... 200

اللمحة الرابعة: تنويهٌ هامّ.......... 201

اللمحة الخامسة: «وأنا أري ذلك»..... 202

اللمحة السادسة: التأكيد علي أنّ الإمام (عليه السلام) مطلوب...... 202

تعليقات:........ 204

التعليقة الأُولي: رواية ابن حجر في (الصواعق)........... 204

التعليقة الثانية: ابن الزبير يسأل مسائل شرعيّة!.... 208

الاقتراح الثالث: الخروج إلي العراق... 209

الإنارة الأُولي: مكر ابن الزبير!........ 211

الإنارة الثانية: قد يصدق ابن الزبير!.......... 212

الإنارة الثالثة: دواعي الحثّ... 213

الإنارة الرابعة: الأسباب الّتي ذكرها الإمام (عليه السلام) 215

الإنارة الخامسة: سبب التوجّه نحو العراق، لا سبب الخروج من مكّة...... 217

الإنارة السادسة: الاستخارة.... 217

ص: 344

الإنارة السابعة: غباء ابن الزبير وجهله!...... 217

العرض التاسع: ابن الزبير يلحق الإمام!........ 219

بين عبد الله بن جعفر والإمام سيّد الشهداء (عليه السلام) ... 221

القسم الأوّل: كتاب عبد الله بن جعفر للإمام الحسين (عليه السلام) 223

التذكير الأوّل: ميزة نصّ ابن الصبّاغ.......... 228

التذكير الثاني: انتشار خبر خروج سيّد الشهداء (عليه السلام) من مكّة في المدينة! 231

التذكير الثالث: زمان ومكان كتابة الكتاب... 233

التذكير الرابع: حامل الكتاب..... 235

التذكير الخامس: نصّ كتاب ابن جعفر........ 236

اللفتة الأُولي: أدب عبد الله بن جعفر... 237

اللفتة الثانية: المناشدة....... 238

اللفتة الثالثة: دوافع المناشدة....... 240

التوضيح الأوّل: الشفقة.......... 241

التوضيح الثاني: المقصود من الأمر في كلام ابن أعثم والخوارزميّ!...... 242

التوضيح الثالث: دواعي الشفقة وأسبابها........... 244

المستوي الأوّل: الخوف من استئصال العترة الطاهرة..... 244

المستوي الثاني: نتائج قتل الإمام (عليه السلام) !......... 246

الإشفاق الأوّل: الإشفاق علي نور الله...... 248

الإشفاق الثاني: فقدان علم المهتدين...... 249

الإشفاق الثالث: فقدان رجاء المؤمنين.... 250

الإشفاق الرابع: روح الهدي وأمير المؤمنين!...... 251

اللفتة الرابع: لا تعجلْ بالسير!...... 252

اللفتة الخامسة: أسباب الدعوة إلي التريّث.... 253

الميزة الأُولي: تشخيص المُعتدي!... 253

ص: 345

الميزة الثانية: بذل ما بوسعه للدفاع عن الإمام (عليه السلام) 255

الميزة الثالثة: التهديد شاملٌ من جميع الأُمويّين.......... 256

الميزة الرابعة: التهديد الشامل لأهل البيت (عليهم السلام) 256

اللفتة السادسة: التحذير من أهل الكوفة........ 257

التذكير السادس: جواب الإمام (عليه السلام) 259

الجواب الأوّل: لم يذكر جواباً... 260

الجواب الثاني: «قرأتُ الكتاب وفهمت»...... 260

الجواب الثالث: الرؤيا!..... 261

الجواب الثالث: «لو كنتُ في جُحر هامّة»!.... 263

الجواب الرابع: أبي ولم يمتنع.... 264

القسم الثاني: محاولة ابن جعفر (رضي الله عنه) مع عمرو بن سعيد......... 267

الضوء الأوّل: قيام ابن جعفر (رضي الله عنه) إلي الوالي..... 271

الضوء الثاني: مطالب ابن جعفر (رضي الله عنه) من الوالي.......... 274

الضوء الثالث: مَن كتب الكتاب؟!........ 278

الضوء الرابع: حامل الكتاب....... 279

الضوء الخامس: موقع اللقاء....... 280

الضوء السادس: لقاءٌ مختصر....... 281

الإضاءة الأُولي: أسباب اختصار اللقاء.......... 281

الإضاءة الثانية: مَن باشر الإقراء.......... 282

الإضاءة الثالثة: مؤدّي اللقاء....... 283

الضوء السابع: أمر ابنيه بالجهاد دون الإمام (عليه السلام) 283

الضوء الثامن: هل رجعا إلي الوالي؟... 286

الضوء التاسع: جواب الإمام (عليه السلام) 287

ص: 346

الضوء العاشر: هل التقي ابن جعفر (رضي الله عنه) أهلَه؟!... 287

القسم الثالث: كتاب عمرو بن سعيد للإمام (عليه السلام) 291

المتابعة الأُولي: زيادات الطبريّ والخوارزميّ....... 294

المتابعة الثانية: غطرسة الأشدق... 295

المتابعة الثالثة: التهديد الأوّل..... 295

المتابعة الرابعة: التهديد الثاني.... 296

المتابعة الخامسة: التهديد الثالث......... 298

المتابعة السادسة: التهديد الرابع.......... 300

المتابعة السابعة: فإنْ كنتَ خائفاً........... 301

المتابعة الثامنة: وعود الآثم......... 303

الوعد الأوّل: إن كنتَ خائفاً.. فأقبِلْ إليّ....... 304

الوعد الثاني: الأمان بإزاء الإقبال إليه... 305

الوعد الثالث: الإقبال مع الرسول!........ 307

الوعد الرابع: البرّ والصلة والإحسان..... 309

الوعد الخامس: حُسن الجوار.... 310

المتابعة التاسعة: شهادة الكتاب علي الكاتب........... 313

المتابعة العاشرة: توظيف الأمان!.......... 314

المتابعة الحادية عشرة: جواب الإمام (عليه السلام) 316

الردّ الأوّل: «إن كنتَ أردت برّي وصلتي».... 316

الردّ الثاني: «إن كنتَ.. فجُزيتَ خيراً»........... 316

الردّ الثالث: «لم يشاقِقْ مَن دعا إلي الله..»...... 318

الإيضاح الأوّل: الهدوء والحِلم....... 318

الإيضاح الثاني: عموم الردّ وضمير الغائب........ 319

الإيضاح الثالث: أجواء الآية!.......... 319

الإيضاح الرابع: مؤدّي الآية... 321

الدلالة الأُولي: دلالة أخبار القوم!...... 322

الدلالة الثانية: الفهم العام.......... 322

الإيضاح الخامس: الآية مقابل التهمة....... 324

الردّ الرابع: ردّ الأمان........ 325

الإفادة الأُولي: الإمام (عليه السلام) هو الأمان!........ 325

الإفادة الثانية: الأمان في الحرم!....... 327

الإفادة الثالثة: أمان الخؤون!... 327

الإفادة الرابعة: الأمان والاغتيال!...... 328

الإفادة الخامسة: «خير الأمان أمان الله»..... 328

الوجه الأوّل: لا إيمان ولا أيمان لهم، فأمان الله خير!..... 329

الوجه الثاني: لم يحترموا أمان الله، فلا حرمة لأمانهم..... 331

الوجه الثالث: مَن كان في أمان الله لا يحتاج أمان غيره.......... 331

الإفادة السادسة: أمان الله لمن خافه في الدنيا..... 332

التقرير الأوّل: مَن لم يؤمن بالله لن يؤمن الله......... 332

التقرير الثاني: التهديد..... 332

التقرير الثالث: خوف الله في الدنيا وأمانه في الآخرة..... 333

التقرير الرابع: الخوف لله في الدنيا..... 335

الإفادة السابعة: دعاء الإمام (عليه السلام) 335

الإفادة الثامنة: والسلام!.......... 336

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹